

الجماعات الإسلامية

محاولة استمساخ الأمة الإسلامية

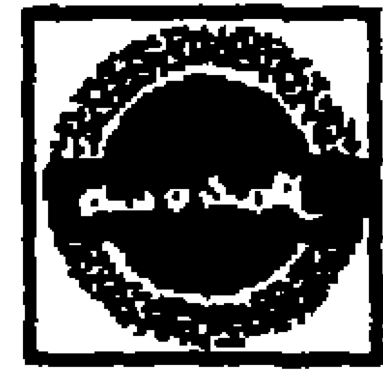
أحمد راسم النفيس

الجماعات الإسلامية

محاولة استمساخ الأمة الإسلامية

دكتور
أحمد راسم النفيس

طبعة أولى: ٢٠٠٩



عنوان الكتاب: الجماعات الإسلامية.. محاولة استمساخ الأمة الإسلامية
تحرير : د. أحمد راسم النفيس
الناشر : مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
قطعة رقم ٧٣٩٩ ش٢٨ من ش ٩ – المقطم – القاهرة
ت، ف : ٢٥٠٧٥٩١٧
e.mail : mahrosa@ mahrosa.com

رئيس مجلس الإدارة : فريد زهران
الغلاف والإشراف الفنى للفنان : مجاهد العزب

المحرر العام : محمود الوردانى
المستشار الاعلامى : مصطفى عبادة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٣٣٦٥
الترقيم الدولى : 977-313-287-0

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

المحتويات

مراجعات الجماعات

انشغل الرأى العام فى مصر فى الأيام الأخيرة بما سمى بمراجعات تنظيم الجهاد التى أعلنها منظر الجماعة الدكتور فضل من محبسه.

ما كنا نود الدخول على خط المراجعات فى ظل الحالة العاطفية التى يجرى التعامل بها مع المسألة ورغبة البعض العارمة فى الوصول إلى نهاية لمأساة الجهاديين الذين دخل الكثير منهم السجون منذ أكثر من عشرين عاما ولم يخرجوا منها حتى الآن.

من ناحية فنحن نشاركهم هذه العاطفة وتلك الرغبة فى الوصول إلى نهاية (سعيدة) لمأساة شغلت الناس طيلة تلك الفترة ومنحت النظام الحاكم فى مصر مبررا لمد حالة الطوارئ فترة جاوزت الآن ستة وعشرين عاما بالتمام والكمال واصطلى الجميع بنارها ومن بينهم كاتب هذه السطور.

من ناحية أخرى فإن المراجعة الحقيقية ليست مطلوبة من الجهاديين وحدهم ولكنها مطلوبة أيضا من السياسيين والدينيين والاجتماعيين فضلا عن الاقتصاديين!!.

إنها خطيئة مجتمع بأسره وليست خطيئة حفنة من الأفراد فهموا الإسلام بطريقة خاطئة وهاهم يعلنون الآن (توبتهم) لصالح فهم آخر ربما كان لا يقل عنه سوءا ولا خطئا.

إنها خطيئة نظم جائرة ومستبدة، فاسدة وفاشلة لا هم لها إلا طلب العلو في الأرض والفساد (وليْسَ مَنْ طَلَبَ الحَقَّ فأخْطأهُ، كَمَنْ طَلبَ البَاطِلَ فأدْرَكَهُ).

مراجعات (الجهاد) أو تراجعاته ليست انتصارا لهؤلاء الفاشلين الذين أسهموا بوعى أو بدون وعى ولا زالوا يسهمون فى تأجيج ظاهرة العنف والإرهاب من خلال ممارساتهم الاحتيالية التى لا يستطيعون العيش بدونها لأن من شب على شيء شاب عليه.

الفكر الخوارجى الذى اعتنقته هذه الجماعات لم يهبط علينا فجأة من السماء ولا عاد صحبة سفينة فضاء جاءت به من القمر وأفلحت فى تهريبه من الجمارك بل هو فكر ابن تيميه وابن القيم وابن باز والألبانى الذى يدخل بيوتنا الآن من الباب والشباك ومن الفضائيات.

ثم يزعمون أنهم يرفضون التطرف ويحرضون على الاعتدال!!.

كان هذا هو الدافع لكتابة هذا الكتاب قبل بضع سنوات وهو الدافع الآن للتعليق على مراجعات الجهاد ووضعها فى موضعها لئلا يصر البعض على استغفالنا وكفى زيفا وغشا وخداعا.

مراجعات الجهاد ونهاية التاريخ!!

يتساءل البعض عن السبب وراء (جرأة) كاتب هذه السطور على توجيه النقد للجماعات الإسلامية.

إنه سؤال يتغافل عن حقيقة بالغة الأهمية وهى أن العبد لله (عضو فخرى سابق؟!) فى تنظيم الجهاد فضلا عن عضويته فى جماعة الإخوان المسلمين!!.

(العضوية الفخرية!!) منحت لى قبل أكثر من خمسة وعشرين عاما من أحد القيادات السابقة لهذا التنظيم الذى أصابه الضرب والتعذيب بلوثة دفعته للاعتراف على (أغلب) أهل قريته القريبة من مدينة المنصورة وعلى كل من صلى ولو لمرة واحدة فى الزاوية الصغيرة التى كان يخطب فيها أحيانا بأنهم أعضاء فى تنظيمه الإرهابى ومن بين من نالوا شرف (العضوية الفخرية) كان العبد لله.

تلك العضوية المزعومة كلفتنى عاما كاملا مع (الإخوة الجهاديين) بين عامى ١٩٨١ و١٩٨٢فى زنازين سجن الاستقبال فى طرة ومنحتنى فرصة ذهبية للتعرف عليهم عن قرب وليس من رأى كمن سمع!!.

أذكر أثناء تعيينى فى وظيفة مدرس مساعد أنى ذهبت إلى أمن الدولة أستفسر عن سبب تأخر التعيين فكان الرد (لك ملفان نعمل عليهما واحد إخوان والثانى جهاد)!!.

فلماذا لا يتحمل البعض ما نوجهه لهم من نقد رغم أننا تحملنا لمدة عام كامل تبعات الحصول على (العضوية الفخرية لتنظيم الجهاد فى القضية ٤٦٢ أمن دولة عليا) من دون مقابل ولا حتى مكافأة نهاية الخدمة؟!.

الحقيقة الثانية هى وحدة الكيان والفكر الإسلامى ومن ثم فنحن لا نحتاج لإذن من أحد لنخوض فى شأن من شئون المسلمين والعبرة هى بالمنطق والدليل والبرهان وليس (نحن وأنتم) ودعك من الجلبة والضجيج الذى احترفه البعض كوسيلة مثلى للجدال بين العقائد والأفكار.

من ناحية أخرى فنحن لا نكتب عن (مراجعات) الإخوة الجهاديين انطلاقا من الرغبة فى إفشالها أو من باب التشفى منهم أو رفضا للتوقف عن العنف والقتل الذى دفع الجميع ثمنا غاليا له وإنما نكتب انطلاقا من الإحساس بالمسئولية والخطر الداهم الذى يمثله الفكر التكفيرى الخوارجى وتنبيها لأن هذه المراجعات لا تعالج المعضلة الجهادية من جذورها فهى فى المحصلة النهائية ثمرة من ثمار المر والحنظل الذى زرعه من يراهم البعض (سلف هذه الأمة العظام) ومن بينهم شيخ الدماء ابن تيميه الذى لا يتوانى منظر الجهاد السابق عن الاستشهاد به وبفتاواه فى كل زاوية ومنعطف.

من نافلة القول أيضا أن يظن البعض أننا نعارض إطلاق سراح المعتقلين الذين أمضى أغلبهم فى السجون فترات تصل إلى عشرين عاما فنحن والحمد لله من كتب قبل عدة سنوات من الآن قائلين (أطلقوهم من محبسهم يرحمنا ويرحمكم الله).

الجهاديون الذين أطلق سراحهم أو القابعون فى السجون حتى الآن صنفان.

الصنف الأول من أدينوا بجرائم وحكم عليهم ومن المتعين وفقا للقانون إطلاق سراح من قضى محكوميته والصنف الآخر ممن لم يرتكبوا جرما محددا وهم مودعون فى السجون بقرار إدارى ومن الطبيعى والمنطقى أن يجرى إطلاق هؤلاء.

العامل الوهابى :

فى كتابى (الطريق إلى مذهب أهل البيت) تحدثت عن جانب من هذه التجربة وعن السبب الحقيقى وراء قتل السادات وقلت ما نصه (وهذا يجرنا إلى ما ردده البعض من أن تنظيم الجهاد المصرى قد قتل السادات لأنه وقع اتفاقية كامب ديفيد وهذا كلام فارغ لا أصل له فهؤلاء لم يكن يعنيهم أن تنتصر مصر أو لا تنتصر فى حرب أكتوبر التى كانت تدور من وجهة نظرهم بين دولتين كافرتين هما مصر وإسرائيل والمشكلة عندهم أن السادات

شأنه كشأن أى حاكم عربي- باستثناء ملك السعودية طبعا- حاكم كافر لأنه لا يحكم بما أنزل الله ومشروعهم الجهادى بدأ قبل حرب أكتوبر ثم بعدها مباشرة ممثلا فى حادثة الكلية الفنية العسكرية أى قبل أن يخطو الرئيس المصرى الراحل أى خطوة علنية فى اتجاه الصلح أو التفاوض مع إسرائيل أما الفتوى بقتل الرجل فقد جاءت من نفس الجهة التى تخصصت فى إصدار وتوزيع شهادات الكفر والقتل على كل أنحاء العالم الإسلامى وهذه شهادة شخصية بما عشناه وعايناه وسمعناه).

أما مفتى قتل السادات الذى لم نذكر اسمه فى الكتاب فهو الشيخ عبد العزيز بن باز وهاهو أحد قيادات هذا التنظيم (أحمد يوسف) يؤكد فى العام ٢٠٠٧ فحوى ما قلناه من قبل حيث ذكر فى حواره مع جريدة المصرى اليوم بتاريخ ٢٦-١١-٢٠٠٧ ردا على سؤال : هل التقيت «محمد عبد السلام فرج»؟ ومتي؟.

التقيته أول مرة فى عام ١٩٨١م بعد أن وحد الجماعة الإسلامية والجهاد وجاء إلينا فى بنى سويف لتوحيد المجموعات وكان عبد السلام فرج يريد جمع جميع التيارات إلا الإخوان المسلمين وذلك لأن الإخوان كان لهم تنظيمهم ويرفضون الانفصال عنه، وكل الحلقات التى وجدت فى ذلك الوقت جمعها محمد عبد السلام فرج فى مكان واحد هو منزل الشيخ فوزى عويس أمين، وحضر الاجتماع مجموعة كبيرة من القيادات عنده، وكان على رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن، وهذا كان فى بداية عام ١٩٨١ وشهد هذا الاجتماع أيضاً قادة من الجماعات السلفية وكان عبد السلام فرج قد اتفق معهم على الوحدة وهو ما جاءوا من أجله ولكن القيادات السلفية فى ذلك الوقت طلبت فتوى من أحد كبار علماء الإسلام بجواز الخروج على الحاكم، ووضعوا هذا الأمر كشرط للانضمام للتنظيم الجديد الذى يدعو إليه قيادات الاجتماع، واشترطوا فتوى من *علماء بالخارج مثل العلامة ابن باز أو الألباني*، وبالفعل سافر محمد سعد زغلول قائد مجموعة بنى سويف للألبانى شخصياً، وسأله عن الفتوى فى الخروج عن الحاكم، فطلب الشيخ الألبانى منه أن يأتى بقائد كل فصيل لمناقشتهم وإعطائهم الفتوى، ورجع محمد سعد من هناك ولكن كان القرار قد تم اتخاذه[1].

[1] http://www.almasry-alyoum.com/article.aspx?ArticleID=84148

إنه الرابط الوهابى الذى جرى التغافل عنه عمدا لأسباب تتعلق بتحالف المصالح بين النظم الحاكمة فى المنطقة وضرورة إبقاء هذا التحالف حيا ليتسنى له القيام بالمهام الاستراتيجية الكبرى التى يسندها إليهم راعى الإرهاب الأكبر فى العالم بأسره وهو الولايات المتحدة الأمريكية، سابقا فى أفغانستان والآن ضد إيران.

حروب الوكالة!!

من الضرورى إذن أن نثنى على ما جاء فى (وثيقة ترشيد الجهاد) من رفض خوض (حروب الآخرين بالوكالة) حيث يدين الدكتور فضل ما أسماه (تلقى أموال والاستعانة بأنظمة حكم فى دول أخرى ليست بأفضل من بلدانهم لقتال أهل بلدهم بما أوقعهم فى فخ العمالة وحروب الوكالة فيبدأ شأنه مجاهدًا ويصير عميلاً مرتزقًا ولو شئت أن أقول منهم فلان وفلان لقلت)[1].

إنه كلام بالغ الأهمية والخطورة خاصة وأنه يمثل شهادة من الداخل على مدى خبث وانحطاط ودناءة بعض أولئك المتلبسين بلبوس رجال الدين (وكلاء حروب) هذه الأنظمة الأكثر خبثا ودناءة والتى قامت بتضليل هؤلاء الشباب وسوقهم إلى محارق الاقتتال بمليارات الرشاوى ومنحتهم الفتاوى التى سوغت لهم القتل الجماعى بدم بارد وضمير مستريح ولا تزال تقوم بهذا الدور القذر حتى هذه اللحظة فى العراق مستعينة بالذمم الفاسدة لبعض المعممين من وكلاء الحروب.

كان ولا زال من المتعين على الدكتور فضل والسائرين على دربه ممن خبروا حقيقة مشروع الجهاد الأمريكى فى أفغانستان أن يقوموا بمراجعة أخرى لا تقل أهمية عن مبادرة وقف العنف وهى مراجعة الطريقة التى يجرى بها استدراج المسلمين البسطاء لمعارك (الكبار) الذين ما كان لهم أن يكونوا كبارا لولا عمليات الغش والخداع الواسعة التى قام بها أصحاب العمائم المزيفة بدءا من العهد الأموى الأسود وحتى الآن.

---

[1] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/95705093.shtml

أليس من المنطقى عندما يجرى اكتشاف عملية غش وخداع أن يجـرى مراجعة الثغرات التى نفذ منها المتحايلون والتدقيق فى ملفات كل من سـلك هذا الطريق!!.

هل يستطيع الدكتور فضل أن يجزم أن هذه العملية كانـت أول وآخـر عملية نصب واحتيال عرفها تاريخ المسلمين؟!.

لا أظن!!.

الغش والاحتيال الذى تعرض له المسلمون لم يقتصر على بيـع رؤوس الانتحاريين من سماسرة الدين أصحاب العمائم المزيفة لكبار الطواغيت من أجل تحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية آنية (إسقاط الاتحـاد السـوفييتى – محاصرة إيران) فالصفقة الكبرى كانت تزوير الدين نفسه ليصبح حمال أوجه ويبقى أداة يستخدمها البعض تارة للتخريب والإفساد فى الأرض وتارة أخرى لتبرير الخضوع والخنوع للظلمة المستبدين بعد أن فشل العنـف أو الجهـاد المقدس فى تحقيق أهدافه!!.

المتأمل فى الواقع الراهن لبلد كمصر يمكنه أن يلحظ هذه الحقيقة بسهولة بالغة.

فالذين قتلوا السادات ومن ورائهم الذين أفتوا بقتله قاموا بالقضاء علـى فرصة فريدة سنحت لمصر فى عهد السادات للتحـول نحـو الديموقراطيـة ويكفى أنه الحاكم الوحيد الذى ألغى بالعمل بقانون الطوارئ منذ عام ١٩٥٢.

ولا يفوتنك أن ثورة يوليو كانت مشروعا إخوانيا فاشلا ترفض الجماعة حتى هذه اللحظة بكل إباء وشمم أن تدين موقفها منه وهو الموقـف الـذى وضعنا جميعا تحت أحذية العسكر.

المبرر الرئيس الذى سمح لنظام الحكم الحالى فى مصر أن يمدد قـانون الطوارئ لمدة بلغت الآن ستة وعشرين عاما وأن يسوق سياساته القمعية فى الداخل والخارج وأن يخنق الحياة السياسية برمتها هى التصرفات الخرقـاء لتلك الجماعات المسماة بالإسلامية حيث كان النظام وما زال يرفع شعار (أنا أو الإرهاب) بل ويجد من يستمع له بإنصات هنا وهناك ويصدق ما يدعيه.

لقد استُخدمت هذه الجماعات صاحبة التصرفات الخرقاء كفزاعة ترفعها تلك النظم الراغبة فى البقاء والاستمرار فى الحكم بل وتوريثه للأبناء وربما الأحفاد مهما كان الثمن الذى يدفعه الجمهور العام الراغب فى حيـاة هادئـة

آمنة من سيف التهديد والخوف المصلت عليه، تارة ممن يدعون أنهم يعملون لحمايته من هذه الجماعات وتارة أخرى من الجماعات نفسها التى فعلت ما فعلته فى العراق وأفغانستان وقد رأى الناس بأم أعينهم كيف يمارسون القتل الجماعى وسفك الدماء بلا شفقة ولا رحمة أينما حلوا.

إنه اختيار ولا اختيار!!.

ما بين الموت البطيء فى ظل أنظمة تحرم البشر من أبسط حقوقهم أو دوامة الموت وأعاصيره على يد الطالبان ومن على شاكلتهم.

تخبط فقهى :

أحد المهللين المصفقين المزغردين لمراجعات الدكتور فضل هو الدكتور ضياء رشوان الذى يجرى تقديمه للرأى العام بوصفه خبيرا فى الجماعات الإسلامية وهى صفة هلامية غير مفهومة ولا محددة ولكنها والله أعلم جزء لا يتجزأ من البيزنس الإعلامي.

يرى الدكتور رشوان أن التحولات المطروحة تمثل (مراجعة جذرية وكاملة للأفكار الجهادية القديمة ولتاريخ طويل من الممارسات المتشددة والعنيفة، تنتهى بالخروج من الثوب الجهادى العنيف والدخول فى فئة الحركات الإسلامية السياسية السلمية وهذه الإعادة المزدوجة للقراءة تضمنت بداخلها عمليتين سارتا بشكل متواز ومتداخل الأولى هى النقد العميق والجذرى لأفكار الماضى وممارساته، والثانية هى صياغة نسق فكرى وأيديولوجى جديد منقطع الصلة بالقديم، صار الجهاديون السابقون يتبنونه، وأضحى هو المحدد لرؤيتهم حركتهم فى الحاضر والمستقبل)[1].

يزعم الدكتور رشوان أن مراجعات الدكتور فضل تمثل نقدا عميقا وجذريا وإعادة مزدوجة للقراءة؟! تضمنت بداخلها عمليتين سارتا بشكل متواز ومتداخل وأن ما قاله الدكتور فضل يقدم صياغة فكرية وأيديولوجية جديدة، ولا أدرى من أين جاء بهذا الكلام؟!.

لو كلف الدكتور الخبير نفسه وقارن بعض ما قاله الرجل بالبعض الآخر لرأى عجبا!!.

---

[1] http://www.almasry-alyoum.com/article.aspx?ArticleID=84646

يقول الدكتور فضل:

(إذا كان طلب العلم واجبًا على المسلم ليعلم ما فرضه الله عليه من الحلال والحرام، فإن طريق التعلم هو سؤال الأمناء من أهل العلم، فلا يسأل غير أمين لأن خبره لا يوثق به كما قال تعالى «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» (الحجرات:٦)، ولا يسأل الجاهل وإن كان يلبس ثياب العلماء لأن سؤاله سبيل الضلالة والهلاك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»).

ويقول أيضا:

(لا يجوز لغير المؤهلين شرعيا من أفراد الجماعات الجهادية تنزيل ما فى بطون كتب السلف من أحكام مطلقة على واقعنا الحاضر، فالنصوص الشرعية (الكتاب والسنة) وإن كانت ثابتة لا تتغير، إلا أن فيها خيارات تناسب كل واقع وحال، وهذا لا يدركه إلا خبير بالشرع، وقد كتب علماء السلف كتبهم لزمان غير زماننا).

(أقوال العلماء وفتاواهم ليست حجة فى دين الله وليست من أدلة الأحكام الشرعية المذكورة فى كتب أصول الفقه. ومن هنا قالوا «إن كلام العلماء يُحتج له ولا يُحتج به»، ومعنى (يُحتج له) أى أنه مفتقر إلى الأدلة التى تثبت صحته).

(ليس هناك معصومٌ فى هذه الأمة بعد النبي، كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر» وأشار إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم، إلا أن ابن القيم رحمه الله قد ذكر فى (إعلام الموقعين ج٤) أن أبا بكر لا تعرف له مخالفة للسنة، أما مخالفات عمر بن الخطاب فقليلة، وأما مخالفات على ابن أبى طالب فأكثر رضى الله عنه أ.هـ، وإذا كان هذا فى أقوال الخلفاء الراشدين فكيف بأقوال بقية الصحابة رضى الله عنهم وهم سادة المسلمين؟ وكيف فيمن جاء بعدهم من العلماء؟ وقد عقد كلٌ من أبى عمر بن عبد البر فى (جامع بيان العلم) وابن حزم فى (الإحكام فى أصول الأحكام) بابًا فى أقوال الصحابة المخالفة للسنة وما رد به بعضهم على بعض، ولولا ضيق المقام هنا لذكرت أمثلة منها. أما من جاء بعد الصحابة ومنهم فقهاء المذاهب الأربعة، فكما قال ابن تيمية

رحمه الله «وأما أقوال بعض الأئمة كالفقهاء الأربعة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا إجماع باتفاق المسلمين، بل قد ثبت عنهم -رضى الله عنهم- أنهم نهوا الناس عن تقليدهم، وأمروا إذا رأوا قولاً فى الكتاب والسنة أقوى من قولهم أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم»)[1].

هكذا انتقل الجهاديون من تطرف إلى تطرف وبينهما تخبط!!.

من تطرف فى الرفض إلى إسهال فى القبول ومن معسكر الخوارج الذين حملوا (سُيُوفَهمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ يضَعُونَهَا مَوَاضِعَ البَرَاءةِ وَالسُّقْم، وَيخْلِطُونَ مَنْ أذنَبَ بِمَنْ لمْ يُذنِبْ)[2] إلى موقع الإدانة المطلقة لكل الحركات الثورية والتحررية بدءا بالتحرك الثورى لسيد الأحرار أبى عبد الله الحسين!!.

أما من الناحية الفقهية فقد انتقلوا من التشبث بفتوى ابن باز والألبانى لقتل السادات وفتاوى عمر عبد الرحمن لسرقة محلات الذهب التى يمتلكها النصارى إلى موقف هلامى (بين المنزلتين) أثبتوا فيه أن (أقوال العلماء وفتاواهم ليست حجة فى دين الله وليست من أدلة الأحكام الشرعية المذكورة فى كتب أصول الفقه) وألا حجية لقول الصحابة كابرا عن كابر باستثناء (أبو بكر الذى لا تعرف له مخالفة للسنة، أما مخالفات عمر بن الخطاب فقليلة، وأما مخالفات على ابن أبى طالب فأكثر رضى الله عنه).

ياللعجب!!.

ناهيك عن أن (أقوال بعض الأئمة كالفقهاء الأربعة وغيرهم ليست بحجة لازمة ولا إجماع باتفاق المسلمين).

أما الوحيد الذى تؤخذ فتاواه من دون تحقيق ولا تمحيص فهو ابن تيمية الحرانى الملقب بشيخ الإسلام حيث يستدل الدكتور فضل أو سيد إمام بآرائه من دون حاجة أن يستدل له حيث نراه يكرر فتاواه فى كل شاردة وواردة:

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى كتابه «الصارم المسلول» ما حاصله «فمن كان متمكنًا فى أرض أو وقت عمل بآيات قتال المشركين وأئمة الكفر، ومن كان مستضعفًا عمل بآيات العفو والصفح والإعراض عن

---

[1] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/95467584.shtml

[2] نهج البلاغة خطبة ١٢٧

المشركين» ولابن القيم رحمه الله كلام مثله في كتابه «أحكام أهل الذمـــة». فالذى يجب على المتمكن لا يجب على المستضعف)[1].

(وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وإن كان قد قال «إن كفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي» في «مجموع الفتاوى ج٢٨»، وقال أيضًا «إن المرتد لا يهادن ولا يقر على الردة بالجزية كالكافر الأصلي»، إلا أن هذا كله عند قدرة المسلمين وعلوهم وتمكنهم من جهاد المرتدين)[2].

(قال ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية»: «إن الخروج علي أئمة الجور كان مذهبًا قديمًا لأهل السنة ثم استقر الإجماع على المنع منه»)[3].

وفي مجال النهى عن القتل بسبب اختلاف المذهب يقول الدكتور فضل: (ولا يجوز التعرض للمنتسبين إلى الإسلام بسبب اخـــتلاف المـــذهب فقـــد ظهرت في زماننا هذا كثير من البدع مثل: القتل على الجنســـية، والمظهـــر والهوية والقتل على الأسماء، والقتل على المذهب، ومنه قتل الشيعة، وهـــم فرقة من المسلمين منذ القرن الأول الهجري، وذكر شيخ الإسلام ابن تيميـــة رحمه الله في كتابه «منهاج السنة النبوية» أنه لم يقل أحد من علماء الســـلف بتكفير الشيعة في الجملة، هذا حاصل كلامه، والمسلم معصوم الدم والمـــال، إن خالف في المذهب)[4].

إنه من دون أدنى شك تخبط عقلى فقهى استدلالى إذ لا يوجد منهج عقلى يمكن له أن يجمع بين هذا الشتات!!.

كيف يمكن أن يصبح تخلى هذه الجماعات عن العنف مبررا كافيا لقبول هذا المنطق المتخبط؟!.

قلنا منذ البداية أن الإفراج عمن قضى محكوميته أو من لم تثبت عليـــه تهمة من الأساس هو حق قانونى وطبيعى ونهاية حتمية لهـــذا النـــوع مـــن الأحداث لا ينبغى مقايضتها بمراجعات مرتجلة واجبة على المجتمع بأســـره قبل أن تكون واجبة على هذه الجماعات التى هى فى النهاية ضـــحية ثقافـــة وفكر ما زال يحظى بالدعم والحماية والتمويل المليونى من حكومـــات مـــا زالت ترى فى هذا الفكر جزءا من رصيدها السياسى وأداة يمكن استخدامها

[1] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/95554203.shtml
[2] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/95648909.shtml
[3] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/95705093.shtml
[4] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/96071415.shtml

عند اللزوم لقمع التيارات الفكرية الأخرى سواء داخل منظومة الفكر الإسلامى أو التيارات الليبرالية العلمانية.

كانت ولا زالت مصيبة هذه الأمة فى مرجعيتها الفقهية عندما استبدلت الذى أدنى بالذى هو خير ونطق فيها الرويبضة من أمثال ابن القيم الذى يزعم أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى قال فيه رسول الله (من كنت مولاه فعلى مولاه) كان يخالف السنة؟!.

ياللكارثة!!

إن كان على بن أبى طالب إمام أهل البيت وخامس أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا يخالف السنة فمن يطبقها ومن يؤتمن عليها إذا؟؟!!.

هل أؤتمن عليها الرويبضة ابن تيميه وابن القيم؟!.

على ابن أبى طالب إمام أهل البيت وباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله الذى أوصى الرسول باتباعه ومعه أئمة أهل البيت عندما قال (إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وعترتى أهل بيتي) أصبح فى نظر هؤلاء النواصب مخالفا للسنة التى تمسك بها ابن تيميه وابن القيم وسار على خطوهم تلاميذهم من القتلة والإرهابيين ومصاصى الدماء!!.

وبينما يؤمن الشيعة المفترى عليهم أن المرجعية الفقهية للأمة الإسلامية قد انتقلت من الرسول الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله لأئمة أهل البيت وعلى رأسهم على بن أبى طالب يتخبط الآخرون فى تحديد هذه المرجعية فهناك من يجعلها فى مائة ألف صحابى أو يزيدون وهناك من يحصرها فى أئمة الفقه الأربعة، أما الجماعات الوهابية المسماة بالإسلامية فتجعلها لابن تيميه من دون أن يقدم لنا أى من هؤلاء دليلا قاطعا مانعا على صحة دعواه.

وقبل أن نغادر هذه المنطقة يتعين علينا أن نسجل نقطة إيجابية لصالح الدكتور فضل وهى عدم اعتداده بالقاعدة التى قام عليها الفكر السلفى المتجسد فى الفقه التيموى وهى الزعم (بحجية قول الصحابي) من الناحية الفقهية.

العنف والاجتزاء المنهجي

لا شك أن موجة العنف الأخيرة التى اجتاحت العالم الإسلامى لم تنشأ من فراغ حيث أسهم فى إشعالها وتأجيجها مجموعة من العوامل من بينها بكل تأكيد انتشار مؤلفات وأفكار شيخ الدماء المدعو ابن تيميه الحرانى المدعومة من قبل الاستخبارات البريطانية وهو الفكر الذى حملته الدولة السعودية الوهابية إلى أركان العالم الأربع وأنفقت فى سبيل ذلك عشرات المليارات من دولارات النفط بدلا من استثمارها من أجل انتشال العالم الإسلامى من الفقر والتخلف والجهل والمرض.

هكذا نرى أن الدكتور فضل ورغم كل ما قاله عن الفقهاء والدليل وأن الفقيه يستدل له ولا يستدل به يجتزئ من أقوال شيخ الدماء ما يوافق جنوحه إلى السلم ورغبته فى نبذ العنف ويتغاضى - أو لعله لا يعلم بدمويات ابن تيميه!!- وكيف لا يعلم وقد قام تنظيم الجهاد بكل ما قام به بناء على فتواه المسماة بفتوى الطائفة الممتنعة وهى الفتوى التى أصدرها شيخ الدماء والتى تقضى بإبادة الشيعة.

إن كان الرجل لم يقرأ الفتوى بنصها فتلك مصيبة وإن كان قرأها وغض الطرف عن نصها فالمصيبة أعظم!!.

كيف يمكن لعاقل أن يدرس ظاهرة واحدة حدثت على ساحة ممتدة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب دون أن يبحث عن العامل المشترك بين هذا الامتداد الجغرافى الشاسع.

فتش عن العامل المشترك بين الجماعة الإسلامية والجهاد والقاعدة وسترى بوضوح أن الاسم ذاته يلمع ويتكرر وهو شيخ الدماء ابن تيميه وستفهم لماذا يستدل به الدكتور فضل من دون حاجة لأن يستدل له!!.

هو من أمرهم أن يقتلوا ويدمروا وهو وحده من وجهة نظر الدكتور فضل من يمكن له أن يأمرهم بعكس ذلك!!.

دمويات ابن تيميه :

القارئ المتأمل لتاريخنا المسمى بالإسلامي سيرى بوضوح أن الحرب على التشيع لأهل البيت عليهم السلام شكلت أحد أهم وأكبر روافد نهر الدم الذى صبغ تاريخنا ثم واقعنا.

شبق دموى تملك بعض من مروا على تاريخنا ولم يكن صنيعهم أفضل من الجرائم التى ارتكبها المغول ثم جاء المشروع الوهابى البريطانى وأخرج هذه الصفحات السوداء من مزابل التاريخ وقدمها لأمة كانت دائما تصر على تسليم رأسها لأخبث أبنائها أصلا حتى أنها لم تجد من يحكمها من الأحرار من أهل البيوتات والعز والمجد والشرف فكانت تشترى العبيد للقيام بهذه المهمة!!.

من بين نجوم مرحلة التخلف والانحطاط كان شيخ الدماء الذى يفاخر (سليل بيت النبوة الشريف) الدكتور فضل بأنه لم يكن يكفر الشيعة جملة بل يكفرهم تفصيلا عندما ينقل عنه (وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لم يقل أحد من علماء السلف بتكفير الشيعة فى الجملة)[1].

من بين جرائم الإبادة الجماعية التى أشرف عليها وباركها شيخ الدماء فاستحق من أجلها لقب الشيخ المجاهد كانت مجزرة كسروان واقرأ معى تلك الصفحات السود!!.

ذكر المقريزى فى كتاب السلوك ما يلي: فى سنة ٧٠٤ هـ توجه شيخ الإسلام تقى الدين **أحمد بن تيمية** فى ذى الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصورى إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم. وفى المحرم ٧٠٥هـ: سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل جبال كسروان ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجالة شنق. فاجتمع له نحو خمسين ألف راجل وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوماً وملك الجبل عنوة ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً وعاد إلى دمشق فى رابع عشر صفر[2].

---

[1] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/96071415.shtml

[2] السلوك فى أخبار الدول والملوك ج٢ المقريزي.
http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=259&CID=42#s1

أما عن مبررات شيخ الإرهاب (الذى يصر البعض على وصفه برمـز التسامح) التى دعته للتحريض على شن حملة إبادة طائفية فيمكن التعرف إليه من خلال رسالة (شيخ الإسلام) لسيده العبد (الناصر قلاوون) والتى قال فيها:

أما بعد، فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين فى دولته نعما لم تعهـد فـى القـرون الخالية، وجدد الإسلام فى أيامه تجديدا بانت فضيلته علـى الـدول الماضـية، وتحقق فى ولايته ما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين، مـن جهـاد أعـداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان: أهل الفجور والطغيان، وذوو الغى والعـدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبا للعلو فى الإحن والفساد، وتركا لسبيل الهدى والرشاد، وهؤلاء هم التتار ونحوهم من كل خارج عن شـرائع الإسـلام. وان تمسك بالشهادتين.والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة، مثل هؤلاء الـذين غزوا بأمرَ السلطان من أهل الجبيل والجرد وكسروان. فإن ما منّ الله به مـن الفتح والنصر على هؤلاء الطغام، هو من عظائم الأمور التى أنعم الله بها علـى السلطان وأهل الإسلام. وذلك لأن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين، فى أمـر الدنيا والدين، فإن اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمـان، وأهـل بـدر وبيعـة الرضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وأئمة الإسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم. ومشايخ الإسلام وعبـادهم، وملـوك الإسلام وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم كل هؤلاء عندهم كفـار مرتـدون أكفر من اليهود والنصارى لأنهم مرتدون عندهم والمرتـد شـرّ مـن الكـافر الأصلي، لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو مرتد ومن استحل الفقاع فهو عندهم كافر. ومن مسح الخفين فهو عندهم كافر. ومن حرم المتعـة فهو عندهم كافر. ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو ترضى عنهم أو عـن جماهير الصحابة فهو كافر. ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو كافر. بل عندهم مـن قال ": الله يرى فى الآخرة" فهو كافر. ومن قال: "أن الله تكلم بـالقرآن حقيقـة" فهو كافر ومن قال "أن الله فوق السماوات" فهو كافر ومن آمن بالقضاء والقـدر وقال: "أن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وأن الله يقلب قلوب عبـاده. وأن الله خالق كل شيء" فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقـة أسـماء الله وصفاته التى أخبر الله بها فى كتابه، وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر. وهذا هو المذهب الذى تلقنه لهم أئمتهم مثل "بنى العود" فإنهم شيوخ أهل هذا الجبـل. وقد حصل بأيدى المسلمين عدة من كتبهم تصنيف "ابن العود" وغيره. وفيها هذا

وأعظم منه. وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم. لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلهم منهم، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية، فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق. فأعان الله ويسر بحسن نية السلطان، وهمته فى إقامة شرائع الإسلام، وعنايته وجهاده المارقين أن غزوا غزوة شرعية كما أمر الله ورسوله بعد أن كشفت أموالهم، وأزيلت شبهتهم، وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به. ولم نجد فى جبلهم مصحفا، ولا فيهم قارئ للقرآن وإنما عندهم عقايدهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة، واستحلوا بها دماء المسلمين فإذا كان على ابن أبى طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما فى عسكر الخوارج مع أنه قتلهم جميعا، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم، وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم على بن أبى طالب يوم الجمل أنه لا يقتل مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يغنم لهم مال، ولا يسبى لهم ذرّيّة لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سايغ، ومثل أولئك إنما يكون خارجا عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة الله وسننه، وهم شر من التتار من وجوه متعدد وقد **اتفق العلماء على جواز قطع الشجر وتخريب العامر عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس. وما أمكن غير ذلك، فإن القوم لم يحصر كلهم من الأماكن التى اختفوا فيها وييئسوا من المقام فى الجبل إلا حين قطعت الأشجار، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم.** فالحمد لله الذى يسر بهذا الفتح فى دولة السلطان، وبهمته وعزمه وأمره، وإخلاء منهم، وأيضا فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق، ما يرفع الله به درجات السلطان، ويعز به أهل الإيمان.

يبدو الفارق واضحا جليا بين مدرسة أهل البيت التى أوصدت بالضبة والمفتاح باب فوضى الفتاوى المفتوح أمام كل من هب ودب عند بقية المسلمين وهى الحالة التى تبدو واضحة فيما يقوله الدكتور فضل ويمكن لكل من شاء الإطلاع على ما جاء فى صدر الرسالة العملية التى أصدرها آية الله العظمى السيد على السيستانى فيما يتعلق بقواعد الفتوى والاجتهاد والتقليد.

يجب على كل مكلف أن يحرز امتثال التكاليف الإلزامية الموجهة إليه فى الشريعة المقدسة، ويتحقق ذلك بأحد أمور: اليقين التفصيلي، الاجتهاد، التقليد، الاحتياط، وبما أن موارد اليقين التفصيلى فى الغالب تنحصر فى الضروريات، فلا مناص للمكلف فى إحراز الامتثال فيما عداها من الأخذ بأحد الثلاثة الأخيرة.

الاجتهاد : وهو استنباط الحكم الشرعى من مداركه المقررة.
التقليد : ويكفى فيه تطابق العمل مع فتوى المجتهد الذى يكون قوله حجة فى حقه فعلاً مع إحراز مطابقته لها.

والمقلد قسمان :

١- من ليست له أية معرفة بمدارك الأحكام الشرعية.

٢- من له حظ من العلم بها ومع ذلك لا يقدر على الاستنباط. والاجتهاد واجب كفائي، فإذا تصدى له من يكتفى به سقط التكليف عن الباقين، وإذا تركه الجميع استحقوا العقاب جميعاً. المجتهد مطلق ومتجزئ، المجتهد المطلق هو (الذى يتمكن من الاستنباط فى جميع أنواع الفروع الفقهية)، المجتهد المتجزئ هو (القادر على استنباط الحكم الشرعى فى بعضها دون بعض)، فالمجتهد المطلق يلزمه العمل باجتهاده أو أن يعمل بالاحتياط، وكذلك المتجزئ بالنسبة إلى الموارد التى يتمكن فيها من الاستنباط، وأما فيما لا يتمكن فيه من الاستنباط فحكمه حكم غير المجتهد، فيتخير فيه بين التقليد والعمل بالاحتياط. عمل غير المجتهد بلا تقليد ولا احتياط باطل بمعنى انه لا يجوز له الاجتزاء به. المقلد يمكنه تحصيل فتوى المجتهد الذى قلده بأحد طرق ثلاثة:

(١) أن يسمع حكم المسألة من المجتهد نفسه.

(٢) أن يخبره بفتوى المجتهد عادلان أو شخص يثق بنقله.

(٣) أن يرجع إلى الرسالة العملية التى فيها فتوى المجتهد مع الاطمئنان بصحتها.

لا يجوز تقليد الميت ابتداءً، ولو كان أعلم من المجتهدين الأحياء.

الذى نخلص إليه أن حالة التخبط الفقهى الذى تعانى منه تلك الجماعات ليس قاصرا عليها وإنما هى آفة عامة كانوا هم من بين ضحاياها ولا يمكن لها أن تعالج من خلال تلك القواعد التى وضعها الدكتور فضل ويمكن لأى متابع أن يلاحظ حروب الفتاوى التى تشتعل بين الفينة والأخرى ومن أبرزها الحريق الهائل الذى تسبب فيه أخيرا فتوى رضاع الكبير.

الفقه والأحكام بطبيعتها عمل مؤسسي، وليس مقبولا ولا معقولا هذا الصراع الذى يشتعل بين المفتين المتنازعين على جمهور مذهبي واحد هذا يسير إلى الشرق وذاك يريد أن يأخذ الأمة نحو الغرب.

تخبط فكرى :

لم تقتصر حالة التخبط التى تعانى منها تلك الجماعات بعنف أو بدون عنف على الشأن الفقهى فهم أينما ساروا يخبطون خبط عشواء!!.

الفكر هو القاعدة الأساسية لأى عمل سياسي.

الواقع هو ابن التاريخ ولا بد لكى تقرأ الواقع أن تقرأ التاريخ قراءة فاحصة مدققة.

الذى نعرفه جيدا أن كل هذه الجماعات تخاصم قراءة التاريخ بل وتنهى عن ذلك ومن ثم فهم لا يملكون رؤية من أى نوع عن الأسباب التى أوصلت المسلمين إلى وضعهم الحالي.

سبقهم الإخوان إلى هذا التخبط عندما طرحوا سقوط الخلافة العثمانية كعلامة فارقة ثم جاءوا هم باندفاعهم ونزقهم فوقعوا بأسرهم فى الفخ!!.

أحد نماذج انعدام الرؤية التاريخية لدى الدكتور فضل وجماعته هو ذلك الهراء الذى تفوه به عن الإمام الحسين عليه السلام.

لماذا لم يسأل الرجل نفسه ومعه (خبير الجماعات) عن السبب الذى جعل من إقتداء حزب الله اللبنانى بالإمام الحسين واتخاذه مثلا أعلى منهجا أعانه على تأسيس تيار قاد مقاومة أجبرت العدو الصهيونى على الانسحاب من لبنان وقد أصبح الآن جزءا رئيسيا من المعادلة السياسية اللبنانية والإقليمية بل والعالمية فى حين أن إقتدائهم بتخرصات ابن تيميه جرهم وجر أوطانهم إلى هذا الواقع المزرى والمشين؟!.

يقول فيلسوف (الجهاد سابقا اللا جهاد حاليا):

وقد وقعت فى صدر الإسلام حوادث خروج على السلطان بسبب المظالم وقد نجم عن الخروج مفاسد كثيرة، والذين خرجوا كأهل المدينة فى الحرة

(٦١هـ) والحسين بن على رضى الله عنهما (٦٤هـ) وابن الأشعث (٨١هـ) وغيرهم أخذوا بعموم أحاديث تغيير المنكر باليد كحديث أبى سعيد مرفوعًا «من رأى منكم منكرًا فليغيره...» وحديث ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن...»، وهذا خطأ لأنه إذا جاز تغيير المنكر باليد عند القدرة بين الرعية فإنه لا يجوز مع السلطان للنهى الخاص الوارد فى ذلك وهو مقدم على الأمر العام الوارد فى الأحاديث السابقة، ومن النهى الخاص الوارد فى المنع من الخروج على السلطان قول النبى صلى الله عليه وسلم: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية» متفق عليه عن ابن عباس رضى الله عنهما. ولم يرخص النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلا إذا كفر السلطان لحديث عبادة بن الصامت مرفوعًا، وفيه «وأن لا ننازع الأمر أهله، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان») متفق عليه. وقد جمع البخارى هذا كله فى الباب الثانى من كتاب الفتن فى صحيحه. وفى كلامه عما حدث فى صدر الإسلام من حوادث الخروج على أئمة الجور قال ابن تيمية فى كتابه «منهاج السنة النبوية»: «إن الخروج على أئمة الجور كان مذهبًا قديمًا لأهل السنة ثم استقر الإجماع على المنع منه» رحمهم الله ورضى عنهم أجمعين[1].

مما يؤسف له أن المنظر الكبير لم يقرأ التاريخ وإنما أخذ من أفواه الرويبضة ابن تيميه ومن على شاكلته ولو قرأ الرجل لعلم أن واقعة استشهاد أبى عبد الله الحسين كانت عام ٦١ للهجرة أى قبل واقعة الحرة (٦٣هـ) بعامين.

الأمر الثانى هو ذلك الخلط الذهنى والتخبط اللذين يعيش فيهما الرجل رغم أنه يدعو الآخرين لمغادرة هذه الحالة ولكنه لا يقدر هو شخصيا على هذا والسبب هو ثقافة الارتباك وخلط الأوراق التى تربى عليها المسلمون قديما ويراد لها البقاء والاستمرار حتى آخر الدهر.

لماذا لم يسأل الرجل الفيلسوف المنظر نفسه: كيف يمكن أن يكون البخارى وابن تيميه حجة على أبى عبد الله الحسين؟!.

هذا من ناحية الشخص.

---

[1] http://www.egyig.com/Public/articles/books_studies/6/95705093.shtml

أما من ناحية العقل والمنطق فلو كانت هذه الروايات التي جمعها البخارى وغيره صحيحة فلماذا لم يعلم بها أبو عبد الله الحسين ولماذا لم يعمل بها؟!.

لو قرأ الرجل التاريخ من مصادره لفهم وأدرك أن تحرك أبى عبد الله الحسين جاء من أجل منع استقرار هذا الملك الاستبدادى العضوض الذى استقر بسبب الخذلان المبين من قبل المسلمين لسيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأن ادعاء القوم التمسك والعمل بكتاب الله وسنة رسوله هو ادعاء كاذب ويكفى خذلانهم للإمام على من قبل ثم الإمام الحسن وبعده الإمام الحسين دليلا على هذا الكذب والتلون فى دين الله.

لو قرأ الدكتور فضل التاريخ من مصادره ولم يأخذه من أفواه وعاظ السلاطين لعلم أن خروج الإمام الحسين لم يكن خروجا مسلحا على نظام ظالم ومستبد يريد أن يبتز المسلمين حقهم ويغصب إرادتهم وأن الجريمة التى ارتكبها الأمويون الغاصبون يمكن وصفها بالإرهاب المنظم من قبل عصابة غاصبة للسلطة ليس لها أى حظ ونصيب من الشرعية ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الإمام الحسين والجماعات الطالبانية المعاصرة التى خرجت على الناس تقتل البر والفاجر وتريد أن تغصب حقوق الناس.

ولذا فنحن ننصح الدكتور فضل أن يقرأ التاريخ من مصادره قبل أن يدلى بدلوه فى أى شأن من شئون المسلمين وإذا لم يكن الرجل متمكنا من ذلك فنحن ننصحه بقراءة كتابين من تأليف العبد الفقير هما (على خطى الحسين) و(الشيعة والثورة) ليوفر على نفسه وجمهوره المزيد من التخبط والعثرات.

الجهاديون والتقية!!

الدكتور ضياء رشوان (سُنى) وهذا حقه!!.

السنة المعاصرون يدينون التقية إدانة لا لبس فيها ويعتبرونها نوعا من النفاق رغم أن البخارى المقدس نقل عن الحسن البصرى قوله (التقية إلى يوم القيامة).

وبينما يسعى الخبير الهمام للتأكيد على صدق المراجعات مستدلا بأن قادة هذه الجماعات لا يؤمنون بالتقية تأتي وثيقة الدكتور فضل لتنسف هذا الهراء من جذوره حيث يقول تحت عنوان (المحافظة على نفوس المؤمنين): جواز كتمان الإيمان مثل «مؤمن آل فرعون» وجواز اعتزال الكفار كـ«أصحاب الكهف» في حالة الاستضعاف الشديد، وهذان الخياران ليس فيهما شيء من إظهار الدين للعجز عن ذلك، فكان الأولى المحافظة على نفوس المؤمنين، فأجاز الله كتمان الإيمان والتخفي به والعزلة قال الله تعالى «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» (غافر: ٢٨)، فشهد الله له بأنه مؤمن بالرغم من كتمانه إيمانه. وقال تعالى «وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ...» (الكهف:١٦)، وبالرغم من أن هؤلاء اختاروا العزلة إذ لم يمكنهم مواجهة قومهم المخالفين لهم فقد أثنى الله عليهم ووصفهم بأنهم «فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» (الكهف:١٣). فالخيار المناسب هو بحسب الاستطاعة ولا إثم في ذلك.

أليست هذه التقية بعينها؟!.

والمعنى أن الدكتور الخبير يهرف بما لا يعرف ويسمي الأشياء بغير اسمها ولا يعرف الفارق الجوهري بين التقية عند الشيعة والتقية التي يمارسها التكفيريون حيث يجوز للمضطهد بسبب مذهبه أن يتصرف كبقية المسلمين رغم اختلاف المذهب.

المسلم المتشيع لأهل البيت يجوز له أن يتصرف مثل المخالفين في المذهب فيصلي ويصوم وفقا لأحكام المذاهب الأخرى ليتجنب الإيذاء والضرر الواقع عليه.

هذا داخل المجتمع المسلم الذي يمارس الطائفية والقمع على الخلفية المذهبية أما عند زوال المبرر فلا مجال للتقية.

ولكن ما هو هدف التقية بالنسبة لأعضاء الجماعات الإسلامية إلا إذا كانوا يعتقدون أن غيرهم كافر وإن صام أو صلى أو شهد ألا إله إلا الله!!.

فات الدكتور الخبير أيضا أن التقية ليست اختراعا شيعيا كما يتوهم ويبدو أن أغلب معلوماته من النوع السماعي ولو أنه قرأ البخاري لتأكد من صحة ما نقوله.

قال البخارى فى كتاب الإكراه :

قول الله تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} /النحل: ١٠٦. وقال: {إلا أن تتقوا منهم تقاة} /آل عمران: ٢٨/: وهى تقيَّة. وقال: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض - إلى قوله - عفوًّا غفوراً} /النساء: ٩٧ - ٩٩/. وقال: {والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً} /النساء: ٧٥. فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون إلا مستضعفاً، غير ممتنع من فعل ما أمر به. وقال الحسن: التقيَّة إلى يوم القيامة.

خلاصة :

(لاَ تَرَى الْجَاهِلَ إلاَّ مُفْرِطاً أوْ مُفَرِّطاً). على بن أبى طالب.

توجز هذه الكلمات سيرة هذه الجماعات من التطرف والإفراط إلى التفريط والانهيار ومعتمدهم فى هذا وذاك هو فتاوى شيخ الدماء ابن تيميه الحراني.

الجهل والنزق والاندفاع وراء أهواء الذات شكلت أهم العوامل وراء موجات الهجوم الجماعاتى الانتحارى التى شغلت الساحة منذ أربعينات القرن الماضى حينما قرر الأب المؤسس لتلك الجماعات حسن البنا السعى لتأسيس دولته الإسلامية.

تلك الهجمات والانتفاضات العشوائية التى كلفت جماعته وأغلب بقاع العالم الإسلامى ثمنا باهظا من انعدام الاستقرار وقدمت مبررا تسوق حكومات ظالمة ومستبدة أكثر وجهلا وأكثر بطشا لقمع شتى صنوف الحريات الأساسية وإيقاف عجلة تطور وتقدم هذه المجتمعات.

منذ أربعينات القرن الماضى ونحن نعيش هذا الصراع المشين بين الميليشيات والعصابات الحاكمة.

العصابة الحاكمة تروج الآن لهذه المراجعات باعتبارها انتصارا أيديولوجيا لا يقل فى قيمته عن انتصار الليبرالية على الشيوعية ولذا فهى تجند وتنشط (فرقة مصر للأفراح والليالى الملاح) بقيادة ضياء رشوان وأحمد الخطيب للاحتفاء بهذا (الانتصار التاريخي) مثلما احتفت أوساط الرأسمالية العالمية بانتصارها ودونت ذلك فى كتاب فوكوياما (نهاية التاريخ).

هذا هو الفارق بيننا وبين العالم.

فى العالم يحتفل الناس بإنجاز حقيقى حتى ولو كان مختلفا عليه.

أما نحن فنقتل ونفجر ونذبح وعندما يعلن فرسان الذبح والإبادة توبتهم نسمى هذا (إعادة مزدوجة للقراءة تضمنت عمليتين سارتا بشكل متواز ومتداخل ونقد عميق وجذرى للأفكار وصياغة نسق فكرى وأيديولوجى جديد منقطع الصلة بالقديم).

إنها حقا نهاية التاريخ ولكن على الطريقة المصرية!!.

دكتور أحمد راسم النفيس

٢٠٠٧/١٢/٥

بين يدى هذا الكتاب

السائر على غير بصيرة كالسائر على سراب بقيعة لم تزده شدة السير إلا بعدا.

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

هذا هو شأن كل من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة.

ويزداد الأمر خطرا حينما يكون الخلاف حول الدين، وحين يكون خصومك فى الرأى من ذلك الصنف الذى لا يتورع عن استخدام أى نوع من الأسلحة فى معركته ضد من يعتبرهم أعداء لهذا الدين وفقا لتصوره، بعد أن صارت الجماعة هى الدين وصار الدين موجودا داخل الجماعة حصرا خاصة بعد أن أعلنت الجماعة امتلاكها للفهم الشامل الكامل للإسلام بوضع اليد، ومن يومها أصبح توجيه النقد للجماعة التنظيم هو عدوان صريح على الدين والإسلام والمسلمين، ومما زاد الطين بلة أن الكثير ممن هاجموا تلك الجماعات إنما فعلوا ذلك من منطلق العداء للدين ذاته، أو أنهم بسبب فرط جهلهم لم يفلحوا فى التمييز بين نقد هذه الجماعات ونقد الدين ذاته مما أكسبها سمعة المدافع الوحيد عن الدين فى وجه أعدائه.

الأمر الثانى هو أن تلك الجماعات التنظيمات ولإثبات صحة نسبها الزائف والمنتحل ادعت أنها الممثل الشرعى والوحيد (لأهل السنة والجماعة- الفرقة الوحيدة الناجية من النار)!!.

تلك الأكذوبة الخالدة، وهى أكذوبة لأنه لا أحد من هذه الفرقة ولا غيرها بإمكانه الجزم بنجاته من النار وهى خالدة، لأنها من صنع وابتكار المؤسسات الكهنوتية التى أرادت ونجحت فى تزييف وعى الأتباع ودفعهم للانقياد الأعمى للمؤسسة، ومنعهم من البحث الحر عن الحقيقة خارج الأسوار رغم أن هذه المؤسسة، باعت الدين والأتباع للسلطة وأهلها بثمن بخس دراهم معدودة.

المهم فقد انتشرت فجأة على الساحة الإسلامية تلك التنظيمات التى تدعى كلها ادعاءات متشابهة بل ومتنافسة يدحض بعضها بعضا فى حقيقة الأمر، وانتهى مهرجان الادعاءات بعدة أمراء للمؤمنين كلهم يزعم أنه واجب السمع والطاعة وأنه من مات وليس فى عنقه بيعة لذلك الغلام فى الجزائر أو أفغانستان أو ذلك الشيخ فى القاهرة أو السودان مات ميتة جاهلية وسيدخل النار، والمهم أن كل هذا قد جرى بموجب الانتماء لأهل السنة والجماعة التى يفترض أنها فرقة وحيدة متوحدة وأن هؤلاء الأماجد هم ورثتها الشرعيون!!!.

لا بأس فهكذا قالت لنا المؤسسة الكهنوتية (أغمض عينيك واتبعنى أدخلك الجنة ولن تمسك النار إلا أياما معدودة.. تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!!!.

يبقى الجانب الأهم فى رؤيتنا لواقع تلك الجماعات وهو الأمر الذى يخصنا وتحديدا طبيعة العلاقة بين تلك الجماعات والمجتمعات الإسلامية التى تعيش فيها، وهل هى علاقة جدل سياسى وفكرى صحى أم أنها علاقة تناقض واضحة أو خفية. وربما كان التناقض الخفى أشد خطورة من التناقض الواضح والمعلن فلو كانت هذه الجماعات أو التنظيمات تقتصر فى مهمتها على توجيه عملية التغيير الاجتماعى من خلال أطروحاتها الفكرية والسياسية لما كان هناك من تناقض حقيقى مهما كان رأينا فيما تطرحه من مواقف وآراء وهو حق طبيعى لكل إنسان يعيش على ارض الوطن مسلما كان أن غير مسلم.

أما أن تدعى فئة أو مجموعة من البشر كبيرة كانت أو صغيرة حق التصرف فيما هو شأن عام لمجموع الأمة، ونعنى من بين ما نعنى قضية وجود هذه الأمة أما ما يسمى (بالجماعة) فضلا عن قضية الإمامة أى إمامة كل الأمة، فتلك هى الكارثة التى ما بعدها كارثة وهو ما سنبينه فى هذا الكتاب.

وهناك شأن آخر على صلة وثيقة بالأمرين السابقين ألا وهو أدوات الصراع السياسى المستخدم من قبل تلك الجماعات التى تطلق على نفسها وصف الشمولية، ألا وهو ادعاؤها الحق فى استخدام أى وسيلة لفرض الذات طالما هى قادرة على استخدامها وتبريرها من خلال أجهزتها التبريرية الناشطة والتى تستغل جهل الجماهير من الأصدقاء والخصوم على حد سواء بحقائق التاريخ المعاصر لتلك الجماعات الذى لم يجف مداده بعد.

فهاهو المستشار الهضيبى المرشد السابق لتلك الجماعة وفى معرض إجابته على سؤال وجه إليه (البعض أخذ على الإخوان أنهم دخلوا النقابات بمفهوم المغالبة وليس المشاركة بمعنى أنهم يحصلون على كل المقاعد فى مجلس النقابة الأمر الذى لا يتيح لتيارات سياسية أخرى فرصة المشاركة) فارتدى السيد المستشار مسوح الديمقراطية وقال (عندما نجح تونى بلير فى الانتخابات وأراد تشكيل الوزارة هل عين بها أحدا من حزب المحافظين أم أنها كانت كلها من حزب العمال). وانطلق المستشار الراحل يعطى محدثه دروسا فى الديمقراطية قائلا (الحياة النيابية أساسها أن الناس تنتخب وتختار ومن يتم اختيارهم يكونون هم أصحاب القرار فإذا جاءت إرادة الانتخابات بمجموعة فيجب أن تتولى هى العمل أما التباكى على عدم التمثيل فى النقابة فهو بكاء التماسيح) كتاب الأخوان المسلمون ٦٠ قضية ساخنة.

ما قاله السيد المستشار يمكن أن يكون صحيحا من ناحية الشكل الديمقراطى وخاصة إذا تعلق الأمر بالمنافسة بين الأحزاب السياسية أو الجماعات المتماثلة من ناحية النوع. فالانتخابات عادة ما تجرى بين أحزاب أو كيانات سياسية وليست جماعات دينية، فالحزب السياسى يمثل عادة مجموعة من الأفكار الاجتهادية وهو يمثل قطاعا من أى فئة أو حتى من أصحاب أى دين يلتفون حول برنامج حزبى سياسى، ولا يمكن لأى حزب أن يزعم لنفسه امتلاك تلك المنظومة الشاملة من الأفكار التى تزعم تلك الجماعة امتلاكها هذا من الناحية السياسية.

أما من الناحية التنظيمية التمثيلية فما يقوله المستشار الراحل عن ديمقراطية الإخوان وعن حقهم فى دخول اللعبة السياسية (وهو حق لا ننكره ولا ننادى بمصادرته) ينطبق أيضا على بقية الجماعات مثل الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة، التى تتجاهل مصيرها الجماعة الأم وتنادى بحقها هى دون حقوق باقى الإخوة الذين ساروا على دربهم واهتدوا بهديهم فى التنظيم والتكوين... والسؤال هو.. هل يرى الإخوان المسلمون أنفسهم

مجرد حزب سياسى يمكن له التنافس مع بقية الأحزاب على قدم المساواة كما يفعل حزب العمال البريطانى فى مواجهة حزب المحافظين؟؟.

الجواب معروف ولا بأس من تذكير القوم بالمأثور عن إمام الجماعة (عفوا إمام الأمة حسب رؤيتهم) والذى ما زال البعض يصر على اعتبار منهجه هو المنهج القويم وصراطه كان الصراط المستقيم وأن الانحرافات التى تمارسها الجماعة فى ثوبها المعاصر جاءت بسبب انحرافها عن منهج (الإمام المؤسس).

يقول (إمام الإخوان) : "**أيها الأخوان بل أيها الناس أجمعون لسنا حزبا سياسيا وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا ولسنا جمعية خيرية إصلاحية ولسنا فرقة رياضية ولكننا أيها الناس فكرة وعقيدة..نظام ومنهاج لا يحده موضع ولا يقيده جنس ولا يقف دونها حاجز جغرافى نحن أيها الناس ولا فخر أصحاب رسول الله وحملة رايته من بعده ورافعو لوائه كما رفعوه وناشرو لوائه كما نشروه وحافظو قرآنه كما حفظوه ورحمة الله للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين**".

مجموعة رسائل حسن البنا ص ١٩٧-١٩٨.

" **أيها الأخوة إنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس وإنكم العقل الجديد الذى يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل وإنكم دعاة الإسلام وحملة القرآن وصلة الأرض بالسماء وورثة محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاء صحابته من بعده وبهذا فضلت دعوتكم الدعوات وسمت غايتكم على كل الغايات**" ص ٢٠١-٢٠٢ نفس المصدر.

الله أكبر الله أكبر كل هذه الصفات فى جماعة أنشأها حسن البنا عام ١٩٢٦ أى بعد عصر النبوة بثلاثة عشر قرناً!!!.

الله أكبر ما كل هذه العظمة؟؟ وإذا كان الإمام المؤسس صاحب هذا الكلام الدعائى الفخم الضخم هو من علم أصحابه التواضع لرب العالمين فمن ذا الذى إذا علمهم الغرور الزائف والانتفاخ من دون معنى ولا مبنى؟؟!!.

إن هذا المنطق الذى ورثه الأخوان عن إمامهم هو المسئول الأول عن أغلب ما لحق بهم من كوارث ارتبطت بنهجه هو وسياساته مباشرة لا بأخطاء ارتكبها من جاءوا بعده، وهو فى نفس الوقت الذى أعماهم عن مراجعة ما وقعوا فيه من أخطاء دفعتهم لإلقاء كامل المسئولية دائما على خصومهم السياسيين مثل جمال عبد الناصر رغم أنه خرج من بين صفوفهم.

والأغرب من هذا أن هذه الخطب التى يصف فيها الإمام أتباعه ومن ثم نفسه بتلك الصفات تمثل نموذجا فاضحا من نماذج الغلو والتطرف الذهنى، ولو أننا وصفنا أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بشيء من هذه الصفات رغم اتصالهم المباشر والواضح بالدوحة المحمدية الباسقة لجرى وصفنا بالغلو والتطرف والكفر والإلحاد.

وإذا كانت هذه هى رؤية إمام الأخوان لأتباعه أو لصحابته، فمن يكون خصومهم السياسيين سوى أبى جهل وأبى لهب وأبى سفيان (رضى الله عنه!!).

وهل كان من الممكن أن يقبل الصحابة الأولون بالتنافس الديمقراطى مع من حاول أن يصدهم عن دين التوحيد أو مع أحفادهم العلمانيين؟؟!!.

وبالرغم من تلك الصبغة الأسطورية التى حاول إمام الجماعة أن يضفيها على تنظيمه، وقد نجح بالفعل فى بث هذه الخرافات فى عقولهم، نراه عندما يتحدث فى شئون السياسة ينحو منحى واقعيا وإن لم يكن عقلانيا محاولا إخلاء الساحة من منافسيه عبر إقناعهم بإخلاء الساحة من كل من عداه من الأحزاب والأفكار فهو وحده (حامل ميراث النبوة... اللواء والقرآن) فنراه يقول "**ويعتقد الأخوان أن الحزبية قد أفسدت على الناس حياتهم وعطلت مصالحهم وأتلفت أخلاقهم (؟؟!!) ومزقت روابطهم وكانت لهم فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر، ويعتقدون كذلك أن النظام البرلمانى فى غنى عن نظام الأحزاب بصورته الحاضرة فى مصر، وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية فى البلاد الديمقراطية. فالحجة القائلة بأن النظام البرلمانى لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك فى الإمكان(...).**

"**كما يعتقد الأخوان أن هناك فارقا بين حرية الرأى والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة وهو ما يوجبه الإسلام، وبين التعصب للرأى والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هذا الانقسام فى الأمة وزعزعة سلطان الحكام وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه اشد التحريم**" ص١٤٦-١٤٧ نفس المصدر.

أما إلغاء الحياة الحزبية واتباع سياسة الحزب الواحد القائد والرأى الواحد السائد هو أمر فى الإمكان، فقد تبين بعد ذلك بالفعل صحة كلام إمام الأخوان، عندما نجح تلاميذ الإمام من ضباط الجيش فى الانقلاب على النظام الدستورى القائم فى مصر. آنئذ وحل كل الأحزاب وحققوا أمنية (الإمام)

ومن يومها إلى يومنا هذا فنحن ما زلنا نعيش (أزهى عصور الديمقراطية التي تمناها لنا ذلك الإمام!!).

أما عن رؤية (الإمام) السياسية للديمقراطية والشورى التي تكشفها تلك السطور المعبرة فلا تحتاج إلى شرح ولا تفسير، إذ أنه يرى الشورى غير ملزمة كونها تزعزع سلطان أسيادنا من الحكام وهو (ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم)!!.

ولكن عن أي إسلام يتحدث الإمام؟؟.

إنه يتحدث عن إسلام ابن حنبل وابن عبد السلام وغيرهم من وعاظ السلاطين، الذين يرون وجوب السمع والطاعة للحاكم المتغلب برا كان أو فاجرا ما لم يأمر بمعصية أو يأت بكفر بواح، إلى آخر تلك الترهات التي جعل منها القوم دينا يدينون به.

أي أنه كان يسعى للإطاحة بديمقراطية ناشئة من أجل أن يأتي بديكتاتورية تحكم باسم الدين ولكن أي ديكتاتورية أرادها (الإمام)؟؟.

الجواب سنراه في أحداث ١٩٥٤.

لم يتوقف إمام الإخوان في سعيه الدؤوب للإطاحة بالتعددية السياسية عند حدود الأقوال بل تخطاها إلى الأفعال التحريضية عندما قاد وفدا من (المصلحين) السائرين على نهجه "فطلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج في هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام" وهو يردد "أن الأخوان يعتقدون من قرارة أنفسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن) نفس المصدر.

أي أن الإمام كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه ناسيا أن المناخ الذي سمح له بالتجرؤ على المطالبة بحل الأحزاب وتشكيل هيئة من (المصلحين) تتوجه إلى (فاروق الأول ملك البلاد)، كان مناخ التعددية الذي سمح له ولأتباعه من بعده باستمراء ثقافة القتل والتحريض، وأنه هو وجماعته خير من انطبق عليهم كلامه واتهامه **(التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هذا الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه اشد التحريم).**

فالمشكلة لم تكن يوما ما فى التعددية الحزبية ولا تعددية الآراء التى يمكن من خلالها تبين وجوه الآراء ومعرفة وجه الخطأ من الصواب، بل فى ثقافة التحريض على القتل التى أتقنها هذا الصنف من البشر والتى تسببت بعد ذلك فى قتله (رأسا برأس) وانتهاء وجودهم كجماعة منظمة مسلحة تنظم المسيرات وتجيش الجيوش. ولكنهم وللأسف الشديد لم يذهبوا إلى الحفرة بمفردهم بل أخذوا معهم كل الحريات التى كانت موجودة آنئذ ولا زلنا فى انتظار الفرج الإلهى حتى نخرج من هذا النفق المظلم.

ذهب إمام الإخوان إلى ربه وترك لنا تركة مثقلة من هؤلاء الأتباع الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، والذين بقوا بعد رحيل إمامهم المؤسس يخططون فى الظلام من أجل قلب نظام الحكم وتحقيق وهمهم فى إقامة دولتهم ودونكم شهادة أخرى تكشف عن تعاسة هؤلاء القوم وتعاسة أمة ابتليت بهذا النمط الفكرى. إنه الأستاذ صلاح شادى فى كتابه (صفحات من التاريخ- حصاد العمر) يروى لنا دورهم فى الانقلاب على الديمقراطية فيقول **(وتمضى بنا أحداث الكتاب لتقدم لنا جانبا آخر من عظمة تلك الجماعة عندما تصارعها مظالم عبد الناصر وهى مظالم لم تنل رجالها وحسب بالقهر والقتل والتعذيب وإنما تناولت بالتشويه مواقفها من الأحداث فقد تنكر عبد الناصر ومعه ثمانية من أعضاء مجلس قيادة الثورة لبيعتهم مع الإمام الشهيد والصاغ محمود لبيب وعبد الرحمن السندى بعد نجاح الحركة فى الوقت الذى تأخر فيه موعد قيامها فى يوليو ١٩٥٢ يوما فى انتظار موافقة المرشد حسن الهضيبى الذى ذهب نفر من الأخوان إلى الإسكندرية للحصول على موافقته.. كل هذه الوقائع وغيرها أسدل عليها ستار من التعتيم حتى لا يظهر موقع الأخوان من هذه الحركة، وحتى يتيسر لقادتها التحرر من كل قيد حتى ولو كان هذا القيد عهدا مع الله يقوم على حكم مصر حكما إسلاميا رشيدا بعيدا عن سلطان الغرب والشرق على حد سواء)** ص ١٣ من الكتاب المذكور.

ولا أدرى من هو المسئول عن إسدال الستار على هذا الارتباط بين الحركتين بدلا من إعلان الحقيقة ووضع المسئولية على عاتق الفاعلين الأصليين (أى الأخوان المسلمين)، وهم من ارتكبوا فى حقنا هذا الجرم البشع. ولا شك أن تبجحهم بدورهم يعنى أنهم لا يميزون بين الخطأ والصواب ولا بين ما يضر الناس وأولهم هؤلاء المتبجحون وبين ما ينفعهم.

ولا شك أن هذا التعتيم قد أفاد الأخوان ظنا من جماهيرنا المغيبة عن الوعى أن المعركة بين الإخوان وشركائهم من العسكر، كانت بسبب قرار مفاجئ بالانقضاض على الإسلام ورموزه فى الأرض أى الإخوان وليس صراعا على السلطة بين الجماعة وشركائهم من العسكر.

ولذا تبدو الضرورة ملحة لكشف الجذور الفكرية لتلك الجماعات لنثبت أن كل ما بنى على باطل فهو باطل وأن الزبد لا بد له أن يذهب جفاءا وأما ما ينفع الناس فلا بد له أن يمكث فى الأرض.

نظرة عامة على واقع الأمة الإسلامية

تختلف النظرة التحليلية لواقع الأمة الإسلامية باختلاف طبيعة المحللين ومواقفهم الفكرية والأخلاقية، فهناك من يبالغ في قبول الواقع الراهن كما هو لدرجة الانبطاح أمام كل منجزات السلطة أيا كانت هذه السلطة حتى ولو كانت تغير مواقفها مرتين في السنة الواحدة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين والعكس، وهناك أيضا من يبالغ في رفض هذا الواقع حتى ولو أدى به هذا إلى تكفير الناس واعتزالهم تمهيدا لسفك دمائهم.

إن هذا التفاوت الواضح والملموس في مواقف الناس ورؤاهم السياسية إنما هو فرع على تصورهم للواقع وكل هذا ينبني على قراءتهم لتاريخ الأمة الإسلامية الذي بدأ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ويمكننا أن نلخص هذا الجدل الدائر في مدرستين:

المدرسة الأولى:

١- روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنه قـال: (فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَـادَةِ الأَوْثَـانِ إِلَـى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآن قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَـهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَـقَ مَـنْ مَحَـقَ بِالْمَثُلاَتِ، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ! وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَـيْكُمْ مِـنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِـذ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيق وَاحِـد لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْو؛ فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لاَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُـدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَـا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُـلَّ مُثْلَـة، وَسَـمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ الْعُقُوبَةَ السَّـيِّئَةَ. وَإِنَّمَـا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَـزَلَ بِهِـمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُـلُّ مَعَـهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ اتَّخَـذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) فَإِنَّ جَارَ اللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَـائِفٌ، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَـةَ الَّـذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ الَّـذِينَ يَعْلَمُـونَ مَـا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَـارَ الصَّـحِيحِ مِـنَ الأَجْرَبِ، وَالْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْـدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُـوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ؛ فَالْـتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِـرُكُمْ

حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصمتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ). خطبة ١٤٧ نهج البلاغة.

٢- كما روى الشريف الرضى فى النهج عن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام أن رجلا قام إليه فقال (أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله ص فقال عليه السلام إنه لما أنزل الله سبحانه قوله تعالى "آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التى أخبرك الله بها فقال يا على إن أمتى سيفتنون بعدى فقلت يا رسول الله أو ليس قد قلت لى يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنى الشهادة فشق ذلك على فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر وقال يا على إن القوم سيفتنون بعدى بأموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله بأى المنازل أنزلهم عند ذلك أبمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟؟ قال بل بمنزلة فتنة.

٣- وقد روى ابن أبى الحديد نفس الرواية باختلاف بسيط عن على عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب على جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التى كتب على الجهاد قال قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأى رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون ما أشهد قال على الإحداث فى الدين وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله إنك كنت قد وعدتنى الشهادة قال فستستشهد وتضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذا؟؟ قلت يا رسول الله ليس هذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لى قليلا فقال إن أمتى ستفتن من بعدى فتتأول القرآن وتعمل بالرأى وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا

قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور تقاتل علـــى تأويـــل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حـــالهم الأولى فقلت يا رسول الله بأى المنازل أنزل هؤلاء المفتونين مـــن بعدك بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل فقلت يا رسول الله أيدركهم العـــدل منـــا أم مـــن غيرنا قال بل منا بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ألف بين القلوب بعـــد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله علـــى مـــا وهب لنا من فضله) شرح النهج ج٢ ص ٤٦١-٤٦٢.

٤- كما روى الشريف الرضى فى نهج البلاغة خطبة ١٥٠: حَتَّـــى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ (صلى الله عليه وآله)، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَـــابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْـــوَلاَئِجِ، وَوَصَـــلُوا غَيْـــرَ الـــرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِى أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِب فِي غَمْرَة، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُـــنَّة مِـــنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِن.

٥- روى الشريف الرضى فى نهج البلاغة ١٥١ عن الإمام على بـــن أبى طالب قال: أَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْـــدُهُ وَرَسُـــولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ لاَ يُوازَى فَضْلُهُ، وَلاَ يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلاَدُ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّـــاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَة وَيَمُوتُـــونَ عَلَى كَفْرَةٍ! ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَـــاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَـــامِ الْعِشْـــوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَـــا، وَانْتِصَـــابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَـــى فَظَاعَـــة جَلِيَّةٍ، شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلاَمِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلاَمِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَد بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِـــي دُنْيَا دَنِيَّة، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَة مُرِيحَة، وَعَنْ قَلِيل يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِـــنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْـــدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُـــوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَة، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْـــدَ سَـــلاَمَة، وَتَخْتَلِـــفُ

الأهواء عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الآراء عِنْدَ نُجُومِهَا مَنْ أشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، يَهْرُبُ مِنْهَا الأكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الأرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاق! تُقْطَعُ فِيهَا الأرحام، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الإسلام! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!.

٦- نهج البلاغة ١٥٢: فَقَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لاَمِعٌ، وَلاَحَ لاَئِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً، وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ. وَإِنَّمَا الأئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللهَ خَصَّكُمْ بالإسلام، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذلِكَ لأنَّهُ اسْمُ سَلاَمَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ، لاَ تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لاَ تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلاَّ بِمَفَاتِحِهِ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

٧- نهج البلاغة ١٥٤ قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ والأصحاب، وَالْخَزَنَةُ والأبواب، [وَلاَ] تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً. فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا. فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخرة، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ. وَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!

٨- نهج البلاغة ١٥٨ أرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ المُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ المُقْتَدَى بِهِ ذَلِكَ القُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالحَدِيثَ عَنِ المَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلاَ فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ العَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالمَقِرِ وَلِبَاسِ شِعَارِ الخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الآثَامِ. فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا وَلاَ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الجَدِيدَانِ!.

٩- نهج البلاغة ٩٧. وَاللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ البَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ العَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ (العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ).

١٠- نهج البلاغة ١٠٧: مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بُكْماً! رَايَةُ ضَلاَلَةٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ المِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ؛ فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ القِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ العِكْمِ، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ المُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلاَصَ الطَّيْرِ الحَبَّةَ البَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الحَبِّ. أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ المَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ

الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ.فعِنْدَ ذلِكَ أخَذَ البَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظَمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ البَاطِلِ بَعْدَ كُظُوم، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ. فَإذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أَهْلُ ذلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الإسْلاَمُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.

١١- شرح نهج البلاغة ج٢ ١٧١ (ثم التفت عليه السلام يمينا وشمالا فقال ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الرققة فصار عليهم عارا وشنارا إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) يرى الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله وأيما رجل استجاب لله وللرسول وصدق بملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا وثوابا وما عند الله خير للأبرار وإذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلما حرا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم) ثم نزل.

الإمام على وقراءته لمسار الأمة الإسلامية:

إنه على بن أبى طالب الذى لم تعرف له البشرية بعد رسول الله مثيلا وهيهات هيهات وأين الثرى من الثريا. إنه فارس الإسلام الأول الذى لم تأخذه فى الله يوما لومة لائم ولا عذل عاذل وارث علم رسول الله وابن عمه الذى كان بمنزلة هارون من موسى، إلا انه لا نبى بعد محمد وزوج سيدة نساء العالمين وخاتم الوصيين لخاتم المرسلين وباب مدينة علم رسول الله وحكمته.

القراءة العلوية لمسار التاريخ الإسلامى وحركة الأمة لم تكن يوما ما مجرد قراءة تنبؤية كما يتوهم القارئ السطحى، بل كانت قراءة واقعية استشرافية إذ أن القراءة الصحيحة والعميقة للواقع تعين على استقراء المستقبل بصورة دقيقة تكاد تصل إلى حد التنبؤ، حتى ولو لم يكن الإنسان على اطلاع بما يحمله اللوح المحفوظ، فما بالك إذا كان موصولا بعلم النبوة وبخطها الموصول مع العلم الإلهي.

القراءة السطحية الظاهرية كثيرا ما تأخذ الإنسان بعيدا عن الحقيقة جريا وراء ظواهر الأشياء (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون).

إنه أى المنهج العلوى وحده القادر على تتبع حركة التاريخ فى الحاضر كما فى المستقبل، وهى رؤية لا تغفل أى بعد من أبعاد التكوين الإنسانى أو المجتمعى، فلا تغفل الأبعاد المادية من طمع وحرص إنسانى فردى أو جماعى جرى (اكتشافه) بعد ذلك بقرون وتسميته بالصراع الطبقى ولا تعول عليه وحده فى تفسير العديد من الظواهر التى برزت خلال حركة المسار الإنسانى الإسلامى أو غير الإسلامي.

نرى تشخيصا دقيقا وواضحا لكل الأبعاد والدوافع التى حكمت السلوك البشرى فى التحليل (العلوي) لواقع الأمة ومسارها السياسى والاجتماعى المستقبلى، بما فيها البعد القبلى أو العصبى الذى جرى (اكتشافه) بعد ذلك على يد عبد الرحمن بن خلدون الذى انهالت عليه الأوسمة والنياشين من قبل أناس لم يتعمقوا يوما فى الاطلاع على تراثهم الفكرى، لأنهم سقطوا فى الفخ الأموى الإرهابى الذى مازال منصوبا حتى الآن فى قلب الحلبة الثقافية، والذى يرغم الكتاب والمفكرين على تجاهل كنزهم الأصيل والإعراض عنه خوفا من الاغتيال المعنوى الذى سيتعرضون له فور اتهامهم بالانحراف العقائدى والتشيع لأهل البيت عليهم السلام، وهو الداء الذى قل من سلم منه

من مفكرى هذه الأمة التعيسة البائسة الذين ينتظر منهم تغيير الواقع ومجابهة قوى الانحراف والفساد والتضليل، إلا أن أيا منهم ليس على استعداد لمواجهة الفاشية التكفيرية الملتحفة بالدين، فترى البعض منهم لا يبالى بمواجهة تهمة اعتناق الأفكار المادية، بينما يبقى حريصا على وصف نفسه بأنه من (أهل السنة والجماعة).وهكذا فقد رأينا كيف أن كاتبا أو مفكرا يؤمن بالتحليل الماركسى المادى لحركة التاريخ ولكنه يحرص دائما على نفى التهمة الأخطر وهى التشيع لأهل البيت عليهم السلام.

أولا: الخلل البنيوي.

تباينت آراء المسلمين حول مسار تاريخهم، فهناك من يرى أن عملية البناء السياسى والمجتمعى قد اكتملت عشية رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا، ومن ثم فهم يعتقدون أن ما جرى يوم السقيفة مثل عملية انتقال طبيعي وهادئ للسلطة من الرسول الأكرم ص إلى خليفته من بعده أبى بكر بن أبى قحافة (وهو ما يعتبره القوم أروع مظاهر الديمقراطية التى لم يشترك فيها إلا ستة نفر من بين آلاف المسلمين، بينما هم يصرون الآن على مقاطعة انتخابات العراق واعتبارها كأن لم تكن بسبب غياب أهل السنة عنها مهما كان عدد المشاركين فيها من غير الفرقة الوحيدة الناجية من النار!!) وأن الخليفة أكمل المسيرة وواصل البناء مقتديا بالهدى النبوى الشريف أى السنة والقصة مشهورة ولسنا بصدد الحديث عنها.

هذه هى رؤية المدرسة الإسلامية المتغلبة إلا أن هناك من يعتقد أنها رؤية لا تصمد طويلا أمام أى قراءة متفحصة للتاريخ وعلى عكس ما يعتقد هؤلاء فإننا نلاحظ أن هذه المرحلة قد أنتجت مجموعة من التشققات الكبرى فى مسار الأمة وكيانها بعد ذلك.

خذ عندك الانشقاق العقائدى الأكبر الذى أحدثه جيش خالد بن الوليد الذى فتح باب فتنة لم توصد إلى يومنا هذا، عندما قتل من أسماهم بمانعى الزكاة ثم جاء الإعلام الرسمى ليضفى على المتهمين بمنع الزكاة (وهم لم يكونوا حتى من مانعى الزكاة) صفة الردة وجواز قتال أهل القبلة من (مرتكبى الكبيرة)، والتى أسس عليها بعد ذلك شيخ الفتنة ابن تيميه فتوى قتال الطائفة الممتنعة وإبادة المخالفين فى الرأى والمذهب بعد تكفيرهم وتفسيقهم واغتيالهم معنويا.

والواقع أن (الكبيرة) التى ارتكبها هؤلاء والتى أوجبت سفك دمائهم، لم تزد على تريثهم فى إعطاء البيعة للخليفة الأول أبى بكر الذى كان حريصا على ما يبدو على الإسراع فى توطيد أركان حكمه من دون أى تباطؤ حتى لا يتردد غيرهم فى إعطاء بيعة الإذعان التى صارت بعد ذلك قانون الحياة السياسية وفقا (لأحكام الشريعة الإسلامية) التى يذرف الأتباع الآن عليها بدل الدمع دما.

فمن أين يأتى هؤلاء بقيم الحرية والكرامة واحترام حقوق الإنسان (فهذا هو ديننا الذى نريد تقديمه للعالم فضلا عن تحسين صورته التى أساء إليها المتطرفون!!).

وإذا كان هذا هو تصور (المعتدلين) ومفهومهم للدين والشريعة والحق والعدل... فما بالك بالمتطرفين؟؟.

خذ عندك الانشقاق الطبقى الذى أحدثه الخليفة الثانى عندما أنشأ طبقة مميزة من المهاجرين، حيث نقل الشارح المعتزلى عن أبى الفرج بن الجوزى المحدث فى أخبار عمر وسيرته عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال (استشار عمر الصحابة بمن يبدأ فى القسم والفريضة فقالوا ابدأ بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وذوى قرابته فبدأ بالعباس وفرض له اثنى عشر ألفا ثم فرض لزوجات رسول الله صلى الله وآله وسلم لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة عليهن بألفين فأبت فقال ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله (ص) فإذا أخذت فشأنك واستثنى من الزوجات جويرية وصفية وميمونة ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف فقالت عائشة إن رسول الله (ص) كان يعدل بيننا فعدل عمر بينهن وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهن ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا لكل واحد خمسة آلاف ولمن شهدها من الأنصار لكل واحد أربعة آلاف وقد روى أنه فرض لكل واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو الأنصار أو من غيرهن من القبائل خمسة آلاف ثم فرض لمن شهد أحدا وما بعدها إلى الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد رسول الله (ص) ألفين وخمسمائة وألفين وألفا واحدا إلى مائتين وهم أهل هجر) شرح النهج ج٣- ص-١٥٤.

إنه انشقاق طبقى مصنوع إذ لم يحدث أن أحدا من هؤلاء كان من كبار رجال الصناعة أو من كبار الملاك، حتى يقال أن التطور الصناعى قد أوجد طبقة من كبار الرأسماليين يقابلها طبقة عريضة من العمال المطحونين (البروليتاريا). وربما كان هذا النوع من التمايز الطبقى محسوبا لأصحابه

فهم كانوا على أى حال رأسمالية منتجة حتى ولو كانوا فى المحصلة النهائية من المستغلين. بينما بقى المعيار الأساس للثراء المالى والارتقاء الطبقى فى عالمنا الإسلامى هو مدى القرب من السلطة الحاكمة، التى بقيت تمتلك أغلب مصادر الثروة وتحابى بها الطبقة الخادمة التى تشكل الدعامة الأولى لبقاء النظام، فى مقابل ما تحظى به من حق الإثراء غير المشروع وهو ثراء غير مشروع لأنه يعتمد قاعدة (المحاباة والتفضيل) على أساس القرب والتقاء الأهداف السياسية بغض النظر عما يبذله هؤلاء من جهد للصالح العام.

لقد أسس هؤلاء للرأسمالية العربية أى (رأسمالية الطبقة الخادمة للسلطة) التى لم تكن يوما ما رأسمالية منتجة بل رأسمالية طبقة خادمة طفيلية، وهو الوضع الذى كنا وما زلنا نعيشه مرورا بالإقطاع المعاصر، سواء كان إقطاع آلاف الأفدنة لهذه الطبقة أو إقطاع مارينا ومراقيا أو إقطاع المزايا والاحتكارات اعتمادا لنفس السياسة، حيث يمنح من لا يملك من لا يستحق ويترك من يستحق يتضور جوعا ويموت كمدا.

إذا فقد تلقى البناء الإسلامى ضربة مؤلمة مع نهاية المرحلة الأولى التى انتهت بنهاية عصر النبوة، والتى مثلت ما يمكن وصفه بمرحلة جمع عناصر ومخطط البناء الإلهى (التنزيل)، حيث ترك رسول الله ص للأمة عناصر البناء الرئيسية المتمثلة فى المنهج أو الكتاب والسنة النبوية العملية والرجال المؤمنين بالمنهج فضلا عن الأرض والدولة التى شهدت استقرار النموذج الأول للسيادة الإسلامية، ولكن البناء لا يكتمل ولا يتم على وفق المنهج الأصلى إلا إذا كانت القيادة المعينة لإتمام البناء تشكل امتدادا للعقل الذى جاء بالمخطط الأصلى الوارد فى التنزيل، ولكن شيئا من هذا لم يحدث إذ جرى الانقلاب على العقل القائد المسئول عن الحفاظ على البناء فى صورته الأصلية التى أرادها صاحب البناء الحقيقى والمكلف بالمرحلة الثانية، التى لا تقل أهمية ولا خطورة عن المرحلة الأولى، وهو الإمام على صاحب التأويل الحقيقى وجرى إسناد الأمر لهؤلاء المتخبطين الذين تفننوا فى تخريب وتشويه البناء الإسلامى الذى وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسسه.

إنه البناء الذى أشار إليه مولى المتقين فى دعائه للرسول الأكرم محمد بن عبد الله ص (اللَّهُمَّ أعْلِ عَلَى بَنَاءِ البَانِينَ بَنَاءَهُ، وَأكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الوَسِيلَة، وَأعْطِهِ السَّنَاءَ وَالفَضِيلَة، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا، وَلاَ نَادِمِينَ، وَلاَ نَاكِبِينَ، وَلاَ نَاكِثِينَ، وَلاَ ضَالِّينَ، وَلاَ مَفْتُونِينَ) نهج البلاغة خطبة ١٠٦.

وهو المعنى الذى أشار إليه الإمام أيضا فى الخطبة ١٥٠ التى أشرنا إليها سابقا بقوله (حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ (ص) رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلاَئِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِى أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، **وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِى غَيْرِ مَوْضِعِهِ)** فهم قد نقلوا البناء عن رص أساسه وبنوه فى غير موضعه.

وهكذا ولانعدام القدرة على التمييز لدى (مسلمى صدفة السقيفة) الذين لا يدركون قيمة التخطيط الواعى الدقيق، والذى لا يقدر عليه إلا الخبراء والعلماء، ولا يقدرون قيمة انتقال أمانة الرسالة من الرسول المصطفى إلى الإمام المجتبى. فالأول جاء بمواد البناء الرئيسية ولبناتها من السماء إلى الأرض ووضع القواعد والأصول، والثانى كان مكلفا بالإشراف على عملية البناء والإعلاء التى لا تتوقف ما أم نجم فى السماء نجما وما طلعت شمس وظهر فى الليل قمر. ولأن المراحل الأولى من البناء دائما هى الأخطر إذ أن خللا بمقدار زاوية واحدة أو أقل لدى البدء يمكن أن يحدث ميلا وانحرافا بالغ الخطورة كلما ازداد ارتفاع البناء، ويؤدى إلى انهيار حتمى كلما تطاول الأمد، كما هو حال بنائنا المفكك الآن والذى ينتظر الانهيار كل صباح ومساء.

نظرة واحدة على الطريقة التي يصف لنا بها هؤلاء تطور البناء المعرفى والاجتماعى والسياسى للأمة الإسلامية، تظهر لنا بوضوح اعتقادهم أن كل شيء كان يسير بمحض الصدفة ومن خلال عموم الأمة (أى من دون وجود مخطط مركزي) وإذا أرادوا تجميل (صدفهم) قالوا لك أن الله قيض وأن الله سخر.

فمن يكون أئمة الفقه الأربعة؟؟

إنهم أناس (قيضهم) الله لإيجاد هذه المذاهب الأربعة!!.

ما هو الدليل على مثل هذا الاصطفاء والتقييض المزعوم وما هو الدليل القاطع على صحة مذاهبهم؟؟!!!.

الدليل هو صحة الدليل!!!.

أنا أريد دليلا أعلى وأقوى من النظر فى الدليل الجزئى، فعندما يكون الدليل على صحة الرأى الفقهى هو إثبات صحة الدليل، يصبح الأمر على طريقة عرف الماء بعد الجهد بالماء.

أنا أسأل عن دليل كلى لا عن دليل جزئى، إذ أن إثبات صحة المذهب الفقهى اعتمادا على صحة الدليل وحده يجعل من كل إنسان فقيها كالفقيه أو فقيها أعلى من الفقيه، ولذا فنحن كنا وما زلنا نعيش فى فوضى الفقه والأحكام وكل يغنى على ليلاه!!.

خذ عندك ما يسمونه بعلم الحديث :

يقولون أن الله قيض هؤلاء العلماء لحفظ الحديث النبوي!!.

ما هو الدليل؟؟

يقولون لك علم الرجال.

من الذى وضع علم الرجال؟؟.

يقولون لك أن الله قيض علماء الرجال لوضع علم الرجال!!.

ما هو الدليل على صحة ما يقوله علماء الرجال؟؟.

الدليل هو الدليل وكما يقول علماء المنطق... إذا لزم الدور أى أننا ندور فى دائرة مفرغة.

خذ عندك ما يزعمه هؤلاء القوم عن ابن خلدون (واضع علم الاجتماع ومؤسسه الفذ!!) وسترى أن الرجل قد اقتبس كلامه عن العمران من كلام الإمام اقتباسا رديئا ونسبه إلى نفسه بعد أكثر من ثمانية قرون وهلل له القوم والمهم أن يبتعد سيف الاغتيال المعنوى المصلت على الرقاب والذى يتهدد كل من يرجع إلى باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يزعمون أن رسول الله ص قال (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)!!.

لماذا يا قوم؟؟.

لأنهم رأوا رسول الله وسمعوا منه ورؤية رسول الله تحدث فى النفس تحولات بالغة القيمة والأهمية!!.

المنافقون أيضا رأوا رسول الله وسمعوا منه ولم يحدث لهم مثل ذلك التحول!!!.

(وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ التوبة) ١٢٤-١٢٥.

(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ) محمد ١٦.

وكيف يمكن أن نصدق نسبة كل تلك الكرامات بمجرد الرؤية والسماع، ولا نصدق مثلها لأهل البيت وتحديدا للأئمة من آل محمد والدماء الطاهرة لرسول الله تجرى فى عروقهم بل والروح واحدة.

إنه إذا خلل بنيوى عميق يطال العقل ومشتقاته ولا عجب أن يكون هذا هو حال المسلمين.

إنها أمة تمارس السباحة فى البحار والمحيطات من دون خريطة ولا بوصلة ولا منارة هادية، وبرغم كل هذا يزعم أولئك السادة المتأنقون أنهم أهدى سبيلا.

إنه خلل بالغ الخطورة كنا ولا زلنا ندفع ثمنا باهظا لارتكابه والإصرار عليه.

الخلل البنيوى الذى عانى منه المسلمون امتد إلى الطريقة التى شكل بها المسلمون مفاهيمهم الدينية، حيث اعتمدوا معايير الورع الزائف والتدين الشكلي كمن سبقوهم من الأمم ممن قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة حيث أصبح الولاء للسلطة الجائرة المتسلطة على رقاب المسلمين جزءا من مفاهيم الورع والإيمان. فالذين هدموا الكعبة فعلوا ذلك وهم مقتنعون بأنهم يقومون بعمل عبادى (تنازعت الطاعة للأمير مع حرمة المكان فقدمت الطاعة على الحرمة) والذين قتلوا الحسين بن على عليه السلام فعلوا ذلك طاعة للأمير ظل الله فى الأرض. وقد بلغ حال المسلمين مع دينهم درجة من السوء أصبح معها سب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام شعيرة من شعائر صلاة الجمعة لا تتم الصلاة إلا بها (لا صلاة إلا بلعن أبى تراب)، ثم جاء وضاع الأحاديث فزادوا طين هذه الأمة بلة بوضعهم الروايات على لسان رسول الله ص يحلون بها حرام الله ويحرمون بها حلال الله حيث جرى تعديل وتغيير أحكام الدين بما فيها المواريث وقواعد الوضوء الواردة فى كتاب الله لا لشيء سوى إرضاء هؤلاء الجبابرة ووضع مكانة أئمة أهل البيت عليهم السلام فى أعين الناس ثم ازداد الأمر سوءا عندما قام وعاظ

السلاطين بإصدار الفتاوى السياسية المكفرة لشيعة أهل البيت وتحويلهم إلى أعداء فى نظر العوام والجهال من المسلمين!!.

الموقف كله يلخصه الإمام على ع فى تلك الكلمات التى ذكرناها سابقا (وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ؛ فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لاَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَة، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً) ونحن من يومها نعيش فى هذا الزمان الذى يعد فيه المحسن مسيئا ويتهم بالانحراف العقائدى ويجرى التحريض المتواصل على تجويعه وقتله ويوصف فيه شيخ القتلة والإرهابيين بأنه شيخ الإسلام، ناهيك عن أن الدين والقرآن قد أصبحا سلعة تباع وتشترى فى مزادات السياسة والإعلام، حيث يستأجر الخطباء وتشترى الأقلام وقد أصبح الكتاب وأهله منفيان طريدان لا يؤويهما مؤو وهما بين الناس شكلا لا موضوعا، وقد جرى بالفعل انتزاع أهم القيم القرآنية من ساحة التطبيق مثل العدالة والكرامة ليحل محلها الظلم والتبعية والتسول وانعدام الكرامة الإنسانية وهذه هى بضاعتهم والويل كل الويل حتى لمن يفكر فى الاعتراض.

وسنرى أيضا تشخيصا دقيقا من إمام الحق لتلك الظواهر والمسميات التى جرى إطلاقها وتعميمها بعد ذلك بواسطة إعلام الانقلاب الأموى المناوئ لأئمة أهل البيت عليهم السلام، الذى وصف أولئك الخارجين عن القانون من المنشقين عن قيادة الأمة الشرعية بأنهم أهل الجماعة، وهم فى الواقع أهل فرقة وانشقاق وتمرد وفساد فى الأرض لم يجر حسمه منذ البدء ولم يكن لهم من عقاب (إلا أن يصلبوا أو يقتلوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) فاتسع الخرق وأعيا الراقع حيث (اجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ) إذ لا يمكن وصف أى فئة بصفة الجماعة لمجرد اجتماعهم على هدف ما ولو كان هو السلب والنهب وترويع الآمنين.

وسنرى بعد ذلك كيف أن هذه الجماعات المسماة بالإسلامية قد التقت على مجموعة من المفاهيم المتنقلة المتغيرة التى صاغها الأئمة المبتسرون لتلك التنظيمات التى تزعم امتلاكها للفهم الشامل الكامل للإسلام دون بقية العالمين من دون استناد إلى مرجعية هادية تفرق بين الحق والباطل والخطأ والصواب باستثناء تلك الأساليب الدعائية التى ذكرناها من أن (الله قيض وأن الله سخر وأن الله اختار) من دون أن ندرى كيف وقع هذا الاختيار بينما هم يقاتلون باستماتة من أجل نفى وقوع مثل هذا الاصطفاء والاختيار لأهل البيت وهم يمثلون الامتداد الطبيعى لشجرة النبوة والدوحة المحمدية الطاهرة. ولذا فالقوم كما قال إمام الحق أصبحوا و(كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ) أى أنهم ينتقون المفاهيم التى تلائم أهواءهم أولا ثم يقومون بطلائها وتسويقها وتبريرها من القرآن أو مما يقتطفونه من السنة النبوية، سواء جاءت هذه المفاهيم من الواقع المنصاع للفئة الباغية المتسلطة أو من رغباتهم وأهوائهم النفسية التى تؤزهم أزا لمحاولة انتزاع السلطة ممن استولى عليها بأى طريقة وبأى ثمن. ومن الطبيعى أن يستخدم هؤلاء كل ما هو متاح من أساليب الدعاية والتلفيق والتزييف للتغطية على تخبطهم وسعيهم الدؤوب المستميت من أجل إزاحة كل من يقف فى طريقهم من الواعين سواء عبر الاغتيال المعنوى أو الاغتيال الجسدى (وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَة، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَة).

إنه أيضا خلل بنيوى جسيم تعرض له المجتمع المسلم الذى أصبح أسيرا (للجماعة المتغلبة) التى جعلت من نفسها علما على الحقيقة والتى منحت نفسها وسام الفرقة الوحيدة الناجية بينما هى تصارع على جبهتين: الجبهة الأولى فى مواجهة أئمة الحق وصراطهم المستقيم لتخلو لها الساحة والجبهة الثانية مع الجماعات المنحرفة المشابهة والمنافسة لها فى محاولة امتلاك الساحة واستخدام سلاح القهر والتغلب وفرض المفاهيم والكل يزعم أنه (أهل للسنة والجماعة) من دون أن يكون لهذه التسمية أى دلالة عدا انحرافها عن موالاة من أمروا بموالاته من أهل بيت العصمة والنبوة. وهكذا فقد تصارعت الجماعات الأموية فيما بينها من أجل الاستيلاء على السلطة والثروة. ثم تصارعت بعد ذلك مع الجماعات العباسية، ثم تصارع العباسيون فيما بينهم ومع غيرهم. واليوم نرى تكرارا لنفس المشهد وإن بصورة مختلفة حيث نرى تلك الجماعات وكل منهم يدعى امتلاك الحقيقة دون غيره إلا أنهم

يلتقون عند نقطة واحدة هى رفضهم الانحياز لأئمة أهل البيت باعتبار ذلك يمثل انحرافا عقائديا.

أى أن أولئك المعتلين المشوهين يحاكمون الأصحاء ويشخصون لهم الدواء ويحكمون على من يشاؤون منهم بالإعدام، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم. ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية مثلما ادعى قوم لوط أنهم الأسوياء وأن من عداهم هم غير ذلك بل ويتعين عليهم إخراجه ونفيه.

الخلل الثانى الذى وقع لهذه الأمة :

الاستبداد السياسى والقمع.

لم يكن أمام هؤلاء المنحرفين من سبيل لإدامة سلطانهم على رقاب الناس إلا عبر الزيف وظهيره الأول الظلم والاستبداد. وهكذا أصبح سلاح القمع هو الأسلوب السياسى الأمثل لكل تلك النظم التى حكمت المسلمين باسم الإسلام والإسلام منهم براء. وهكذا أصبح تاريخنا نموذجا للحكم التسلطى، ثم دخل فقهاء السلاطين على الخط ليحولوا هذا الواقع الفاسد الذى يقتل فيه الخيار والصالحين إلى دين واسمع معى ما قاله الإمام: (وَاللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا للهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ، حَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ).

أما عن مسار الأمة السياسى الاستبدادى فيتلخص فيما يلى (يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ! أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ).

إنها استبدادية وراثية لم تكن تخطر ببال أحد ممن سمع كلام الإمام يومها، كما أن أحدا ممن يشيدون بالمشهد الديمقراطى الذى حدث يوم السقيفة ليس بإمكانه أن يفسر لنا كيف حدث مثل هذا الانقلاب والتحول.

لقد كذب القوم على أنفسهم عندما تعاموا عن رؤية هذا الظلم والاستبداد والقهر من اللحظة الأولى لوقوعه ولا زالوا يكذبون ويغطون على جرائم المجرمين من الأولين والأقدمين (انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) الأنعام ٧.

وكذبوا على الله عز وجل عندما زعموا أن طاعة هؤلاء الجبابرة هـــي امتثال لأمر الله (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْــوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر ٧ ولم يحاول أى من هؤلاء الدجالين مصارحة النفس ولا مصارحة الأمة بالحقيقة الواضحة قبـــل فـــوات الأوان وقبل حلول الكارثة التى نراها الآن قد نزلت بساحتهم وساء صباح المنذرين، وتعال معى لنكمل مع الإمام وصف المأساة التى لحقت بالمســلمين عنــدما استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وأصْفَوا بالأمْرِ غَيْرَ أَهْلِـــهِ، وَأَوْرَدُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ (فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلاَّ وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَـــةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَـــاذِرٌ، وَلاَ فِـــي الأَرْضِ نَاصِرٌ).

ولسنا فى حاجة إلى سرد المزيد فهناك الكثير والكثير فى كتب التاريخ.

الخلل الثالث: الانحراف الأخلاقي :

إنه من وجهة نظرنا خلل مركب قائم على ما ذكرناه سابقا من أخطـــاء ضربت البنية الأساسية للأمة الإسلامية فى مقتل ومن ثـــم فـــلا عجـــب أن يستشرى الانحراف الخلقى فترى المنتسبين إلى الإســـلام وهـــم (يســـتحلون الحرام بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والســـحت بالهدية والربا بالبيع) ولا عجب أن يكون النموذج الأخلاقى السائد هو الآتى (وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَـــذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ) وعندها تختل الموازين الاجتماعية ويفسد الـــنشء (فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً) يتميز السفلة من النـــاس بـــالثراء الفـــاحش (وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً) وتصبح الذئبية والتوحش هـــي قانون الحياة والعرف السائد، (وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً) ويصبح الفقر موتا إذ لا ناصر ولا معين ويصـــبح الغـــش والتدليس هو القانون (وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَـــذِبُ، وَاسْـــتُعْمِلَتِ الْمَـــوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً) ولـــذا فإن محاولة الإصلاح الأخلاقى بمعزل عما سبقه من أخطاء وجرائم لا يمكن أن تحقق أى إصلاح مجتمعى وكل ما يمكن لها أن تنجح فيه هـــو إصـــلاح مجموعات أو أفراد من المجتمع ويبقى الانحراف هو القانون الأصلى السائد فى المجتمعات الإسلامية.

الخلل الرابع: خلل المسار:

ولأن الأئمة من آل محمد هم (قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوه) وهم (الشِّعَارُ والأصحاب وَالْخَزَنَةُ والأبواب،وَلاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا) ولأن الأمة أعرضت عن قيادتهم الراشدة واختارت اتباع الأذناب فلا عجب أن يكون الفشل الأخلاقي والسياسي هو القاعدة والأساس لأن السائر على غير بصيرة كالسائر على سراب بقيعة لم تزده شدة السير إلا بعدا (وَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْم كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيق، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ).

ردة أم فتنة؟؟

سنرى بعد قليل أن مدرسة السائرين على غير علم ولا بصيرة وأنى لهم العلم والبصيرة، ستشخص كل هذه الظواهر أو بعضها "فهي جزء من منظومة الانحراف والتردي" باعتبارها كفرا وردة ولا مخرج منه إلا من خلال ما يسمونه (بالعودة إلى الإسلام)، وفي رواية ثانية (إعادة اعتناق الإسلام) من جديد، بينما يؤكد لنا الإمام على بن أبي طالب واستنادا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنها فتنة وليست ردة شاملة عن الإسلام كما يزعم الخوارج المعاصرون.

الأمر الثاني هو أن هذا الانحراف جاء بسبب إعراض الأمة عن اتباع منهج أئمة الحق من آل محمد، وخاصة بعد أن جعل القوم من انحرافهم المنهجي والأخلاقي أصلا يجرى تطويع النصوص المحكمة للتواءم معه، حيث أصبحت سياسة قلب الحقائق وتسمية الأشياء بغير اسمها منهجا ثابتا لهؤلاء القوم. فالعام الذى تمكن فيه ابن آكلة الأكباد من قهر إرادة الخير الجمعي في نفوس أمة لا إله إلا الله سمى بعام الجماعة، كما جرى إطلاق اسم أهل الجماعة على تلك القطعان المهزومة والمأسورة إلى يومنا هذا من

المسلمين، فى حين حظى الثابتون على منهجية الرفض لهذا الغش والخداع بلقب أهل الفرقة المفارقون للجماعة، ناهيك عن الدور القذر الذى قامت به أجهزة الدعاية الأموية من خلال وضاع الأحاديث المأجورين الذين افتروا على الله ورسوله كذبا ووضعوا الروايات لخدمة أسطورة الفرقة الوحيدة الناجية من النار.

إنه مصير لا يختلف كثيرا عن مصير بنى إسرائيل عندما دخلوا فى التيه.

هذه هى قراءة سريعة لأهم ملامح أزمة الأمة الإسلامية كما شخصها واستشرفها الإمام على بن أبى طالب ربانى هذه الأمة وباب مدينة علم رسول الله. والهدف منها هو التأصيل لأزمة الأمة الإسلامية المعاصرة التى يزعم هؤلاء المبتسرون أنها بدأت عشية سقوط الخلافة العثمانية وتارة أخرى عشية إنهاء الاحتلال الإنجليزى للعمل بأحكام الشريعة الإسلامى إلى آخر تلك الترهات التى ملأوا بها أذهان الأتباع، باعتبارها مسلمات ومنطلقات بديهية لتحركهم الثورى من أجل استعادة فردوس الإسلام المفقود والكارثة الكبرى أن كل ما بنى على الوهم لا يمكن له أن يفضى إلا إلى الفراغ والوهم الكبير.

إن التشخيص الصحيح لأسباب أزمة المسلمين هو المقدمة الضرورية للعلاج الصحيح لأمراضها أما التشبث بالأوهام ومحاولة البناء عليها فلا يعدو أن يكون محاولة لبناء قصور من رمال ما تلبث أن تتطاير أمام أول عاصفة تهب عليها.

وهذا هو واقع هذه الجماعات وتجربتها المرة التى تأبى أن تتعلم منها.

الرؤية المقابلة :

تميز القرن العشرين بظهور عدد من الحركات الإسلامية التى تطرح فكرة التغيير والإصلاح وتداور وتناور حول ثلاثة محاور فكرية رئيسية.

١- أن العالم الإسلامى يعيش فى حالة ردة وانحراف عن (صحيح الدين) منذ (فترة من الزمن؟؟) اختلفت حولها التقديرات ما بين قائل (منذ سقوط الخلافة العثمانية) وقائل منذ (انتهاء العمل بأحكام الشريعة الإسلامية) أى أن الأمة الإسلامية لم تعد موجودة بسبب انتهاء العمل بأحكام الشريعة الإسلامية فلا بد من العودة إلى الشريعة كى تعود الأمة من جديد.

٢- ضرورة إعادة إنشاء الأمة الإسلامية التى تطبق أحكام الشريعة الإسلامية من جديد من خلال تأسيس الجماعة التنظيم التى سينضوى تحت لوائها المؤمنون الجدد، والتى ستصبح بعد فترة من الوقت هى الأمة الإسلامية الحقيقية أو ما نسميه نحن (استنساخ الأمة الإسلامية)، وإن شئت الدقة قلت استمساخ الأمة لأن الجنين الجديد أو الأمة الجديدة نشأ مسخا مشوها وعاش قدر ما عاش مسخا وما تبقى منه الآن لا تعدو كونها انشطارات مسوخية هى أبشع وأسوأ من كل ما تخيله أشد المتفائلين تفاؤلا بإنجازات القوم.

٣- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولما كانت المهمتان السابقتان (الشريعة والأمة) لا تتحققان إلا بوجود قيادة جديدة أو إمامة بديلة كان لا بد من إيجاد تلك الإمامة التى هى قيادة التنظيم، التى ستتحول لاحقا لتصبح إمامة عموم المسلمين رضى من رضى وسخط، من سخط وليست هناك مشكلة إذ أن مياه البحار والمحيطات تشكل أربعة أخماس المعمورة وهى قادرة على تلبية احتياجات كل من لم يرض بهذه القسمة الضيزى.

المحور الأول: العالم الإسلامى يعيش فى حالة ردة عن الإسلام:

يؤرخ مؤسس الإخوان الأستاذ حسن البنا لكارثة العالم الإسلامى باعتبار أن سقوط الخلافة العثمانية مثلت الواقعة التى حسمت مصير العالم الإسلامى وساقته إلى الضياع، فيقول (وبهذا الوضع انتصرت أوربا فى هذا الصراع السياسى وتم لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الإسلامية والذهاب بدولة الإسلام وحذفها سياسيا من قائمة الدول الحية العظيمة) ص ٥٠ رسائل الأخوان المسلمين بين الأمس واليوم.

ويحدد الإمام المؤسس رؤيته التاريخية لمسار الكارثة بدءا من الدولة الإسلامية الأولى فيقول (على قواعد هذا النظام الاجتماعى القرآنى الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيمانا عميقا وتطبقه تطبيقا دقيقا وتنشره فى العالمين. فالوحدة الاجتماعية كانت شاملة بتعميم القرآن ولغة القرآن والوحدة السياسية شاملة فى ظل أمير المؤمنين تحت لواء الخلافة العامة. ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها فى نطاق

ضيق وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاء تاما وصارعت المسيحية حتى انحسر ظلها في قارتي آسيا وأفريقيا). المصدر نفسه

ثم يعدد (الإمام المؤسس) العوامل التي أدت إلى التفكك الذي اعترى الدولة الإسلامية والشعب الإسلامي ثم انهيار هذه الدولة بعد ذلك مرتين مرة في القرن السادس الهجري بأيدي التتار ثم كانت الضربة القاصمة في القرن الرابع عشر الهجري وهي:

١- الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه.

٢- الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها.

٣- الانغماس في ألوان الملذات والترف والنعيم والإقبال على المتع والشهوات.

٤- انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة والأتراك تارة ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه.

٥- إهمالهم العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية وعلوم خيالية.

٦- الغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم.

٧- الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم.

نفس المصدر ص٤٠-٤٤.

إنه كلام إنشائي بليغ سبق به الإمام المؤسس قناة اقرأ ودروس الشاب عمرو خالد ولكنه لا يرقى أبدا ليكون تحليلا عمليا لتاريخ الأمة ومسارها السياسي. وأنى لفاقد الشيء أن يعطيه، ناهيك عن بعض التناقضات التي قررنا أن لا نتجاوز عنها. فهو يرى على سبيل المثال أن انتقال السلطة إلى غير العرب كانت من عوامل ضعف الدولة الإسلامية ومن بين هؤلاء الأتراك، ولا ندري عن أي أتراك يتحدث الإمام المؤسس؟؟ هل يقصد الأتراك الذين استعان بهم سلاطين بني العباس ليبطشوا بغير الأتراك من

رعايا دولتهم الجائرة فأصبحوا مع مرور الوقت هم الحكام الأصليون ومارسوا ابشع أنواع الشذوذ والانحراف، أم الأتراك العثمانيون الذين حكموا العالم الإسلامى قرابة خمسة قرون قادوه من سيئ إلى أسوأ ومع ذلك يبكى عليهم الإمام المؤسس وعلى ذهاب دولتهم ويعد ذلك كارثة عظمى لحقت بالإسلام والمسلمين.

وعلى كل حال فلا بأس أن نوجز رؤية (الإمام) التى ترى أن تفسخ الأمة الإسلامية قد حدث بسبب عوامل أغلبها داخلى، حتى انتهى الأمر بانتصار أوربا على الدولة العثمانية وسقوط الخلافة العثمانية أو الإمبراطورية الإسلامية على حد وصفه، وأيا كانت طبيعة الانحدار تدريجية أو بصورة مفاجئة فقد كان عليه أن يحدد المراحل الزمنية ومن ثم المسئولية عما وقع حتى ولو كان ذلك بصورة تقريبية. ولكننا إذا رجعنا إلى حديثه عن الدولة الإسلامية (الأولى) التى كانت تطبق النظام الاجتماعى تطبيقا دقيقا أى بلا انحرافات ولا اعوجاجات فنراه يمد ذلك الأجل إلى فتح القسطنطينية وحصر المسيحية فى هذا الجزء المحدود من قلب أوربا. ص ٤١ المصدر السابق.

إنها رؤية لا تختلف عن تلك الرؤية السائدة فى عالمنا الإسلامى والتى ترى فى الدولة الإسلامية مجرد رقعة جغرافية يحكمها خليفة مسلم ويبسط عليها سلطته القمعية أو الشكلية لا يهم فالمهم هو الشكل وليس المضمون ولو كان هؤلاء يكترثون بالمضامين لقاموا بتشخيص أزمة الأمة تشخيصا دقيقا ومنذ اللحظة الأولى لانحرافها عن نهج الأئمة من آل محمد.

إنها نفس الرؤية الشكلية التى جعلت العالم الإسلامى يرتاع لسقوط (الخلافة الصدامية) على يد الغزو الأمريكى وقبلها الخلافة العثمانية على يد الغازى أتاتورك فى حين كان أغلب هؤلاء ينامون ملء أجفانهم بينما يقوم طاغية بذبح الملايين من الشعب العراقي.

وعلى كل حال فإن مما يحسب للإمام المؤسس أنه لم يستخدم قاموس المصطلحات التكفيرى الذى استخدمه تلاميذه من بعده مثل الردة والجاهلية المعاصرة ولكنه كان واضحا في توقيته لبدء الأزمة أى سقوط الخلافة العثمانية.

سعيد حوى.

إنه منظر آخر من منظرى الإخوان المسلمين البارزين قبل أن يجرى فصله من الجماعة وهو صاحب كتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا) الذى تربى عليه كثير من كوادر الجماعة فماذا قال؟؟.

افتتح الرجل كتابه بطرح سؤال: هل العالم الإسلامى فى حالة ردة؟؟ ثم أجاب بقوله (يقول الله تعالى " إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر" سورة محمد ٢٥-٢٦. إن هذه الآية نص صريح فى الحكم بالردة على كل من أطاع الكافرين ولو فى بعض أمره فالآية اعتبرت مرتدا من أعطى لمن كره ما أنزل الله الطاعة فى بعض الأمر والواقع الذى نرى عليه كثير من ذرارى المسلمين أنهم أعطوا الطاعة الكاملة فى كل شيء لطبقات من الكفار مستحلين ذلك غير شاعرين بالكفر أو شاعرين ومنهم من أعطى الطاعة لكافر صريح ومنهم من أعطاها لمنافق والأمثلة أكثر من أن تحصى).

ونمضى مع الأستاذ (سعيد حوى) فى محاولاته لتشخيص أزمة العالم الإسلامى وأسبابها المختلفة: قال تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" المائدة ٤٤ فهذه الآية صريحة **فى تكفير من لم يحكم لما أنزل الله.. وبعض العلماء يجعلها فيمن يفضلون على حكم الله حكما آخر أو** يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله وعلى أى وجه حملنا الآية فإن تطبيقاتها فى العالم الإسلامى كثيرة حتى اصبح الحكم بغير ما أنزل الله هو السمة الأصيلة فى كل نظم الحكم الموجودة فى العالم الإسلامى تقريبا.

"إنه لا السلطة التنفيذية ولا التشريعات ولا القضاء ولا القوانين ولا اللوائح إسلامية فبماذا نحكم على أصحاب هذا كله؟؟".

"على ضوء ما مر نستطيع أن نقول أن فى العالم الإسلامى اليوم ردة أو ترك قليل أو كثير لهذا الدين إلا قليلا ومع وجود مسلمين تركوا ولم يرتدوا فإن طابع الردة هو الذى صبغ حياة العالم الإسلامى على **اعتبار أن أجهزة الحكم كلها تقريبا آلت إلى يد مرتدين أو منافقين أو كافرين أصليين**".

"ونتيجة لذلك فقد تم انحسار الإسلام عن الحياة انحسارا **تاما تقريبا**".

لاحظ العبقرية اللغوية العقلية فى الجمع بين "تاما وتقريبا!!!".

"ومع كل ما مر فإننا لا نحكم على أغلب المجتمعات التى تشكل أقطار العالم الإسلامى بأنها مجتمعات كافرة لأننا إذا حكمنا بذلك نكون قد اعتبرناها دار حرب ونحن نؤثر أن نتريث فى هذا الحكم مع كثرة المرتدين ومع غلبتهم على الأمور لما يترتب على ذلك من أحكام وإنما نستطيع أن نحكم على المجتمعات فى أقطار العالم الإسلامى على أنها مجتمعات فاسقة محكومة فى الغالب بمرتدين أو منافقين أو كافرين وما نظن أن إنسانا يفهم الإسلام يهوله ذلك الحكم" جند الله ثقافة وأخلاقا سعيد حوى من ١-١٠.

أما نحن فنقول "ياللهول" وما نظن أن إنسانا يفهم الإسلام كان بإمكانه أن يصدر مثل هذا الحكم باستثناء الخوارج المعاصرين من تلاميذ أمير المؤمنين حسن البنا.

فالرجل لم يكف عن إطلاق مدافعه الثقيلة على الأمة العليلة لأسباب ذكرناها فى بداية البحث إلا أنه ولأسباب بعضها إنسانية والبعض الآخر أسباب واقعية نظرا (لكثرة المرتدين وغلبتهم على الأمور!!) فقد تريث فى الحكم على أمة لا إله إلا الله بأنها أمة كافرة وليس فيها من يستحق لقب مسلم إلا هو وعصابة الإخوان المسلمين وهو حتى لم يسمها بالمجتمعات المسلمة بل وصفها بالمجتمعات التى تشكل أقطار العالم الإسلامي.

حنانيك سيدى ورفقا بهذه الأمة المنكوبة بك وبحكامها وشعوبها!.

سيد قطب:

ثم ننتقل إلى سيد قطب المفكر الأخوانى الأبرز بعد مؤسس الجماعة وهى شهرة ترجع من وجهة نظرنا للخطأ الفاحش الذى ارتكبه الديكتاتور عبد الناصر بإعدامه عام ١٩٦٦ وفى ذروة صراعه مع الإخوان المسلمين بالرغم مما هو ثابت لدينا من أن إعدامه لم يكن بسبب كتاب المعالم فقط وإنما بسبب مشروع للانقلاب العسكرى أشرف عليه (المفكر الكبير) وتضمن بعض العمليات التخريبية مثل تفجير القناطر الخيرية وإغراق منطقة دلتا النيل وتدمير حياة ساكنيها من (الكفار الجاهليين) من غير جماعة الإخوان القطبيين ومن لا يصدقنا فليقرأ مذكرات الرجل التى نشرت أكثر من مرة تحت عنوان (لماذا أعدموني؟؟).

والشاهد أن إعدام سيد قطب عقابا له على كتابه أو على خطته لإغراق الدلتا وأهلها بمياه النيل، قد أدى إلى إغراق العالم الإسلامى بفيضان الجهل والتكفير بعد أن تحول الرجل إلى رمز شهيد فى مجتمع كان ولا زال يعانى

من الأمية الفكرية ولا يحفل إلا بالثقافة السطحية التى أبدع هؤلاء القوم فى إنتاجها.

يقول سيد قطب (إن وجود الأمة الإسلامية يعتبر قد انقطع (لاحظ العبقرية اللغوية فى الجمع بين الشك واليقين!!) منذ قرون كثيرة. فالأمة المسلمة ليست أرضا كان يعيش فيها الإسلام وليست قوما كان أجدادهم فى عصر من العصور يعيشون بالنظام الإسلامى، إنما الأمة المسلمة جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامى وهذه الأمة بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعا ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة لكى يؤدى الإسلام دوره المرتقب فى قيادة البشرية مرة أخرى) معالم فى الطريق ص٨.

(إن المجتمع الجاهلى هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم وإذا أردنا التحديد الموضوعى قلنا أنه كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده متمثلة هذه العبودية فى التصور الاعتقادى وفى الشرائع القانونية وبهذا التعريف الموضوعى تدخل فى إطار المجتمع الجاهلى جميع المجتمعات القائمة اليوم فى الأرض فعلا) ص٩٨.

(وأخيرا يدخل فى إطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات التى تزعم لنفسها أنها مسلمة وهذه المجتمعات لا تدخل فى هذا الإطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضا ولكنها تدخل فى هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده فى نظام حياتها فهى وغن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله تعطى أخص خصائص الألوهية لغير الله فتدين بحاكمية غير الله فتتلقى من هذه الحاكمية نظمها وشرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتقاليدها وكل مقومات حياتها تقريبا والله سبحانه يقول عن الحاكمين بغير ما أنزل الله "ومن لم يحكم بغير ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون") نفس المصدر ص ١٠١.

ونمضى مع سيد قطب وهو يواصل إطلاق قذائف الأحكام على الظالم والمظلوم من أمة لا إله إلا الله وصولا إلى الثقافة الإسلامية المتداولة، وهو موقف يتسم بالرفض الصبيانى النزق حيث يقول (نحن اليوم فى جاهلية كالجاهلية التى عاصرها الإسلام أو أظلم. كل ما حولنا جاهلية. تصورات الناس وعقائدهم عاداتهم وتقاليدهم. موارد ثقافتهم فنونهم آدابهم شرائعهم

وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكير إسلامى هو كذلك من صنع الجاهلية) ص٢١.

إذا فالرجل لم يبق ولم يذر حتى ما يظنه (المخدوعون) من غير تلاميذ الحبر الأعظم ثقافة إسلامية وفكرا إسلاميا تبين فى النهاية أن كل هذا كان جاهلية لن يخرجنا منها إلا نبى الإسلام الجديد سيد قطب الذى دعا فى نهاية خطابه الجميع من المخدوعين ومن غير المخدوعين للدخول فى دين التوحيد من جديد.

إنها العشوائية والتخبط ثم جاء الإعدام وتلاه الافتتان وفيضان فكر التكفير الذى تحول إلى فريضة إسلامية بدلا من التفكير فتحول طين الأمة إلى مستنقع كبير لا يمكنها الخروج منه.

متى انقطع الحكم بما أنزل الله وعلى يد من؟ ذلك السؤال المهم الذى سيحدد لنا متى عادت الأمة إلى جاهليتها الأولى أو أظلم كما يقول.

لم يجبنا سيد قطب على هذا السؤال ولكننا سنحاول انتزاع هذه الإجابة من واحد من ورثة علمه الفياض.

السؤال الآخر: كيف يمكن للمسلمين البسطاء من غير تلامذة سيد قطب وممن لم ينالوا شرف الانتماء إلى جماعة الإخوان أن يميزوا بين الثقافة الإسلامية (الإسلامية) والثقافة الإسلامية الجاهلية؟؟ وما الذى يمنع أن لا تكون ثقافة الإخوان أيضا من ذلك النوع المضروب الموجود فى السوق والتى رفضها سيد قطب حفظه الله؟؟.

نوجز مرة أخرى لائحة الاتهامات الموجهة ضد الأمة الإسلامية من قبل أولئك المصلحون:

- الأمة المسلمة لم تعد موجودة.
- الأمة تعيش جاهلية أشد وأقسى من الجاهلية الأولى وكل شيء حولنا هو محض جاهلية بما فيها أغلب الثقافات التى تتسمى باسم الإسلام.
- الأمة مرتدة والإمساك عن إصدار حكم الكفر عليها يرجع لأسباب أخرى.

يبقى السؤال: هل كان سيد قطب تكفيريا؟؟.

الإجابة واضحة وضوح الشمس فيما نقلناه سابقا...

نعم كان تكفيريا بل كان أبو التكفير المعاصر..

إنها إجابة لم ولن تعجب أيا من التلفيقيين الذين حاولوا إيجاد المعاذير لتلك الحالة التكفيرية والزعم بأن التيار التكفيرى نشأ إما بسبب سوء فهم مقولات الرجل أو التحامل عليه وعدم إدراك الظروف النفسية التى عاشها، وهو كلام واعتذار هزيل ومفكك إذ أن الكاتب أو المفكر عليه أن يزن كلامه بمعيار العلم لا بمعيار الانفعال وقد قال الرجل كلامه ثم مضى ولم تعد هناك فرصة لإعادته إلى الحياة لنسأله عما كان يقصده ومالا يقصده.

مأمون الهضيبى يدلى بدلوه.

استعرضنا سابقا الآراء المختلفة حول حالة الأمة الإسلامية ومتى ألم بها ذلك الداء العضال ولمزيد من التأكيد فنحن نرى أيضا أن الأمة مريضة ولكننا نختلف معهم حول تشخيص المرض فنحن نقول أنها حالة فتنة وانحراف وهم يقولون ردة وكفر... نحن نرجع إلى ما صح عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرجعون إلى آرائهم وأهوائهم.

إنهم نموذج للعامل على غير بصيرة لم تزده شدة السير إلا بعدا عن الطريق الواضح.

ولما كان تشخيص أى مرض يعتمد على تحديد تاريخ ظهوره كان من اللازم لنا أن نعرف متى (ارتدت الأمة) و(عادت إلى الجاهلية) حسب زعمهم وسنرى أن التناقض فى تحديد الميعاد يكشف عن وجود خلل عقلى وفكرى خطير فى رؤية هؤلاء (المصلحين) لما ينبغى عمله وأنهم يعتمدون رؤية سطحية وساذجة لا تنفذ إلى حقائق الأشياء مهما زعموا غير ذلك.

فماذا قال المستشار مأمون الهضيبى المرشد السابق وابن المرشد الأسبق.

سئل الرجل عن طبيعة الشعار الانتخابى المرفوع من قبل الجماعة (الإسلام هو الحل) فقال:

أولا: لا بد أن نفهم بماذا ينادى الأخوان؟؟ قبل أن يأتى الاحتلال إلى بلادنا لم تكن مصر تعرف لها دستورا سوى القرآن (!!) وليس لديها قانون سوى الشريعة الإسلامية وليس لديها محاكم سوى المحاكم الشرعية المأخوذة من القرآن والسنة والإسلام هو مرجعية الدولة (!!) وليس معنى ذلك عدم وجود قوانين تنظم بعض التفاصيل ولكن لا تمس أو تغير من ثوابت الشريعة وهى تدخل فى إطار المصالح المرسلة.

عندما جاء المحتل الإنجليزى كان يدرك أن مرجعيتنا هى الإسلام فما أن احتلنا فى سبتمبر ١٨٨٢ حتى جاء فى يوليو ١٨٨٣ وقد ترجم القانون الفرنسى وطبقه فى مصر وأنشأ المحاكم الأهلية ثم انشأ البنوك الربوية وأسس النظام الاقتصادى على أسس ربوية وألغى الشريعة دستورا وقانونا وبالإضافة إلى ذلك بدأ فى تأسيس المدارس الابتدائية على نظامه حتى تخرج موظفين لا يعرفون شيئا عن الإسلام) الإخوان المسلمون ٦٠ قضية ساخنة.

قل لى بربك من أين تشرق الشمس؟؟.

فبينما يقول لنا مؤسس الجماعة أن الكارثة كانت فى سقوط الخلافة العثمانية أى فى أوائل القرن العشرين يقول لنا مأمون الهضيبى لا فالكارثة حدثت قبل ذلك وفى نهاية القرن التاسع عشر.

وبينما يرجع سعيد حوى المأساة إلى حالة تلبس عام بالمعصية وردة وترك لا تصل إلى حد إطلاق أحكام الكفر أو أننا نعيش فى دار حرب يقول لنا سيد قطب أننا نعيش فى جاهلية معاصرة كالجاهلية الأولى أو اشد هولا والسبب هو ترك العمل بأحكام الشريعة الإسلامية منذ قرون وليس منذ قرن واحد كما يزعم الأستاذ مأمون الهضيبي.

مؤسس الجماعة يرجع أزمة الأمة إلى استيلاء غير العرب على السلطة والخلافة بينما هو يبكى على سقوط الخلافة العثمانية التركية.

أما الأهم من هذا كله: هل نحن نعيش فى مجتمعات كافرة تم استخدام الرأفة معها لتوصف بأنها مرتدة وفاسقة أم أنها مجتمعات جاهلية وإن صلت وإن صامت أو تسمت بأسماء إسلامية، بما فيها ثقافتنا التى كنا نظنها إسلامية ثم تبين له أنها ثقافة جاهلية كما يقرر سيدنا قطب، الذى فاته وفات أتباعه أن يسألوا من أين جاء هو بثقافته التى يظنها هو أيضا ثقافة إسلامية بينما يشهد له الواقع والتاريخ أنها ثقافة تكفيرية خوارجية بامتياز.

هل هبط عليه وحى الثقافة الإسلامية الصحيحة أم جاءه مبعوث العناية الإلهية واجتاز أعناق كل البشر بمن فيهم أبيه وأمه ليفسر له كل ما غاب عن هؤلاء الجاهلين الجاهليين.

ثم يقولون لنا أن الرجل لم يكفر أحدا وأن كلامه فهم على غير مراده الأصلي وكأنه كان لديه علم الباطن ويتحدث بلسان. الباطن وإذا ضاقت بهم سبل وأساليب الدفاع قالوا لك أن الرجل لم يكن يمثل مدرسة الإخوان. فأين

هى هذه المدرسة وما هى أهم معالمها الفكرية لنحكم على مدى انطباق ما قاله على المعايير الإخوانية المتعارف عليها دوليا.

إننا لا نحاكم هؤلاء محاكمة أمنية فليس هذا من شأننا. كما أننا على قناعة أن السياسات الأمنية الفاشلة التى اتبعتها النظم العربية الحاكمة قد أسهمت بقسط وافر فى تمدد هذه الظاهرة. وما نعتقده أن الواجب يحتم علينا أن نناقش المسألة من بعدها الفكرى كونها قضية الحاضر والمستقبل التى لا يمكن تركها بأيدى المهيجين أو الجهلة المنتفعين ممن يسمونهم بخبراء الجماعات الإسلامية.

الدكتور صلاح الصاوى له رأى مختلف.

الدكتور صلاح الصاوى هو أحد الشخصيات الدينية التى كلفت نفسها أو كُلفت بالتنظير لهذه الجماعات. وما يعنينا هو مناقشة أفكاره التى لا تختلف كثيرا عن أفكار من سبقوه من ناحية المضمون، أما من ناحية الشكل فالرجل يستخدم مصطلحات تبدو وكأنها مصطلحات فقهية ولذا فهو يتحدث عما أسماه (خلو الزمان من السلطان الشرعي) بسبب إعراض حكام آخر الزمان عن الحكم بما أنزل الله واتباعهم المناهج الوضعية والعلمانية.

يقول صلاح الصاوى فى كتابه (جماعة المسلمين: مفهومها وكيفية لزومها فى واقعنا المعاصر) دار الصفوة للنشر والتوزيع.

"كيف يكون الحال إذا خلا الزمن من الأئمة الشرعيين وخلا عن سلطان يستمد شرعيته من إقامة الدين واجتمع الولاة على العلمانية والمناهج الوضعية وأصبحوا يوالون ويعادون على ذلك وأصبحوا دعاة على باب جهنم من أجابهم قذفوه فيها؟؟ ونقصد بشغور الزمان عن الإمام انعدام الحكومة الشرعية التى تحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى عصر من العصور أو فى جزء من أرض الإسلام لا يمتد إليه سلطان الإمام ويتخذ فى الواقع العملى إحدى صورتين:

الأولى : انعدامها حسا كما لو مات الإمام أو عزل لسبب يقتضيه ولم يعقد أخل الاختيار البيعة لغيره.

الثانية : انعدامها شرعا كما لو ارتد الإمام عن الإسلام (؟؟!!) أو بدل شرائع الله فسقطت بذلك بيعته وانحلت عقدة إمامته وإن بقى فى موضعه قابضا على أزمة الأمور وذلك لأن الحاكم يستمد شرعيته من أمرين من بيعة الأمة له ومن تحكيمه لشريعة الله وإقامته فى الأمة كتاب الله وإذا كان أهل

السنة قد تجاوزوا أمر البيعة فى حالات الضرورة وأقروا بولاية المتغلب (!!) جمعا للكلمة وحقنا للدماء فقد انعقد إجماعهم على أن من لم يقم فى الأمة كتاب الله فلا شرعية لحكمه ولا انعقاد لبيعته ولا نفوذ لولايته لأن تفرق الأمة على الحق أولى من اجتماعها على الباطل) ص ٤١-٤٣.

ثم يقول تحت عنوان (بطلان الولايات المنعقدة على العلمانية) "إن الذى يتأمل واقع هذه الولايات فى المجتمعات التى استبدلت فيها المناهج الوضعية بالشريعة الإسلامية وفصلت فيه الدولة عن الدين وتحاكمت فى الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله ليدرك بالبداهة بطلان هذه الولايات وانعدام شرعيتها من الأساس" ص ٤٥ المصدر نفسه.

ثم يخرج الشيخ الدكتور من قراءته لواقع الأمة باستنتاج مفاده "ضرورة التزام المسلم بالبيعة لإحدى الجماعات الموجودة على الساحة من أجل إعادة الدولة الإسلامية إلى الوجود" هذا الوجود الذى زال بزوال (الأئمة) الذين يحكمون بما أنزل الله، والذين كانوا من وجهة نظره شرعيين بالرغم من وصولهم إلى السلطة عبر غصب إرادة الأمة حيث تجاوز أهل السنة والجماعة (حفظهم الله) عن هذه "السقطة الصغيرة" من أجل تحقيق الهدف الأعلى والأسمى وهو (تطبيق الشريعة الإسلامية).

فهؤلاء الحكام (اللصوص الكبار) الذين سرقوا إرادة الأمة و(القتلة) الذين لم يبالوا بسفك دماء آلاف البشر حتى يتمكنوا من الاستيلاء على السلطة و(الفراعنة) لأنه لا وسيلة لإدامة هذا النوع من الحكم إلا عبر القهر والقتل وسفك الدماء وفتح السجون لأحرار الأمة.. كل هؤلاء كانوا فى عرف الدكتور الصاوى ومن يطلق عليهم أئمة أهل السنة والجماعة (كانوا يطبقون الشريعة الإسلامية) وياللهول وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رؤية تنظيم الجهاد لقضية التغيير :

ننتقل إلى فيلسوف تنظيم الجهاد (محمد عبد السلام فرج) وكتابه الفريضة الغائبة وهو يتناول عين القضية (الدار التى نعيش فيها - هل نعيش فى دولة إسلامية؟؟) فيقول (من شروط الدولة الإسلامية أن تعلوها أحكام الإسلام وقد أفتى الإمام أبو حنيفة أن دار الإسلام تتحول إلى دار كفر إذا توفرت فيها ثلاثة شروط مجتمعة:

١- أن تعلوها أحكام الكفر.

٢- ذهاب الأمان للمسلمين.

٣- المتاخمة والمجاورة وذلك بأن تكون تلك الدار متاخمة لدار الكفر بحيث تكون مصدر خطر على المسلمين وسببا فى ذهاب الأمن.

وأفتى شيخ الإسلام ابن تيميه فى كتابه الفتاوى الجزء الرابع عندما سئل عن بلد تسمى ماردين كانت تحكم بحكم الإسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر هل هى دار حرب أم دار سلم فأجاب إن هذه مركب فيها المعنيان فهى ليست بمنزلة دار السلم التى يجرى عليها أحكام الإسلام ولا بمنزلة دار الحرب التى أهلها كفار بل هى قسم يعامل المسلم فيها بما يستحق ويعامل الخارج على شريعة الإسلام بما يستحقه.

وما زال الكلام لفيلسوف الجهاد (والأحكام التى تعلو المسلمين اليوم هى أحكام الكفر بل هى قوانين وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين حيث يقول تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" فبعد ذهاب الخلافة النهائية عام ١٩٢٤ واقتلاع أحكام الإسلام كلها واستبدالها بأحكام وضعها الكفار أصبحت حالتهم هى نفس حالة التتار كما ثبت فى تفسير ابن كثير لقوله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون"آية ٥٠ المائدة).

الفريضة الغائبة - تنظيم الجهاد هل هو البديل الإسلامي÷ دار الحرية- نعمة الله جنينة.

والواقع أننا لا نرى فارقا كبيرا بين الرؤى المتعددة التى تطرحها تلك التنظيمات لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية، وكل ما هنالك هو اختلاف المزاج النفسى بين الجماعتين واستعجال الجهاديين لإثبات القدرة على منافسة التنظيم الأقدم والذى لم يكن له من عيب من وجهة نظرهم إلا أنه اهترأ وفقد الشجاعة والقدرة على القتال وشغلته (الدنيا) كما دأب هؤلاء على وصفه.

والواقع أن التنظيم الأقدم لم يقصر فى استخدام العنف والقتل لتحقيق تلك الأهداف التى أجمع هؤلاء على ضرورة تحقيقها وهى "تطبيق الشريعة الإسلامية" و"محاربة أعداء الإسلام أو أعداء الجماعة"، رغم أنه تمهل أكثر من عشرين عاما قبل افتتاح سلخانته البشرية فى قلب مصر عندما قتل

القاضى الخازندار والنقراشى باشا رئيس الوزراء بتهمة (محاربة الإسلام والمسلمين المتمثل فى جماعة الإخوان المسلمين). وكل هذا ثابت ومدون فى اعترافات قادة الجماعة التى أصدروها كتبا ومذكرات عندما أحسوا بالأمان والاسترخاء راجع (النقاط فوق الحروف: أحمد عادل كمال، حقيقة النظام الخاص: محمود الصباغ، حصاد العمر: صلاح شادي).

فعندما يتحول الصراع السياسى بين الإخوان المسلمين والنقراشى باشا رئيس وزراء مصر إلى صراع بين الإسلام والكفر، فإن هذا يعد تكريسا لمبدأ تكفير الآخر واعتبار الجماعة التنظيم هى الممثل الشرعى والوحيد لأمة لا إله إلا الله باعتبارها الوريث الوحيد للخلافة العثمانية الراحلة، والتى يراها منظرو أهل السنة والجماعة خلافة شرعية ينبغى السمع والطاعة لها وفقا لرؤية هؤلاء التى توجب السمع والطاعة لأئمة الجور (ما أقاموا كتاب الله وفى رواية إلا أن تروا كفرا بواحا ليس لكم من الله فيه سلطان) فإن هذا يكشف عن حالة من التخبط والخلل العقلى فضلا عن الدينى من قبل أناس يرون أنفسهم أصحاب محمد ص ورسل الهداية من السماء إلى الأرض. والمحصلة النهائية التى رأيناها بأم أعيننا أن الإسلام الذى يزعم هؤلاء أنهم هبوا للدفاع عنه هو أول من تضرر من تصرفاتهم الخرقاء وآخر من استفاد من تصوراتهم الأكثر حمقا عن حقيقة الدين وما يجب وما لا يجب.

الوهابية:

يزعم مروجو الوهابية أنها حركة إسلامية إصلاحية وهو زعم لاقى رواجا تطبيقا للحكمة العلوية القائلة (إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم)... هذا إن لم يكن لهم مساوئ، أما عندما يتعلق الأمر بالوهابية المجرمة التى عاثت فى الأرض فسادا وإجراما وسفكا للدماء وتكفيرا للمسلمين تصبح محاولة إلصاق المحاسن والإصلاح ضربا من الفجور أو الجهل المطبق وانقلاب الموازين.

أما لماذا العودة للوهابية فالسبب يرجع لأن كل من ذكرناهم من أدعياء الإصلاح يؤرخون إصلاحهم من لحظة سقوط الخلافة العثمانية، ويتغافلون عن أن هذه الخلافة قد انهارت لأسباب عدة من بينها الطرق الداخلى المتواصل الذى قامت به نفس تلك الحركات والتى تواصل الطرق التخريبى

داخل المجتمعات المسلمة التى تزعم أنها تريد لها الخير والصلاح، بينما هى تمهد لسقوطها فى يد العدو الأجنبى كأوراق الخريف الذابلة.

ألا إنهم يطلبون دما هم سفكوه!! أو كما قال المثل الشعبى (يقتل القتيل ويمشى فى جنازته).

ولنرجع إلى أوراق الوهابية والدور الذى لعبته فى إسقاط الخلافة العثمانية.

يقول واحد من أتباع تلك المدرسة وهو الدكتور (عبد الله بن محمد العجلان) فى كتابه (حركة التجديد والإصلاح فى نجد فى العصر الحديث):

إن الفترة الواقعة من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى كانت من الفترات الحالكة فى تاريخ الأمة الإسلامية عامة وفى منطقة نجد وقلب جزيرة العرب خاصة وذلك لعدة أسباب منها:

١- التمزق السياسى الذى حاق بالأمة الإسلامية.

٢- الركود الفكرى والثقافى إذ توقف مد الثقافة الإسلامية وأقفرت مرابعها.

٣- جمود الفقه الإسلامى وعدم قدرة علمائه على مواجهة المشكلات بحلول إسلامية.

٤- ضعف الصلات السياسية والعلمية والثقافية بين حواضر العالم الإسلامي.

٥- ضياع الأهداف العليا للأمة الإسلامية.

٦- كثرة الخلافات السياسية والفكرية والمذهبية.

٧- تركيز الخلافة العثمانية فى عهدها الأخير على جمع الجبايات وتجميع المغانم.

٨- قلة العلم وانتشار الجهل.

٩- ظهور الابتداع فى الدين والانحراف فى العقيدة.

والمتتبع لتاريخ نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجد أن الحياة كانت غير إسلامية وأن الناس كانوا على جهل تام وضلال كامل وانحراف واضح فى أصل العقيدة وقواعد الإيمان فى العبادات والأخلاق

والسلوك والعادات وأن الشرك قد طبق البلاد طولا وعرضا وأن الحياة عادت جاهلية صرفة (تأمل وقارن بما يقوله حسن البنا وسيد قطب وغيرهم). يقول ابن بشر رحمه الله وكان الشرك إذ ذاك عند بدء الدعوة الإصلاحية قد نشأ فى نجد وكثر الاعتقاد فى الأحجار والأشجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعانة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم فى زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

ويرى منظرو الوهابية أن تلك الحالة الكفرية لم تكن قاصرة على مصر دون مصر بل تكاد تكون شاملة فى كثير من بلاد المسلمين بما فيها مصر والعراق. ص ٣٣.

إذا فالوهابيون قد سبقوا كل هؤلاء فى وصف كل من عداهم من المسلمين بالكفر والجاهلية وخصوا بالذكر مصر والعراق لأسباب لا تخفى على اللبيب. ونحن كنا نتمنى على منظرى الأخوان المسلمين أن يقرءوا هذا الكلام قبل أن يلقوا الاتهامات جزافا على الاحتلال الإنجليزى ويتهموه بأنه هو من أبطل العمل بأحكام الشريعة الإسلامية أو أن يلقوا بالعبء على أتاتورك وإسقاطه لخلافتهم العثمانية الذابلة. والواقع انهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفهمون وما لا يعرفون فضلا عما لا يفعلون ثم يتبعهم الغاوون والمغفلون.

المهم: لقد قرن محمد بن عبد الوهاب القول بالفعل وتحالفت (العقيدة) مع السياسة متمثلة فى شخص ابن سعود وبدأوا فى شن الغارات على (المسلمين الكفار) وانتهكت حرمتهم وسفكت دماؤهم فى كل مكان طالته أيديهم المجرمة.

ثم يزعمون أن الوهابية حركة إصلاحية!!!

والرواية التالية نقلا عن (حاضر العالم الإسلامي) تأليف الأمير شكيب أرسلان ولوثردوب استودارت (حيث قامت جحافل الوهابية بغزو مدينة كربلاء فذبحوا قسما من أهلها ونهبوا المشهد الحسينى وحازوا كل ما فيه من تحف ونفائس تأتى إليه من زوار العجم ولم يثقل ذلك على ضمائرهم لأنهم ينظرون إلى كل من يعظم القبور نظرهم إلى الكافر).

ومتى كان لدى هؤلاء ضمير؟؟ وهم يكررون الآن تلك الجرائم في النجف وكربلاء بنفس الضمير المستريح؟؟!!.

(وحدثت فتنة بين الشريف غالب وأخيه عبد المعين بسبب النزاع على إمارة مكة فتغلب غالب على أخيه واستعان عبد المعين بابن سعود فزحف إلى الحجاز وهزم الشريف غالب واجتاح الطائف وتقدم إلى مكة فدخلها وهدم أضرحة الأولياء ورفع التحف والنفائس التى كانت مودعة فى الحرم الشريف ثم أعادوا الكرة مرة أخرى فعادوا إلى الحجاز عام ١٨٠٥ ودخلوا الحرمين وهدموا قبور الأولياء ونهبوا ما فى الحرم الشريف من الجواهر والتحف وباعوها بالمزاد العلنى وأذابوا قناديل الفضة والشمعدانات والآنية الفضية كلها ووزعوا أثمانها على حامية المدينة ثم توجهوا صوب مشهد الإمام على عليه السلام فى العراق وكبسوه بياتا فأحس بهم الخفراء فأيقظوا أهل البلد فثاروا بهم ودفعوهم عنهم وامتد الصريخ إلى الأعراب الذين حول النجف فجدوا فى أثر الوهابيين فكسروهم وانقلبوا صوب السماوة وكان الأمير سعود بن عبد العزيز رجلا ماهرا فى السياسة فرأى أنه ما دام مقاوما للسلطة العثمانية فلا بد أن يصافى أعداءها فتودد إلى شركة الهند الإنجليزية وإلى العجم وأمر جماعته بالحفاظ على قافلة الحج الفارسي).

(ثم كان ما كان من دخول الجيش المصرى الحرب تأديبا للوهابيين بناء على طلب الدولة العثمانية) وهى الواقعة التى لم ينسها هؤلاء إلى يومنا هذا.

ص١٦١-١٧٠ المصدر السابق.

مجرمون وقطاع طرق ومتحالفون مع الكفار الإنجليز!! إلا أنهم على أى حال مدافعون عن عقيدة التوحيد مما يغفر لهم ويمحو آثامهم ومما يؤكد على حتمية أن نغفر لهم ونسكت عنهم ونغض الطرف عن جرائمهم بفضل (ريالاتهم) التى لم تكن يوما ما ملكا لهم ولكنهم يغدقونها على أصحاب اللحى والعمائم والياقات البيضاء ليشتروا بها ضمائرهم وليعلنوا للدنيا أن الوهابية كانت حركة إصلاحية!! يا أخي!!!!.

وهنا تبرز معضلتان ليست فيهما واحدة تفضل الأخرى.

أول هذه المعضلات هى المعضلة الأخلاقية التى سمحت لهؤلاء أن يعيثوا فى الأرض فسادا وأن يصبح هذا هو قانونهم الأخلاقى الأساسى بدءاً من سعود الأول وحليفه ابن عبد الوهاب وصولا إلى أسامة بن لادن وتابعه الزرقاوى، والمتمثل فى استباحة دماء المسلمين وأعراضهم وثرواتهم وهدم

بنيتهم الأساسية السياسية والتحالف مع ألد أعدائهم من الإنجليز.. كل هذا بذريعة الدفاع عن العقيدة وعن التوحيد الذى هو حق الله على العبيد وفقا لفهمهم الأزعر، ثم هم لا يكفون عن الندب على الخيانة المزعومة لابن العلقمى الشيعى الذى كان وزيرا للعباسيين إبان الغزو التترى، وهى أكذوبة وفرية لا أساس لها جرى استخراجها من بطون الكتب بينما يشهد لهم تاريخهم المعاصر الذى لا يزال الكثير من شهوده على قيد الحياة أنهم لم يبالوا بعرف ولا قيمة عندما كان الأمر يتعلق باستيلائهم على السلطة كما نقلنا عن صاحب حاضر العالم الإسلامى الذى لا يتهم بالانحياز ضدهم كما أن هذا التحالف ما زال قائما حتى الآن.

أما المعضلة الثانية فتتمثل فى ذلك التناقض الجوهرى الذى يضرب نظرية (أهل السنة والجماعة) عن السمع والطاعة وعدم جواز الخروج على الحكام الظلمة أو التسبب فى فتنة أخطر من تلك التى نهض هؤلاء المصلحون لإصلاحها وتحديدا فى بكائهم المر على الدولة العثمانية التى تآمر عليها الغرب الصليبى ويتناسون الشريك الداخلى الأهم للغرب الصليبى فى الخيانة والتآمر وهم الوهابيون ومن لف لفهم ودار دورهم.

الذين يزعمون أن الوهابية كانت حركة إصلاحية هم نفسهم الذين يقولون أن مأساة العالم الإسلامى بدأت مع سقوط هذه الخلافة فكيف يمكنهم تبرير هذا التناقض؟؟.

المثقفون المصريون الذين لا يعنيهم إلا الإعارة والبترو دولار لم يتعرضوا يوما ما لهذا السؤال وقاتل الله الحرص فقد أذل أعناق الرجال والطمع رق مؤبد.

الذى حاول الإجابة على هذا السؤال هو ذلك العجلان الوهابى الذى نقلنا عنه سابقا عندما قال فى كتابه ص ١٢٨ (ولما بدأت حركة الإصلاح والتجديد فى نجد لم تعرها الخلافة العثمانية أى اهتمام بل تركتها تتصارع مع قوى المعارضة الداخلية دون تدخل ينكر حتى وصل مد الدعوة إلى الحرمين الشريفين وسواحل البحر الأحمر وأطراف الشام والعراق وأعلنت مبادئ الدعوة فى مواسم الحج بدأت الدولة العثمانية تنظر إليها بخطورة للدوافع الآتية:

١- اعتبار حركة الإصلاح والتجديد فى نجد حركة سياسية غير مشروعة فى ظل خلافة إسلامية قائمة وتنذر خطر بتصدع الخلافة وتقطيع أوصالها.

٢- إن واجب الخلافة العثمانية نصرة أتباعها في المنطقة الذين ظلوا فيها على السمع والطاعة وتعرضوا للأذى في سبيل دينهم والسمع والطاعة لدولة الخلافة.

٣- أن الدين يقتضى القضاء على تلك الفئات الخارجة عن الطاعة المفرقة لجماعة المسلمين وإمامهم والمنكرة لما هم عليه من عقائد.

ثم يقول ما نصه حرفيا (ومع أننى تتبعت رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤلفاته لرغبتى الشديدة في معرفة منهجه السياسى فى الحكم ورده على ما أثارته المعارضة الخارجية (أى الدولة العثمانية) ضد دعوته من أنها حركة انفصالية غير مشروعة عن خلافة إسلامية قائمة مع ما أعرفه من عقيدة أهل السنة والجماعة من وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين برهم وفاجرهم ووجوب طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية وتحريم الخروج عليهم...ومع كل ذلك لم أعثر على أى كلام للشيخ فى هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد يرد فيه على هذه المقولة أو يشرح وجهة نظره فى هذا الأمر) ص ١٢٨-١٣٠.

لماذا لم يجد الرجل جوابا؟؟ ولماذا يبحث من الأساس عن مثل هذا الجواب وهو واضح وضوح الشمس وهو أن النظرية المزعومة والمنسوبة زورا وبهتانا للإسلام تتلخص فى كلمتين أن الملك لمن غلب وأن اللعب على خروج المغلوب أو بمعنى أدق على قتل المغلوب ولا دية له سواء كان هذا المغلوب هو من حاول الوصول إلى السلطة ولم يصل أو ذلك الذى كان فى السلطة ولم يتمكن من الحفاظ عليها!!!.

ثم يزعمون أن هذا هو الدين!!.

إنها نظرية ينقض أولها آخرها إذ كيف يمكننا أن نصدق أن الإسلام يأمر بوجوب السمع والطاعة لهؤلاء الظلمة تحت كل الظروف والأحوال ما لم (؟؟!!) يأمروا بمعصية والصبر على مظالمهم وكأنك تقول (وجوب الصبر على ظلم الظالم ما لم يأمر بالظلم ووجوب الصبر على قتل القاتل ما لم يأمر بالقتل).

إنها مزحة سخيفة لا تنتمى لله حينما يحرم هؤلاء الشيوخ الخروج على هؤلاء الظلمة ويبيحون لهم فى نفس الوقت الاستيلاء على السلطة عن طريق الغلبة ويعترفون بشرعية الحاكم الانقلابى المتغلب ولو كانوا حقا يريدون إغلاق الطريق فى وجه المغامرين وطلاب السلطة لأفتوا ببطلان سلطان الانقلابى ولأفتوا بحرية الناس فى اختيار من يحكمهم ولأفتوا ببطلان كل تلك

النظم الجائرة التى تعاقبت على حكم وظلم المسلمين بدءا من بنى أمية وصولا إلى ملوك آخر الزمان مرورا بالعثمانيين.

أما أن ينسب كل هذا إلى الدين والعقيدة ويجرى الاستشهاد بالروايات المزورة من أجل الضحك على ذقون البسطاء وإدامة استغفالهم فهذا ما لا بد أن ينتبه له المسلمون إن كانوا يريدون حقا أن يعيشوا حياة كريمة كبقية الشعوب.

ماذا نخوض هذا الجدل؟؟

الآن يقف البعض موقف سلبيا من هذه الجماعات لأسباب متنوعة منها ما هو واقعى تماما مثل الدور الذى قامت به جماعة الإخوان المسلمين فى إجهاض التجربة الديمقراطية القائمة فى مصر بدلا من السعى لإصلاحها وتطويرها واستبدالها بالعسكريتاريا التى أعادتنا إلى ما قبل نقطة الصفر دستوريا وقانونيا وصادرت حق تكوين الأحزاب وأغلب الحريات الأساسية التى تنعم بها الشعب المصرى قبل حلول تلك الكارثة. وكان من أوائل من تنعم بها تلك الجماعة التى بقيت تحرض على الحريات القائمة ولم يهدأ لها بال حتى تخلصت منها بالتعاون مع هؤلاء العسكر من المنضوين تحت لواء الجماعة أو المتحالفين معها.

الشعارات التى رفعتها ثورة يوليو الأخوانية تحولت إلى كوارث ونكبات لم نتخلص منها حتى الآن. فشعارات التحرر الوطنى آلت إلى احتلال سيناء من قبل الصهاينة وكان ما كان من دفع ثمن سياسى باهظ من أجل استعادة بعض وليس كل ما ضيعته (ثورة يوليو الإخوانية المباركة) ويكفى أن هذه الثورة المباركة قد أهدت إسرائيل (أم الرشراش- إيلات) عام ١٩٥٦ لتصبح إسرائيل فى عهدها دولة من دول البحر الأحمر.

الإخوان الذين ما زالوا يصرون على أن اغتيال القاضى الخازندار كان عملا فرديا (وليس اغتيالا للقضاء) هم أنفسهم الذين يئنون الآن بسبب المحاكمات العسكرية التى طالتهم وطالت غيرهم من الجماعات المشابهة.

جرى تعميم ثقافة العنف الأعمى فى كافة أرجاء العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه وصولا إلى الساحل الشرقى للولايات المتحدة الأمريكية وأيا كان ما يزعمه هؤلاء من عدم وجود علاقة مباشرة بينهم وبين بن لادن وتنظيماته، إلا أننا لا نرى أثرا لثقافة تغييرية لا عنفية أسهمت هذه الجماعة أو غيرها فى

بلورتها وحتى لحظة كتابة هذه السطور لا زال الصوت الزاعق لتلك الجماعة وثقافتها العدوانية هو العنصر السائد فى الثقافة الإسلامية المبتسرة ولا شك أن النظم التى تفهمهم جيدا بسبب وحدة النشأة والمصير تعرف كيف تستفيد منهم ومن صرخاتهم المدوية الفارغة من أى مضمون أخلاقى فى قمع التيارات الفكرية الإصلاحية الداخلية الواعية وجلب الدعم الجماهيرى الغوغائى فى مواجهة الضغوط الإصلاحية الآتية من الخارج!!.

الأخوان المسلمون الذين يدينون العنف فى مصر (مكرها أخاك لا بطل) لا يدينون العنف الأعمى فى العراق الذى يحصد أرواح العشرات من الأبرياء كل صباح ومساء بل يتسترون على ما يرتكبه أبناء تلك الجماعات الإرهابية فى العراق من مجازر بحق المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ تمشيا مع حالة العنف الداخلي الكامنة في نفوسهم، وكأن البحث عن عدو داخلى أو خارجي يقتتلون معه بحق أو من دون حق هو مبرر وجودهم الذى يخشون عليه الضياع، فهم حماة الأمة الإسلامية والمدافعون عنها فى وجه الأعداء الحقيقيين أو الوهميين الذين تصطنعهم الثقافة الضحلة لهؤلاء المبتسرين.

الإخوان المسلمون فى العراق مذبذبون بين العنف الأعمى المتسربل بالدين وبين الخيار السياسى الديمقراطى، ولكن البعد الأخطر فى تشكيل سياساتهم هو الولاء الطائفى الموروث. فهم يرون أنفسهم جزءا من طائفة استأثرت بالحكم طيلة قرون التاريخ الإسلامي وتريد أن يدوم لها هذا الاستئثار، مع أنه كان من المفترض وفقا لأدبيات هذه الجماعة الأصلية أنهم طلاب حقيقة وليسوا أتباع مرحلة ولت إلى غير رجعة من التلفيق باسم الدين ذلك التلفيق الذى فضحنا بعضا منه فى السطور السابقة ولذا فنحن لا نرى بأسا أن نكمل فضح الحقيقة ليهلك من هلك عن بينة وليعلم كل أبناء هذه الأمة ألا خلاص إلا بالتجرد والقيام لله رب العالمين.

الخوارج الأوائل:

أحدى المسلمات التى يتداولها المسلمون من دون تدقيق ولا تمحيص ما يسمونه بالفرقة الوحيدة الناجية من النار معتمدين على رواية تقول (افترقت اليهود على سبعين فرقة وافترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة وافترقت أمتى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة) رواه أبو داود.

وهناك عدة تساؤلات فى غاية الأهمية حول مفهوم (الفرقة الناجية وبقية المسلمين فى النار) بينما هم يروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن كل من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فكيف يمكننا الجمع بين النقيضين.

لقد أدى التسليم بنسبة هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى محاولة تقسيم الأمة إلى ٧٣ فرقة أو بمعنى أدق أصبحت هناك حاجة للقيام بهذه المهمة التمزيقية وهى كارثة وربما مؤامرة لتكريس التمزق والانقسام باعتبار أن هذا يمثل الإرادة الإلهية.

وقديما اغتر اليهود والنصارى بمثل هذه الوعود التى منحوها لأنفسهم وصاغها العلماء المنحرفون فكان أن صفعهم رب العزة بقوله (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) البقرة.

ومن هنا تم تصنيف الخوارج باعتبارهم فرقة وهم ليسوا كذلك. إنهم يمثلون حالة ولا يمثلون فِرقة، حالة داعية للتشرذم والفُرقة وهى أيضا قابلة للتكرار والتجلى على ألسنة وأفئدة البعض كلما تلاقت ظروف الجهل السائد مع أبطال المرحلة الأكثر جهلا وصلفا. ولو أنك سألت أيا من هؤلاء الخوارج هل أنت من الخوارج لغضب أشد الغضب لأنه يفخر بذاته ويرى نفسه المسلم الأوحد من بين بقية البشر.

أضف إلى ذلك أن كلمة الخوارج ليست وصفا عقائديا بل كانت مجرد علامة على الظروف التى يظهرون فيها واردة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان وصفهم بالأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق والنجدات نسبة إلى نجدة.

الأمر الثانى المتعلق بظاهرة الخوارج هو أنهم شياطين يرتدون ثياب الآدميين ويزعمون أنهم مصلحون يرفعون شعار "إن الحكم إلا لله" يعملون فى الدين بأهوائهم "وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون".

إنهم مفسدون يستعملون سلاح الدين فى إفسادهم لا يقتدون بعمل نبى ولا يقتصون أثر وصى. المعروف عندهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا. والغريب أنه لا أحد من جهابذة آخر الزمان حاول أن يقتفى أثرهم أو يعرف

أين يوجد محط رحالهم بعد أن هزموا شر هزيمة فى أول معركة خاضـوها من أجل فسادهم فى مواجهة إمام الحق على بن أبى طالب. وقد تمنى يومها بعض من كانوا فى جيش الإمام على أن ينقطع أثرهم من الوجـود فقـالوا (هلكوا بأجمعهم يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام والله ما هلكـوا ولكـنهم نطف فى أرحام النساء وأصلاب الرجال كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين).

وإذا كانوا قد هلكوا يومها ولم يعد لهم أثر فلماذا أوصى الإمام علـى "لا تقاتلوهم من بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه).

الخوارج: البدايات الأولى:

روى ابن حجر فى الإصابة عن أنس قال: كان فى عهـد رسـول الله ص رجل يعجبنا تعبده واجتهاده فبينا نحن نذكره إذ طلع علينا فقلنـا هـو ذا فقـال رسول الله ص إنكم لتخبرون عن رجل إن فى وجهه لسفعة من الشيطان فأقبـل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله ص أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما فى القوم أحدا أفضل منى أو خيرا منى قال اللهم نعم.

كما أخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال بينا نحن عند رسول الله ص وهو يقسم قسما قسما إذ أتاه ذو الخويصرة التميمى قال يـا رسـول الله اعدل فقال رسول الله ويلك ومن يعدل إن لم أكن أعدل فقال عمر ائذن لـى فلأضرب عنقه فقال رسول الله ص دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صلاته وصيامه إلى صيامه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقـون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم إلى نصله فلا يوجد فيـه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المـرأة **يخرجون على خير فرقة من الناس** قال أبو سعيد فأشهد أنى سمعت الحديث من رسول الله وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معـه فـأمر بـذلك فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبى الذى نعته.

وفى رواية أخرى لأحمد بن حنبل (لا يزالون يخرجون حتـى يخـرج آخرهم مع الدجال).

وقد روى الشريف الرضى فى نهج البلاغة قال لما قتل الخوارج قيل للإمام على (ع) هلك القوم بأجمعهم فقال عليه السلام كلا والله إنهم لنطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين). شرح النهج ج١ ص٤٢٧.

وقد روى النسائى فى خصائص الإمام على بن أبى طالب عن أبى سعيد الخدرى نفس الأحاديث وإن بصيغ مختلفة (تمرق مارقة من الناس يلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق) وقوله صلى الله عليه وآله (تفترق أمتى فرقتين تمرق مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق).

روى النسائى فى الخصائص عن زيد بن وهب عن على بن أبى طالب (ع) قال لما كان يوم النهروان لقى الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح (قتلوا جميعا) فقال على رضى الله عنه اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فلم يجدوه فقال على رضى الله عنه ما كذبت ولا كذبت اطلبوه فطلبوه فوجدوه فى وهدة من الأرض عليه ناف من القتلى فإذا رجل على يده مثل سبلات السنور فكبر على رضى الله عنه والناس وأعجبهم ذلك. رواية ١٧٦.

وروى النسائى خبر المخدج أو ذو الثدية أيضا عن على بن أبى طالب عليه السلام وعن غير طريق أبى سعيد الخدرى (زيد بن وهب وعبيدة اليماني).

روى النسائى عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: أنا فقأت عين الفتنة لولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل ولولا أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذى قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا بالهدى الذى نحن عليه.

ملاحظات هامة:

١- التحريف والتزوير الذى مارسه بعض المحدثين حينما غيروا عبارة (خير فِرقة) لتصبح (حين فُرقة) والعبارة الأولى تلتقى مع بقية المرويات لأن خير فِرقة هى أولى الطائفتين بالحق وهى حزب الله الفائزون الذين والوا ولى الله وعادوا عدو الله (من كنت مولاه فعلى مولاه والى الله من والاه وعادى الله من عاداه) وهكذا فتهمة التحريف والتزوير ينبغى أن توجه للمجرمين الحقيقيين.

٢- أثناء بحثى عما كتب عن قضية الخوارج وجدت باحثا ينفى واقعة ذو الثدية لأن شاهدها الأوحد بزعمه هو أبو سعيد الخدرى والواقعة تحتاج إلى شاهد آخر وفاته أن قاعدة قبول الأحاديث والمرويات كلها تقوم على شاهد أوحد فضلا عن أن هذه الواقعة لم ينقلها أبو سعيد الخدرى وحده بل نقلها غيره كما أسلفنا.

٣-

ملامح الشخصية الخوارجية:

كنا ولا زلنا نعتقد أن الخوارج (حالة) وليست فريقا مذهبيا.

حالة نفسية وأسلوب فكرى وسلوكى فى التعامل مع الآخر المسلم وانتزاع الأدلة من مواضعها لتخدم غرضا فى نفوسهم المريضة.

أما المذهب فهو كيان فكرى وفقهى له حدود وأبعاد يمكن تمييزه والتعرف إليه من خلال قرائتها والاطلاع عليها كما أن صاحب المذهب لن يخجل من الاعتراف بمذهبه وموقفه على عكس الخوارجي الذى سينكر تماما أى رابط بينه وبين ذلك الفكر أو تلك الحالة التى أوسعها المسلمون قديما وحديثا انتقادا وهجوما بل وأن عتاة الخوارج المعاصرين يصفون المتمردين عليهم بأنهم من الخوارج.

فما هى أهم صفات الخوارج؟؟

- التزام دينى شكلى صارم فهم لا يملون ولا يكلون من الصيام والقيام وقراءة القرآن ولكن شيئا من هذا لا يمتد بأثره إلى القلب الصخرى القاسي.
- صلف وغرور وتطاول لا يحده حد أو يقيده قيد وإذا كان هؤلاء الأجلاف قد تطاولوا على مقام النبوة ثم على مقام الإمامة المتمثل فى على بن أبى طالب عليه السلام فما بالك بمن هو دونهم وما بالك بعصاة المسلمين.
- إنهم ليسوا أصحاب ديانة ولا أصحاب ورع حقيقى بل أصحاب شكل دينى جاءت به الأخبار والروايات و(نزعة عدوانية) (وادعاء وقح)

بأنهم خير البشر وخير من فى المسجد وأهل الهداية والرشاد والفهم الكامل الشامل للإسلام إلى آخر تلك المنظومة من المدائح الزائفة، ولكن شيئا من ذلك لا يغير من حقيقة أنهم شر الخلق والخليقة بعدوانهم على مقام النبوة والإمامة ثم عدوانهم على عباد الله وحق الأمة ومحاولاتهم الابتزازية الدائبة للفساد تحت عناوين الإصلاح.

كان ما سبق حديث عن المضمون الفكرى الخوارجى وطريقتهم فى التعامل مع غيرهم أما عن أشكال تحركهم فكانت كما يلي:

- برفعهم شعار (إن الحكم إلا لله) فى مواجهة إمام الحق على بن أبى طالب ومن أين لهؤلاء الجهلة الأجلاف العلم والدراية بحكم الله حيث تبلغ الوقاحة ذروتها برفع الشعار فى مواجهة إمام الحق، ولكن يبقى أن حال الخوارج هو هُو أينما وحيثما رفعوا هذا الشعار من دون أن يكونوا مؤهلين لهذا التحكيم لا علما ولا خلقا بالترفع عن الأهواء والأغراض وهو ما يفتقدونه منذ البداية وحتى الآن.
- بتكفيرهم لأمة لا إله إلا الله وإطلاقهم قذائف الأحكام عليها سواء كان التكفير واضحا جليا أم مبطنا تحت عناوين مختلفة مثل الردة والجاهلية.
- باستباحتهم دماء المسلمين بناء على تكفيرهم.

من أين جاءت تسمية الخوارج؟؟

الغالب على الذهنية الإسلامية العامة أن كلمة الخوارج هو وصف التصق بهؤلاء بسبب خروجهم على الإمام على بن أبى طالب (أى أنهم خوارج لأنهم خرجوا ولو لم يخرجوا لما سموا بالخوارج ولو خرجوا على غير الإمام على فهم ليسوا بخوارج!!) وهو كلام يفتقر إلى الدقة والموضوعية فهم أيضا المارقون (تمرق مارقة من الناس) وهم أحيانا (أهل النهروان) وهم تارة أخرى (الأزارقة) وأحيانا (المحكمة)، وكل هذه أسماء تصف قوما من المسلمين تحلوا بهذه الصفات وبالتالى فهم خوارج (خرجوا عسكريا أو لم يخرجوا) كونهم خارجون على قواعد الشرع ومتمردون على الدين باسم الدين وأصحاب رغبة عارمة فى التسلط على رقاب العباد بموجب

إتقانهم للطقوس الدينية الشكلية ورفعهم للشعارات الإسلامية الخاوية من أى مضمون حقيقى وصولا إلى رافعى شعار (الإسلام هو الحل)!!.

ولنكمل الرواية حتى يعقل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فلنبدأ من موقعة صفين تلك الحرب الأهلية التى اشتعلت داخل المجتمع المسلم.

لم تكن هذه الحرب هى الأولى من نوعها فقد سبقتها حرب الجمل بين الإمام على عليه السلام ومناوئيه بقيادة عائشة وطلحة والزبير.

لم يكن الإمام يقاتلهم على الكفر وإنما قاتلهم بسبب بغيهم وتمردهم على القيادة الشرعية وإفسادهم فى الأرض وسفكهم لدماء المسلمين الأبرياء ومن ثم فالضرورات الشرعية والأخلاقية الواقعية كانت تملى أسلوبا حازما فى التعامل معهم فالشر لا يدفعه إلا الشر والقوة لا يجدى معها إلا القوة.

الخوارج كانوا فى جيش الإمام على بن أبى طالب كما كانت الغالبية العظمى من المسلمين فيه باستثناء تلك الفئات الباغية المتمردة التى حاربته يوم الجمل أو تلك التى وقفت منه موقف المتربص من أتباع ابن آكلة الأكباد والملتفين حوله من أهل الشام.

وبالتالى فالمغالطة التى يدعيها البعض من أن الخوارج كانوا من الشيعة هى مغالطة ساذجة إذ أن التشيع بهذا المعنى العام أى الانضواء تحت راية الخلافة الشرعية كان دين الغالبية الساحقة من أبناء الأمة والمروق عن هذه الراية كان هو الاستثناء.

أما عن التشيع بمعناه العقائدى أى الولاء لأئمة الحق من آل محمد فهو مفهوم كان يومها قاصرا على خواص أصحاب الإمام من أمثال ابن عباس وعمار بن ياسر ومالك الأشتر ومحمد ابن أبى بكر والهيثم بن التيهان وميثم التمار وكميل بن زياد فضلا عن أبناء الإمام.

الأزمة التى واجهت الأمة الإسلامية :

لم يكن الحال الذى وصلت إليه الأمة الإسلامية فى تلك الأيام الأولى من عمرها بالأمر الذى يسهل فهمه أو تفسيره وربما ما زال الأمر هكذا حتى الآن.

إذ كيف يمكن لنا أن نتقبل بسهولة ذلك القتال الذى حدث بين الرعيل الأول من أهل الإسلام وكلهم كان حديث عهد بالنبوة وكيف يمكن أن يتحول الإنسان من مقاتل مضح من أجل الدين والمبادئ إلى مقاتل شرس من أجل السلطة والدنيا.

إنها الطبيعة البشرية التى يمكن أن تفسر لنا مثل هذا التحول وبقى السؤال الذى حير الخوارج الأولين (إذا كان هؤلاء مسلمين فلماذا قاتلهم وإذا كانوا كفارا فلماذا لم يسب النساء ويأخذ ما فى معسكرهم من أموال كغنائم؟؟).

ولأنهم كانوا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فقد فاتهم قول الله تبارك وتعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله) سورة الحجرات.

أى قاتلوها على البغى لا على الكفر وهى نفس المشكلة التى وقع فيها الخوارج المعاصرون. فالمجتمعات التى نعيش فيها ظاهرها الإسلام وإن ابتعدت عن جادة الصواب إلا أن الحكم الغالب على كل هؤلاء هو الإسلام والواجب على المؤمنين الخلص البحث عن الأسباب التى قادت الأمة إلى التخلف والانحراف، ومن بينها من دون أدنى شك ذلك الاستبداد والتسلط الذى جرى التأسيس له باسم الدين والذى أصبح جزءا أصيلا من منهج الإصلاح أيضا باسم الدين على طريقة داونى بالتى كانت هى الداء.

كان من الواجب على هؤلاء السعى لإيجاد بديل عن تلك الديكتاتوريات المتلبسة بالدين بدلا من المجيء بواحدة منهن وبدلا من مطالبة الناس بإعادة اعتناق عقيدة التوحيد من جديد أى تلك السخافات التى جعلت من سيد قطب مفكرا عظيما فى أعين شعوب جاهلة ومتخلفة وهاهى تجنى مر الثمار بسبب سيئ الأعمال التى لا يقدر هؤلاء الجهال على غيرها.

إذا فقد قاتل الإمام على عليه السلام هؤلاء البغاة بسبب بغيهم لا بسبب كفرهم وقد عجز هؤلاء عن استيعاب حقيقة الموقف وازداد عجزهم وارتباكهم عندما فعل داهية العرب فعلته ورفع المصاحف على الرماح مطالبا بتحكيم القرآن شكلا بينما هو يقصد الخداع والاستهزاء بالقرآن وبكل من يصدقه من السذج وقد سارع هؤلاء لقبول ما أسماه ابن العاص بتحكيم القرآن سعيا للخروج من مأزقهم النفسى ورفضوا نصيحة الإمام على وعندما انتهى التحكيم إلى لا شيء ازدادت حيرتهم وتخبطهم فأعلنوا أنهم كفروا عندما قبلوا التحكيم وطالبوا الإمام أن يحذو حذوهم فى إعلان الكفر ثم إعلان التوبة ثم

انطلقت رياح التكفير السامة تعصف بكيان الأمة الإسلامية فى خط مواز مع رياح الفسق والتحلل والطغيان والإذلال للكرام والتحلل من طاعة الله والرسول والأئمة من آل محمد فما يفسده اليمين يجهز عليه اليسار والعكس صحيح وكأنما كتب علينا أن نبقى بين شقى الرحى:

- الإفساد الخوارجى وابتزازه لأمة لا إله إلا الله.
- فساد المعاندين والفاسقين الذين يحادون الله ورسوله ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا.

ولا يوجد حتى الآن ذلك الفريق الثالث الذى يسلك بالناس طريقا وسطا دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.

كيف أعلن الخوارج عن وجودهم؟؟

الظهور الخوارجى الأول :

يروى ابن جرير الطبرى فى تاريخه أن عليا عليه السلام لما عاد إلى الكوفة دخلها ومعه كثير من الخوارج وتخلف منهم بالنخيلة خلق كثير لم يدخلوها.

فدخل حرقوص بن زهير السعدى وزرعة بن البرج الطائى وهما من رؤوس الخوارج على على بن أبى طالب عليه السلام فقال له حرقوص تب من خطيئتك واخرج بنا إلى معاوية نجاهده، فقال له على عليه السلام : إنى كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أما أنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأى وضعف فى التدبير وقد نهيتكم عنه، فقال زرعة : أما والله لئن لم تتب من تحكيمك لأقتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه، فقال له على عليه السلام : بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال زرعة وددت أنه كان ذلك قال وخرج على يخطب فى الناس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلا لله وصاح به رجل (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فقال له الإمام (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

وما زالت الرواية لابن جرير الطبرى (أن عليا عليه السلام خرج ذات يوم يخطب وإنه لفى خطبته إذ حكمت المحكمة فى جوانب المسجد –أى قالوا

إن الحكم إلا لله- فقال على عليه السلام الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل إن سكتوا عممناهم وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا قاتلناهم) فوثب يزيد بن عاصم المحاربى فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية فى ديننا فإن إعطاء الدنية فى الدين إدهان فى أمر الله عز وجل وذل راجع بأهله إلى سخط الله يا على أبالقتل تخوفنا أما والله إنى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلمن أينا أولى بها صليا ثم خرج بهم هو وأخوة ثلاثة معه هو رابعهم فأصيبوا مع الخوارج يوم النهر وأصيب رابعهم بالنخيلة.

ثم قام الإمام خطيبا مرة أخرى فقال رجل من جانب المسجد لا حكم إلا لله فقام آخر فقال مثل ذلك ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال على الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم فى أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدءونا ثم رجع إلى مكانه الذى كان فيه من خطبته.

المزايدون الحمقى :

إنه الوصف الوحيد اللائق بهم من يومها إلى يومنا هذا.

إنه الغرور الذى يدفع صاحبه لكراهية أهل الفضل ومحاولة التطاول عليهم والتحقير من شأنهم.

إنه غرور يستمد مادته من إعجاب بعبادة جسدية لا روح فيها. قوة فى الأقدام تحفز صاحبها على إطالة الوقوف فى الصلاة وحنجرة ذهبية تعين صاحبها على الترنم بآيات الله، ولكنها وحسب الوصف النبوى لا ترقى ولا تصعد إلى السماء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. ولأنها لا هى كلم طيب ولا عمل صالح يراد به وجه الله فإنها تحبس داخل هذه الذات المتضخمة لتزيدها تضخما وانتفاخا وصولا إلى الانفجار المحتوم الذى يدمر هذه الذات لتطلق أوساخها التى يظنها صاحبها من افضل من عمل الإنسان.

(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون) فاطر.

كان الإمام على عليه السلام كالطبيب الذى يريد أن يداوى مريضا تحول جسده إلى مزرعة اجتمعت فيها كل الأمراض وفجرت فيه الثغرات من كل ناحية واتجاه بينما هو يحاول إيقاف عملية التدمير الذاتى وإنقاذ هذا الجسد.

ما زالت الرواية لابن جرير الطبرى قال (بعث على ع عبد الله بن عباس إلى الخوارج فرجع ولم يصنع شيئا، فخرج إليهم فكلمهم حتى وقع الرضا بينهم فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال له إن الناس تحدثوا أنك رجعت عن كفرك (!!!) فخطب الإمام عليه السلام الناس فى صلاة الظهر فذكر أمرهم فعابه فوثبوا عليه من نواحى المسجد يقولون إن الحكم إلا لله فجعل على عليه السلام يقلب يديه هكذا وهو على المنبر فقال حكم الله ينتظر فيكم).

محاورة ابن عباس مع الخوارج :

لم يسارع الإمام على لقتال الخوارج كما انه عليه السلام لم يقاتلهم لأنهم خوارج بل لأنهم سفكوا دماء المسلمين ثم بدءوه بعد ذلك بالقتال بل تحاور معهم لمحاولة إثنائهم عن هذه المواقف العدمية الطائشة سواء كان هذا الحوار بنفسه أو خلال كبار معاونيه مثل عبد الله بن عباس والرواية للنسائى فى خصائص الإمام على بن أبى طالب.

قال ابن عباس قلت لعلى عليه السلام يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم قال إنى أخاف عليك قلت كلا قال فقمت وخرجت ودخلت عليهم فى نصف النهار وهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس فما جاء بك قلت لهم أتيتكم من عند أصحاب النبى وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وتخبرون ما يقولون... قلت اخبرونى ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ص وابن عمه قالوا ثلاث:

قلت ما هن؟؟.

قالوا أما إحداهن فإنه حكم الرجال فى أمر الله وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا كفارا سلبهم وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم؟؟.

قلت هذه اثنان فما الثالثة؟؟.

قالوا إنه محا نفسه عن غمرة المؤمنين فهو أمير الكافرين؟!!.

قلت هل عندكم شيء غير هذا؟؟.

قالوا حسبنا هذا.

قال أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ما يـرد قـولكم أترضون؟؟.

قالوا نعم.

قلت أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله فأنا أقرأ عليكم من كتاب الله أن الله قد صير حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم فأمر الرجال أن يحكمـوا فيه قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله مـنكم متعمدا فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم...) الآية فأناشدكم بالله تعالى أحكم الرجال فى أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم فـى دمائهم وصلاح ذات بينهم وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

قالوا بل هذا أفضل.

قلت وفى المرأة وزوجها قال الله تعالى وإن خفتم شقاق بينهما فـابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يردا إصلاحا يوفق الله بينهما فنشدتكم الله حكم الله فى صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم فى امـرأة ؟؟ أخرجت من هذه؟؟.

قالوا نعم.

قلت أما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهى أمكم؟ فإن قلتم إنا نستحل منها ما نسـتحل من غيرها فقد كفرتم وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم لأن الله تعـالى يقـول (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فـأنتم تـدورون بـين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج... قلت أخرجت من هذه؟؟ قالوا نعم.

وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون واراكـم سمعتم أن النبى صالح المشركين يوم الحديبية فقال لعلى (ع) اكتب هذا مـا صالح عليه محمد رسول الله فقال المشركون لو نعلم انـك رسـول الله مـا قاتلناك فاكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله لعلى امح يا على رسول الله اللهم إنك تعلم أنى رسولك امح واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبـد الله فوالله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من

النبوة خرجت من هذه قالوا نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم فقتلهم المهاجرون والأنصار.

خصائص الإمام على بن أبى طالب النسائى رواية ١٨٢.

كما روى ابن أبى الحديد فى شرح النهج أيضا أن عليا عليه السلام فى أول خروج القوم دعا صعصعة بن صوحان العبدى فقال له بأى القوم رأيتهم اشد إطاقة (الأمير) قال بيزيد بن قيس الأرحبى فركب عليه السلام إلى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس الأرحبى فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس فقال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة ثم كلمهم وناشدهم، فقالوا إنا أذنبنا ذنبا عظيما بالتحكيم وقد تبنا فتب إلى الله كما تبنا نعد إليك، فقال على عليه السلام أنا أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف، فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا عليه السلام قد رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع وتجيء الأموال ثم ينهض بنا إلى الشام، فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفرا، فقام على عليه السلام يخطب فقال من زعم أنى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فقد ضل فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت مرة أخرى) شرح النهج ج١ ص ٢٠٦.

الخوارج حالة قابلة للتكرار وليست موقفا سياسيا عابرا:

تلخصت أطروحة الخوارج فى تلك الكلمات السطحية الساذجة والتى تمثل عقلية الخوارج القدامى والمعاصرين:

- أن تحكيم الرجال فى أمور الدين هو ذنب عظيم فى مقابل الحاكمية الإلهية المتمثلة النص الإلهى والتى يمكن لأى مسلم نصب نفسه للحكم على رقاب العباد أن يمارسها وخاصة إذا كانت لديه أهلية الزعامة والجرأة على الفتوى بعلم أو من دون علم فى الحلال والحرام وهذا هو عين الفكر الذى تقدمه تلك الجماعات والمتمثل فى قادة تلك الجماعات الجهلة والقادرين على التبجح والادعاء.

- كل ذنب عظيم هو كفر بالله أو (التكفير بالمعصية) مع الفارق بين رؤية الجماعات المعتدلة والمتشددة (المعتدلة تكفر الحكام والمتشددة تكفر كل من ليس عضوا فيها أو يخالف تعليماتها).
- هذا الذنب العظيم قد وقعت فيه عموم أمة لا إله إلا الله التى أصدر السفهاء الأولون قراراتهم بتكفيرها بسبب وقوعها فى (خطيئة التحكيم) ويصفها سيد قطب وأبو الأعلى المودوى وسعيد حوى بالجاهلية المعاصرة.

ولذا وجب العودة إلى السؤال الذى أجاب عليه رسولُ الله عليا عليه السلام عندما سأله بأى المنازل أنزلهم بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة فقال عليه أفضل الصلاة والسلام بل بمنزلة فتنة.

كيف واجه الإمام على بن أبى طالب هذه الأفكار المنحرفة؟؟.

بالنسبة للفكرة الأولى (لا يجوز تحكيم الرجال فى دين الله) وهو ما عبروا عنه بقولهم (إن الحكم إلا لله) كان الرد من خلال الإمام أو من خلال ابن عباس: (أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل حكم حاكما) واستدل على ذلك بآيتين من كتاب الله:

- الآية الأولى نزلت فى حكم الصيد فى المسجد الحرام حال الإحرام حيث أوجب سبحانه تنصيب حكمين يتصفان بالعدالة لتقدير الكفارة الواجبة على من ارتكب هذا الخطأ.
- والآية الثانية تناولت مسألة الشقاق بين الزوجين حيث أوجب سبحانه تعيين حكمين يمتلكان نفس المواصفات المذكورة آنفا أى العدالة.
- إذا فهناك قضية وهناك حاكم أو حكام يمتلكون تفويضا إلهيا لإصدار حكم يحقق العدل بين الزوجين المتخاصمين أو يقدر العقوبة الملائمة لانتهاك قواعد الإحرام (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم)، والأهم من هذا أن الحكم ليس محددا بصورة مسبقة لأن الأمر لا يتعلق بنص بل بتدبير أو بتقدير ينبغى أن يقوم به العدول بناء على تفويض إلهى (وجوب إقامة العدل)، وهو الذى وضع مبدأ تعيين الحكام ولكنه لم يعين أشخاصهم ولا حدد أحكامهم وليس كل ما يتخذه الحاكم أو الحكام يدخل فى إطار الحلال والحرام بصورة مباشرة عندما تصبح مراعاة المصالح العليا واجبا شرعيا فى السياسة والاقتصاد وغيرها

من أوجه السياسة والتدبير. ولذا فعندما جاء هؤلاء الجهال إلى الإمام يقولون (تب من خطيئتك واخرج بنا إلى معاوية نجاهده فقال لهم: إنى كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أما أنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأى وضعف فى التدبير وقد نهيتكم عنه).

- أما السمة اللازمة لتحقيق العدالة الإلهية فهى توفر العدالة فى القائمين على إنفاذ هذه الأحكام (لأن فاقد الشيء لا يعطيه) سواء كان هؤلاء الحكام هم من شارك فى التحكيم بين الجيشين المتحاربين أو القائمين على ولاية أمر الأمة التى لم تستطع يومها أن تميز بين من يجب تعيينه فى منصب الإمامة العظمى، فوجد ابن آكلة الأكباد من يسانده فى مواجهة إمام الحق من آل محمد، فكان أن وجد عمرو بن العاص من يشتريه بمصر طعمة ووجد أبا موسى من يفرضه ممثلا لجيش الإمام، والشريعة الإسلامية لم تكن أبدا نصوصا سابقة التجهيز كالطعام سابق التجهيز ولا يُتخيل أن الفساق والمجاهرين بمعاصيهم من أمثال عمرو بن العاص وابن آكلة الأكباد يمكن لهم أن ينفذوا حكم الله فى جناح بعوضة أو يمكن لهم أن يحافظوا على مصالح أى أمة اللهم إلا أن تكون أمة من المغفلين والأغنام كما هو حال هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام.

- وأخيرا نأتى لكارثة الخوارج المعاصرين الذين امتزجت أفكارهم بأفكار القاسطين الفاسقين الظالمين فتخيلوا إمكانية إقامة حكم الله من الإنقلابيين وغاصبى السلطة بل وحتى من العبيد المماليك ومنحوهم صك الشرعية مثلما ذكر صلاح الصاوى (وذلك لأن الحاكم يستمد شرعيته من أمرين من بيعة الأمة له ومن تحكيمه لشريعة الله وإقامته فى الأمة كتاب الله وإذا كان أهل السنة قد تجاوزوا أمر البيعة فى حالات الضرورة وأقروا بولاية المتغلب (!!) جمعا للكلمة وحقنا للدماء فقد انعقد إجماعهم على أن من لم يقم فى الأمة كتاب الله فلا شرعية لحكمه ولا انعقاد لبيعته ولا نفوذ لولايته لأن تفرق الأمة على الحق أولى من اجتماعها على الباطل). وقوله (ومن هنا نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة بتحريهم الحق واتباعهم له وأهل الجماعة للزومهم طاعة الأئمة وإن تلبسوا بشيء من الجور ما أقاموا فى

الأمة كتاب الله وعدم الخروج عليهم إلا إذا أتوا كفرا بواحا) ص٣٩ صلاح الصاوي.

- ونبقى فى إطار النقطة الأولى وهى (حاكمية النص) حيث رد الإمام عليهم بقوله (إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن والقرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولى عن كتاب الله سبحانه وتعالى وقد قال تعالى سبحانه (فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله ورسوله ورده إلى الله أن نحكم بكتابه ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنته فإذا حكم بالصدق فى كتاب الله فنحن أحق الناس وأولاهم بها) شرح النهج ج٢ ص ٣٠٣.

وقبل أن نغادر تلك المنطقة يجدر بنا أن ننبه هؤلاء السادة الذين يرفضون سيادة الأمة باعتبارها انتهاكا للشريعة الإسلامية أن الكلام على سيادة الأمة دون ذكر للشريعة الإسلامية يعنى ذلك بالفعل، أما إذا كان الكلام على مبدأ سيادة الأمة الملتزمة بهذه الشريعة الإسلامية فذلك هو الحق بعينه.

ثم نسمع كلام الإمام على عليه السلام وهو يرد على من يكفرون الأمة قديما وحديثا وهى قضية ما تزال قائمة مع أحفاد الخوارج المعاصرين والذين تفاوتت رؤاهم ما بين قائل بتكفير كل من ليس فى جماعته والحكم بردة مفارق الجماعة ووجوب قتله، وبين قائل بضرورة إبلاغه بصحيح الدين الذى لا يعرفه إلا هؤلاء الغلمان السفهاء وإقامة الحجة عليه قبل قتاله وقتله، أو مكفر للنظام ورموزه وأعوانه وأجهزته الأمنية والسياسية دون غيرها. ومن هنا تعددت أسماء الجماعات والتنظيمات ما بين مقتبس من فكر الخوارج الأولين بصورة حرفية مثل جماعة التكفير التى منحت نفسها اسم جماعة المسلمين أو تكفير معدل ومحسن (تكفير بالمضمون) مثل جماعة الإخوان المسلمين الذين يصنفون المسلمين صنفين (الإخوة) وهم الإخوان من أعضاء الجماعة وغير الإخوة من غير أعضاء الجماعة ولنستمع إلى كلمات الإمام الذى حاول فيها أن يصلح من شأن الأخوة الأوائل:

(فإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّى أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونُ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبَرَاءةِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) رَجَمَ الزَّانِي [الْـمُحْصَنَ] ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ

أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِي غَيْرَ الْمحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإسلام، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ! وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأوسط فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأعظم فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّةَ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ. **أَلاَ مَنْ دَعَا إِلَى هذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هذِهِ**، فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُم، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا. فَلَمْ آتِ ــ لاَ أَبَا لَكُمْ ــ بُجْراً، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ــ فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ ــ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا).

خطبة ١٢٧ نهج البلاغة.

الضرر الذى أحدثه هؤلاء بأمة الإسلام:

لقد كان لكاتب هذه السطور فرصة الانضواء تحت لواء جماعة الأخوان والتحاور معهم داخل وخارج الجماعة وكانت السمة البارزة لدى هؤلاء هى الانتفاخ والظن الذى لا يقوم على بينة ولا دليل بأن هذه الجماعة هى وحدها التى تحمل الإسلام الصحيح بين جنباتها، وأنهم فى انتظار اليوم الذى تدخل فيه الدنيا فى دين الله أفواجا بانضمامها إلى الجماعة التى يطلقون عليها الجماعة الأم أو كبرى الجماعات الإسلامية. وفات هؤلاء أن ليس فى هذه الأمور حلولا وسط، إذ ليس هناك جماعة سوى جماعة المسلمين ولا يمكن أن يكون هناك جماعة أم ولا جماعة أب ولا جماعات أشقاء صغرى وكبرى إذ أن الأمة أمة واحدة غير قابلة للقسمة على اثنين ومن شذ شذ فى النار.

والذى تشرحه كلمات الإمام عليه السلام أيضا هو بطلان ما ذهب إليه الخوارج الأقدمون والمعاصرون (المودودى وسيد قطب وابن تيميه) من

الاستدلال على كفر النظم أو الجماعات أو الأفراد، من خلال الاستدلال بآية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) إذ أن الإيمان أو الكفر هو حالة مرتبطة بشخص المؤمن أو الكافر، وليس فى الإسلام تكفير بالجملة كما أنه ليس هناك إسلام بالجملة ولا زواج بالجملة أو طلاق بالجملة، إذ أن من يريد الدخول فى الإسلام عليه أن يشهد هو بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول، والتكفير بالجملة الذى اخترعه هؤلاء الجهلة يعنى شيئا واحدا هو ما أشار إليه الإمام حينما خاطب الأجداد الجهلة (فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، **فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ** (صلى الله عليه وآله) **بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟؟!!!**) هذا فيما يتعلق بالتصور والاعتقاد، أما على المستوى السلوكى وهو الأهم والأخطر فقد حذرهم عليه السلام من تصرفاتهم الجاهلة وحماقاتهم الهوجاء بقوله: (سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبَرَاءةِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) رَجَمَ الزَّانِيَ [الْمُحْصَنَ] ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِي غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ؛ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسلام، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ).

ويبقى أن هذا النهج الخوارجى التكفيرى هو نهج معاد للأمة واستقرارها بل وقد أسهم فى تفاقم مشاكلها وإضاعة كل الفرص من أجل إيجاد حلول عاقلة ومتدرجة لأزمات الأمة ومشاكلها التى حاصرتها وما زالت تحاصرها.

ثقوب فى الثوب المرقوع.

المدخل الثانى للتكفير المعاصر:

هو قتال ما سمى بالطائفة الممتنعة أو مانعى الزكاة فقد أعلن الخليفة الأول الحرب على من أسماهم بمانعى الزكاة أو المرتدين فهل كان كل هؤلاء حقا من مانعى الزكاة ومن ثم أصبحوا من المرتدين؟؟

الثابت أن هؤلاء الناس لم يكونوا من المرتدين بل كانوا متريثين فى إخراج زكاة أموالهم إلى الخليفة الجديد، وهذا ما أثبتته البحوث التاريخية حيث يقول الدكتور (إحسان صدقى العمد) فى بحثه (حركة مسيلمة الحنفي)

الحولية الثانية الرسالة الثامنة والخمسون كلية الآداب جامعة الكويت ١٩٨٩ (وربما كان الشيخ على عبد الرازق من أوائل الباحثين الذى حاولوا التفريق بين من رفض بيعة أبى بكر ودفع الزكاة إلى عماله وبين من ارتد عن الإسلام وبين من ادعى النبوة منهم ويدخل مسيلمة الحنفى فى الفئة الأخيرة من هؤلاء Kإذ يقول (الشيخ على عبد الرازق) وقد نرى فى مشاهداتنا أن دعوى النبوة ليست بعيدة من المضلل الغوى إذا هو لقى انجذابا من العامة وأغوى منهم صحابا وأحبابا ولا شيء أسهل عند العامة من الإيمان بنبوة هذا الغوى إذا عرف كيف يغويهم بالضلال ويمدهم فى الغي) وقد عرف مسيلمة بالفعل كيف يغوى بنى حنيفة ويضلهم أما "جواد علي" والكلام ما زال "لإحسان صدقي العمد" فيرى أن جملة الأخبار المتعلقة بمسيلمة لا تفيد أنه اعتنق الإسلام أصلا وبالتالى لا يصح وصفه بالمرتد) ص ٧٦.

إذن فوصف الردة ينطبق على الأسود العنسى وعلى مسيلمة الكذاب وعلى سجاح، هذا إذا سلمنا بفرضية إسلامهم منذ البدء والدليل على ذلك هو قصة عيينة بن حصن الفزارى الذى أتى به أسيرا مجموعة يداه بحبل ينخسه غلمان المدينة بجريدة يقولون أى عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت بالله قط فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٦٠.

فما هى قصة مانعى الزكاة؟؟ ننقل عن ابن جرير الطبرى حكايتهم قال:

وكان مما أوصى به أبو بكر قائد جيشه (خالد بن الوليد) إذا نزلتم منزلا فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه!! (التعجب من عندنا) وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة وآخرين فاختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا ثم أمر بهم فقتلوا، فغضب لذلك أبو قتادة غضبا شديدا وعاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا ثم (تزوج؟!) امرأة مالك بن نويرة أم تميم ابنة المنهال (فى نفس الليلة) ثم قطعت رأس مالك وأوثفوا برأسه القدر مع رؤوس الآخرين (أى وضعت بدلا من الأحجار التى توضع تحت قدر الطعام أثناء الطبخ) فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة الشعر!! والعلامة من عندنا. ويبدو أن عمر بن الخطاب رأى فى هذه الجريمة (نوعا من التجاوز) فلما دخل إلى المسجد فى حالة من الخيلاء وقد غرز فى عمامته أسهما، وثب إليه

ثائرا فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال له قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك ثم دخل على أبى بكر فاعتذر إليه فعذره وأمر بدفع الدية إلى أهل مالك ورد سبيهم، ولما ألح عليه عمر أن يعزله قائلا إن فى سيفه رهقا، فقال لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفا سله الله على الكافرين) [و يبدو أن هذا هو سر تسميته بسيف الله المسلول]. تاريخ الطبرى ج٣ ص ٢٧٦-٢٨٠.

نحن أمام واقعة بالغة البشاعة أسست لفقه التكفير والاستحلال والقتل وإحراق المعارضين بالنار لأن القوم يعتبرون الخليفة الأول مصدرا مستقلا من مصادر التشريع مثل الكتاب والسنة تلك الواقعة التى أسست بعد ذلك لقتال ما سمى بالطائفة الممتنعة، فمالك بن نويرة قتل وانتهكت حرمته ومثلت بجثته لأنه من وجهة نظر هؤلاء كان ممتنعا عن أداء الزكاة أى كافرا، ومن هنا جاء اللاحقون وساروا على نفس الدرب فأفتى لهم شيخ الإسلام ابن تيميه (أى إسلام هذا) بأن [**كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة والمتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين، فإذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن إقامة الصلاة أو الزكاة أو عن صيام رمضان أو حج البيت أو أو وأخذ يعدد الذنوب التى تبيح القتل والسحل فلم يبق شيئا حتى قال أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين أو الطعن فى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار**] وهذا الكلام معناه أن من تسول له نفسه الاعتراض على الجريمة سالفة الذكر عد من الطائفة الممتنعة وجاز قتله وانتهاك حرمته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن تلك الحادثة ثم لائحة الفتاوى الدموية التى صدرت بسببها تكشف عن واحدة من أخطر الثغرات فى الفكر الإسلامى القديم والمعاصر، وعن نفسية ما سمى بشيخ الإسلام ابن تيميه تلك الشخصية المريضة التى تعشق سفك دماء المسلمين واستعذاب قتلهم بسبب اتهامات واهية لا تقوم على أساس قطعى لا يحتمل الشك أو التأويل.

فتوى الطائفة الممتنعة وتكفير الشيعة:

مثل تكفير الشيعة والسعى لإبادتهم أحد الثوابت الفكرية لدى بعض التيارات المسماة بالإسلامية، وقد كانت ما يسمى بفتوى الطائفة الممتنعة (لشيخ الإسلام

ابن تيميه) واحدة من تلك الفتاوى التكفيرية لشيعة أهـل البيـت، والآن تتـواتر الفتاوى المشابهة من قبل أولئك الأشباه مثل الزرقاوى وبن لا دين والتى تعبـر من وجهة نظرى عن حالة من السعار المعادى لأهل البيت وشيعتهم.

والسؤال هو من يحاكم من ومن يحكم على من؟؟!!.

فقد رأينا فى السطور السابقة كيف أن هؤلاء الأشباه (حاكموا) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتهمة الظلم عندما قال قائلهم (اعدل يا محمد) ثـم تمادوا فى بذاءتهم عندما طالبوا إمام الحق أن يشهد علي نفسه بالكفر ثم يعلن توبته أمامهم رغم أنه أول من أسلم ولولا سيفه لم تقم للإسلام قائمة وكـأنهم بوقاحتهم هذه أرادوا أن يقولوا لصاحب الشريعة (محمد) ص ثم لحامى حامى الشريعة على بن أبى طالب لقد انتهى دوركم وآن الأوان أن نتـولى نحـن مسئولية الحفاظ على الرسالة السماوية ولكن أى حفاظ وأى رسالة تبقـى إذا كان هؤلاء هم المسئولون عن حفظ الرسالة؟؟!!.

وهل يكفى أن يمتلك مخلوق ما الجرأة والقدرة على التطاول علـى غيـره ليصبح من حقه محاكمة غيره من المسلمين وإصدار الفتاوى التكفيرية بقتلهم؟؟.

لماذا اشتعلت فتنة التكفير أول ما اشتعلت فى وجه الإمام علي؟

ولماذا يصر الذيول والأذناب على تكفير شيعة علي؟ وما هـو المبـرر الذى يسوقه هؤلاء لهذا التكفير؟؟.

التكفير بالحب!!

إنه التكفير بالحب!! فكيف يكون حب أهل البيت عليهم السـلام مبـررا لتكفير من يحبهم؟؟ سيقولون لك إنه (الغلو) و(نحن) لا نقوم بتكفير من يحب أهل البيت ولكننا نكفر من يتجاوز فى حبهم معايير الاعتدال!!.

من أنتم ومن الذى منحكم الحق فى وضع المعايير وكيف يكون حب أهل البيت عفوا. (الغلو) فى حب أهل البيت كما تزعمون أيها الأذناب رأس كـل خطيئة، بينما لا يكون كذلك بالنسبة للصحابة الذين تزعمون أن الواجب على كل مسلم أن يحبهم أجمعين فى حين أن الحب واجب عليهم وعليكم لآل البيت وليس العكس!!.

والشاهد هو تلك النكتة اللفظية العقلية التي وجه إليها الإمام نظر المسلمين عندما سأل عما جرى في السقيفة وقال (بم احتجت الأنصار؟؟) فقالوا له (قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير)، فقال لو أراد الرسول أن يوصي إليهم لما أوصى بهم عندما قال (استوصوا بالأنصار خيرا). وقياسا على ما سبق فقد جمع رسول الله كل المسلمين في غدير خم وقال لهم (من كنت مولاه فعلي مولاه والي الله من والاه وعادى الله من عاداه) وأيا كان الخلاف والمكابرة التي يمارسها هؤلاء عندما يقولون أن الولاية هنا لا تعني الإمرة ولكنها تعني النصرة، فإن الثابت أن رسول الله أوصى المسلمين وتحديدا الصحابة الذين حضروا هذا الاجتماع التاريخي بحب أهل البيت وموالاتهم ولم يفعل العكس أي أنه لم يوص أهل البيت بحب الصحابة، فكيف يصبح هذا الحب وهذه الوصية رأس كل كفر وخطيئة، ويصبح تكفير الشيعة والافتراء عليهم أسهل من جرعة ماء بارد يتناولها الظمآن في يوم شديد الحرارة، ويصبح مبرر هذا التكفير هو أن الشيعة يسبون الصحابة أو بمعنى أدق يذكرون تاريخهم كما هو من دون تزوير ولا تزييف ولا محاولة للتجميل؟؟!!.

إنه أي التكفير بالحب يأتي امتدادا للتكفير بالذنب، فيوم التحكيم لم يكن هناك ذنب ارتكبه إمام الحق، ولكنه الحقد الذي امتلأت به قلوب الخوارج القدامى وأذنابهم المعاصرين الذي يدفعهم ويحدوهم لممارسة هذا النوع من الوقاحة والعدوان

لا فارق كبير بين القاسطين الأمويين الذين يبغضون أهل البيت ويقتلون شيعتهم وبين هؤلاء الخوارج، سوى أن الأولين ونظرا لامتلاء بطونهم من السحت ومن لعق الحرام ومن مال المسلمين المنهوب لا يمكنهم تمثيل دور العابد الزاهد الناسك، أما الآخرين من الخوارج الأقدمين أو المعاصرين فأعجبهم دور العابد الزاهد ولكن يبقى التحالف والترابط وثيقا بين الفريقين.

فالذين قاموا بإحياء هذا الفكر الخوارجي وتصديره للعالم أجمع وأنفقوا عليه مليارات المسلمين المنهوبة لم يعرف عنهم شيء من النسك ولا العبادة أو الزهد بل كانوا ملوكا وشر ملوك.

إلا أن اللعب مع الخوارج واللعب بهم هو لعب مع الأفاعي والحيات السامة التي سرعان ما تنقض على مروضها ومطعمها. وهاهم بعد أن فرغوا من تفجير العالم من حولهم أراقوا دماء مئات الآلاف من المسلمين (الكفار) في شتى بقاع العالم ينقضون على من حاول زرعهم في أحشاء غيره وهاهم

يفجرون فى قلب جدة والرياض وهاهو قانون الكون الإلهى يسرى عليهم لأن من سل سيف البغى قتل به ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

الخوارج الأوائل والصدام :

لم تنجح محاولات الإمام على عليه السلام فى إعادة هؤلاء إلى حظيرة (الأمة الجماعة) التى هى السواد الأعظم، بينما ما زال أحفادهم يحاولون مصادرة (الأمة الجماعة) لصالح (الجماعة التنظيم) التى هى مجرد جزء من الكل مهما كبرت وتضخمت كما هى الآن، لاستحالة هذا التحول من الناحية العقلية والشرعية. ومهما وجد هؤلاء من يجاملهم أو ترتعد فرائصه خوفا من مناقشتهم وإثارة غضبهم وما أدراك ما غضبهم، والأولى والأحق بأن يتوارى أصحاب النزعة العدوانية عن أعين الناس الذين ينفون وجود الأمة وينكرون وجودها ويصفونها بالكفر والردة، ثم يحصرون وجود الدين والإسلام الحقيقى فى إطار وجودهم الوهمى التنظيمى متوهمين أن الكل عليه أن يخضع للجزء وأن على أمة لا إله إلا الله أن تبوء على نفسها بالكفر والضلال وأن تعيد اعتناق الدين من جديد فى محاضن تلك الجماعات التى أصبحت محاضن تفريخ القتلة والإرهابيين وتصديره للعالمين.

تحولت حالة الشطط الفكرى التكفيرى التى اعترت هؤلاء إلى حالة عدوان مادى تمثلت فى قتلهم لعبد الله بن خباب بن الأرت، حيث لقوه يحمل فى عنقه مصحفاً ويركب حمارا ويردف امرأته وهى حبلى، فقالوا له إن هذا الذى فى عنقك ليأمر بقتلك، فقال لهم ما أحياه القرآن فأحيوه ما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها فى فيه فصاحوا به فلفظها وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا هذا فساد فى الأرض وأنكروا قتل الخنزير، ثم قالوا لابن خباب حدثنا عن أبيك فقال إنى سمعت رسول الله ص يقول ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيرا ثم سألوه ما تقول فى على بعد التحكيم والحكومة فقال إن عليا أعلم بالله وأشد توقيا على دينه ونفذ بصيرة فقالوا إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائهم ثم قربوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبحوه وسال دمه فى الماء وأقبلوا إلى المرأة فقالت

إنما أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية) تاريخ الطبرى ج٥ ص٨١-٨٢.

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه ما يصنعه الخوارج المعاصرون الزرقاويون فى العراق من (إحيائهم لسنة الذبح) هذه المرة عبر وسائل الإعلام المتواطئة معهم ومع أجدادهم من الأزارقة.

لم يكن هناك بد من تحرك الإمام لوأد هذه الفتنة ومحاصرة الكارثة فتوجه إليهم بجيشه وأرسل إليهم سعد بن مسعود الثقفى وبعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم فقالوا كلنا قتلتهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم.

حاورهم الإمام مرارا وتكرارا قبل أن تنشب الحرب ولم يكن جوابهم إلا أن قالوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الحرب الرواح الرواح إلى الجنة، ثم دارت رحى المعركة التى وصفها أحد المشاركين فيها بقوله ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة أى الخوارج فما لبثناهم فكأنما قال الله لهم موتوا فماتوا قبل أن تشتد شوكتهم.

ثم خرج الإمام على بن أبى طالب ليطلب ذلك الرجل الموصوف فى نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد فى حفرة على شاطئ النهر فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة له حلمة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه، فلما استخرج قال عليه السلام الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه لمن قاتلهم مستبصرا فى قتالهم عارفا بالحق الذى نحن عليه، ثم مر بهم وهم صرعى فقال بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقالوا من غرهم يا أمير المؤمنين قال الشيطان المضل والنفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصى ونبأتهم أنهم ظاهرون. تاريخ الطبرى ج٥ ص ٨٨.

وقبل أن يغادر الإمام ساحة المعركة المفروضة كانت له كلمتان: وصية ونبوءة :

أما **النبوءة** فقد ذكرناها سابقا بتكرار ظهورهم (نطف فى أرحام النساء وأصلاب الرجال كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين) شرح النهج ج١ ص٤٢٧.

وأما **الوصية** (لا تقاتلوا الخوارج من بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه).

حيث يختلف الموقف من الخوارج باختلاف طبيعة النظام الذى يواجهونه فإذا كان الحكم بيد أئمة الحق والعدل وجب الوقوف فـي وجههـم بالكلمـة والبيان وحد السنان أما إذا كان الصراع بينهم وبين أئمة الجور كما هو الشأن مع أغلب النظم منذ انتهاء الحكومة العلوية لم يجز قتلهم دفاعا عن نظم أكثر جورا طلبت الباطل فأدركته.

الظهور الخوارجى الثاني :

قلنا من قبل أن ظاهرة الخوارج هى ظاهرة متكررة بدأت فى مواجهـة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثم استمرت بعد هذا ولبست أثوابا مختلفة حيث لا مرجعية فكرية ثابتة لهذا النهج، بل حالة نفسية قابلة للتكرار كلمـا تكرر اللقاء بين الظروف والأشخاص الذين يجدون مادتهم الفكرية فى تلـك القراءة المزاجية لكتاب الله، تلك القراءة التى جعلت من القرآن حمال أوجـه ومن هنا تكرر الظهور الخوارجى من نجدة ونافع بن الأزرق وصولا إلـى إمارة الطالبان فى أفغانستان وأفراخها اللئام مـن أمثـال أسـامة بـن لادن والزرقاوى، وسنعرض لبعض النماذج وليس لكل النماذج إذ تبـدو عمليـة حصرها ضربا من المستحيل، ويرى القارئ ومن له أدنـى معرفـة بهـذه الجماعات مدى التقارب والتطابق المذهل بين الأولين والآخرين من دون أن يكون هناك تواصل عبر أى نص مكتوب والنقل هنا عن ابن أبى الحديد وابن جرير الطبرى فى تاريخه.

- نجدة بن عويمر الحنفي: كان من رؤسائهم وله مقالـة مفـردة مـن مقالات الخوارج وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله بن الزبيـر واستولى على اليمامة وعظم أمره حتى ملك اليمن والطائف وعمان والبحرين ثم إن أصحابه نقموا عليه أحكاما أحدثها فى مذهبهم منهـا قوله أن المخطئ بعد الاجتهاد معذور وأن الدين أمران معرفـة الله ومعرفة رسوله وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهلهم إلى أن تقوم عليهم الحجة فمن استحل حراما من طريق الاجتهاد فهو معذور حتى أن من تزوج أخته أو أمه مستحلا ذلك بجهالة فهو معذور ومـؤمن فانقلبوا عليه وخلعوه.

- نافع بن الأزرق الحنفي: وإليه تنسب الأزارقة وكان يفتى بأن الدار دار كفر وأنهم جميعا فى النار وكل من فيها كافر إلا من أظهر إيمانه، ولا يحل للمؤمنين أن يجيبوا داعيا منهم إلى الصلاة ولا يأكلوا من ذبائحهم ولا أن يناكحوهم ولا يتوارث الخارجي وغيره، وهم مثل كفار العرب وعبدة الأوثان والتقية لا تحل لأن الله تعالى يقول (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقال فيمن كان على خلاف هؤلاء (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فتفرق عنه جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الذى احتج عليه بقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) وأضاف نافع إلى مقالاته استحلال الغدر بأمانته لمن خالفه، فاحتج عليه نجدة قائلا أو لا تتذكر قولك لولا أنى اعلم أن للإمام العادل مثل أجر رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة الله ابتغاء مرضاته وأصبت من الحق فصه وصبرت على مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك وأغواك فغويت وكفرت الذين عذرهم الله تعالى فى كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم، ثم استحللت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله ص عن قتلهم وقال جل ثناؤه ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إنك لا تؤدى الأمانات إلى من خالفك والله تعالى قد أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها فاتق الله فى نفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا فإن الله بالمرصاد والسلام.

- فرد عليه نافع قائلا فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى وتنصح لى وتزجرنى وتصف لى ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل الله أن يجعلنى من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبت على ما دنت به من إكفار القعدة وقتل الأطفال واستحلال الأمانات من المخالفين وسأفسر لك إن شاء الله تعالى، أما هؤلاء القعدة فليسوا كمن ذكرت ممن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كانوا بمكة محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلا ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد تفقهوا فى الدين وقرءوا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله تعالى فيمن كان مثلهم إذ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض فقال ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال سبحانه (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى

سبيل الله) وقال (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) ثم قال (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) فانظر إلى أسمائهم وسماتهم وأما الأطفال فإن نوحا نبى الله كان أعلم منى ومنك وقد قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) فسماهم بالكفر وهم فى بطون أمهاتهم قبل أن يولدوا فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نقوله نحن فى قومنا والله تعالى يقول (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر) وهؤلاء كمشركى العرب لا يقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن الله تعالى أحل لنا أموالهم كما أحل دماءهم لنا دماؤهم حلال طلق وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا أو القعود عنا وترك ما نهجناه لك من مقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل به.

هذا نموذج من الفكر الخوارجى الفاجر إنه الفُجر وليس الفكر بحال من الأحوال.

إنها حالة من التوثب والعدوان التى تنتقل عبر الجينات من رحم إلى رحم ومن نطفة إلى نطفة، ثم تتلمس مادتها الفكرية من اجتزاء النصوص عن مواضعها، فضلا عن آلة الرأى والتبرير الذى يتميز به هذا الصنف من البشر المجادلين بالباطل فكان، هذا التطابق المذهل بين الأجيال من دون سند ولا اتصال وهو من يعرفه كل ما أتيحت له فرصة معرفة هذه الجماعات عن قرب.

وخذ عندك بعضا من تلك العناوين التى اقتبسها الخوارج المعاصرون من أجدادهم وأسلافهم عبر لاسلكى الجينات الوراثية الذى أفلح فى إيجاد هذا التواصل والتطابق المذهل بين الأولين والآخرين:

١- قضية العذر بالجهل تلك القضية التى كانت الشغل الشاغل ومحور الجدل الدائر بين هؤلاء التكفيريين، فمنهم من يكفر (العصاة) ابتداء من دون عذر ولا إنذار ومنهم من يتريث لبعض الوقت قبل أن يطلق أحكام التكفير العشوائى على من يخالف ما يظنه هؤلاء الجهال صحيح الدين.. إنه خلاف بين نوعين من التكفير: التكفير العاجل والتكفير على مراحل أى التكفير خطوة خُطوة.

٢- استباحة دماء وأموال المخالفين ولمن لا يصدقنا نروى تلك الرواية الموثقة التى وردت فى اعترافات أحد أشهر قادة تنظيم الجهاد المصرى أمام نيابة أمن الدولة المصرية (كان التنظيم يعتمد أساسا على التبرعات وإننى تبرعت بمبلغ أربعة آلاف جنيه مصرى لصالح التنظيم ثم عرض على (....) فكرة نهب محتويات محل يبيع مشغولات ذهبية تملكه مسيحية فوافقته وتوجهت مع (ن-ا) لمعاينة المحل ووضع خطة لمداهمته وكلف (ن-ا) بتنفيذ الخطة والذى استعان بمجموعة من أعضاء التنظيم وفى الموعد المحدد وقت آذان المغرب فى رمضان انتقل (ن-ا) والمجموعة التى اختارها لارتكاب الحادث بينما توجهت أنا بسيارتى خلفهم وعقب التنفيذ عادوا بالمسروقات التى احتفظت بها لفترة ثم سلمتها ل (م-ع-ف).

٣- ثم ننتقل إلى أحدى المناطق المنكوبة فى عالمنا المعاصر بأحفاد نجدة ونافع وذو الخويصرة التميمى لعنة الله على الأولين والآخرين وهى أفغانستان التى كانت دولة قبل أن يدمرها هؤلاء الأشباه من الأزارقة والحرورية ثم أطلقوا عليها لقب إمارة أفغانستان الإسلامية التى حكمها الطالبان الذين مشت بفظائعهم الركبان ونختار نموذجا واحدا من تلك الفظائع على طريقة خير الكلام ما قل ودل:

سألهم الصحفى هل تعتبرون قتيلكم شهيدا؟؟.

الإجابة نعم.

وقتيل الطرف الآخر هل هو مسلم تغسلونه وتصلون عليه وتدفنونه؟؟.

الإجابة ليس كذلك كما أفتى العلماء الكبار ونحن لا نغسله ولا نصلى عليه ولكن نحفر له حفرة وأريد أن أذكر لك أن قتيلنا يظل فترة طويلة دون تعفن إذا لم يدفن أما قتيل الطرف الآخر فيتعفن من أول يوم.

مجلة العالم يناير ١٩٩٦- ٥٨٣.

ولك أن تلاحظ تلك الكرامات والمنامات التى يجرى دائما رشها كالبهارات ليسهل ابتلاع تلك التكفيريات عن الجثث التى لا تتعفن وعن حوريات الجنة اللاتى يقفن كالوصيفات فى انتظار إنسان فجر لتوه تلك

المفخخات وأزهق عشرات الأرواح من أبناء البشرية المنكوبة بهؤلاء الأجلاف وعلمائهم الكبار ضاربا عرض الحائط بعديد الوصايا القرآنية التى تحرم قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) النساء ٩٣ (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُون) المائدة ٣٢ (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون) الأنعام ١٥١.

ولنطلع على نموذج من الفكر البدوى التكفيرى لأحد هؤلاء الكبار تلك الفتوى التكفيرية النموذجية التى توزع جهارا نهارا فى أرجاء مصر المعمورة على نفقة فاعل خير مقدمة بعنوان **توزع مجانا ولا تباع**:

حكم تارك الصلاة

لفضيلة الشيخ/ محمد صالح العثيمين

اطلع عليها وأطلع عليها غيرك وشارك فى طباعتها نشرا للفائدة وبراءة للذمة ومشاركة فى الأجر.

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... أما بعد: فإليك يا أخى المسلم هذه الورقة وبها سؤال ألقى على فضيلة الشيخ/ محمد بن عثيمين أثابه الله فإليك السؤال والجواب.

السؤال: ماذا يفعل الرجل إذا أمر أهله بالصلاة ولكنهم لم يستمعوا إليه هل يسكن معهم ويخالطهم أم يخرج من البيت؟؟

الجواب: إذا كان هؤلاء الأهل لا يصلون أبدا فإنهم كفار مرتدون خارجون عن الإسلام ولا يجوز أن يسكن معهم ولكن يجب عليه أن يدعوهم ويلح ويكرر لعل الله أن يهديهم لأن تارك الصلاة كافر والعياذ بالله بدليل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح أما من القرآن فقوله عن المشركين (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين) ومفهوم الآية أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا أخوانا لنا ولا تنتفى الأخوة الدينية بالمعاصى وإن عظمت ولكن تنتفى عند الخروج عن الإسلام.

وإذا تبين أن تارك الصلاة كافر فإنه يترتب عليه أحكام المرتدين وليس فى النصوص أن تارك الصلاة مؤمن أو أنه يدخل الجنة أو ينجو من النار ونحو ذلك مما يحوجنا إلى تأويل الكفر الذى حكم به على تارك الصلاة بأنه كفر نعمة أو كفر دون كفر ومنها **(أى من أحكام المرتدين):**

أولا: أنه لا يصح أن يزوج فإن عقد له وهو لا يصلى فالنكاح باطل ولا تحل له الزوجة.

ثانيا: أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له العقد فإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجة.

ثالثا: أن هذا الرجل الذى لا يصلى إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لأنها حرام ولو ذبح يهودى أو نصرانى فذبيحته يحل لنا أكلها فيكون ذبحه أخبث من ذبح اليهودى والنصراني.

رابعا: أنه لا يحل له أن يدخل مكة وحرمها لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا.

خامسا: أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له فى الميراث لحديث أسامة (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم).

سادسا: أنه إذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين، إذا ماذا نصنع به؟ نخرج إلى الصحراء ونحفر له وندفنه بثيابه لأنه لا حرمة له وعلى هذا فلا يحل لأحد مات عنده ميت وهو يعلم أنه لا يصلى أن يقدمه للمسلمين ليصلوا عليه.

فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين حفظه الله تعالى.

ملاحظة: صدر الإذن بطباعة هذه الرسالة من رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء برقم ٥/٢١٤١ بتاريخ ١٤٠٧/١١/٣ هجرية.

متى وكيف ومن هو المسئول عن توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية؟؟.

ذلك السؤال الجوهرى الذى سمعنا له مجموعة من الإجابات المتناقضة التى يكذب بعضها بعضا، ما بين قائل منذ توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية على العموم وترك المسألة من دون تعيين أو تحديد، وقائل منذ سقوط الدولة العثمانية أوائل هذا القرن، أو كما قال المستشار الهضيبى منذ مجيء الاستعمار الانجليزى قبل سقوط الخلافة العثمانية بخمسين عاما، أو

كسيد قطب الذى قال منذ قرون ولم يقل كم من القرون، ثم اطلعنا على الفكر السياسى للحركة الوهابية فى الجزيرة العربية التى هى فى رأينا أم الحركات التكفيرية المعاصرة والتى حاربت الخلافة العثمانية وأسهمت فى إضعافها وإسقاطها من خلال نفس الشعارات التى يجرى استعارتها كلما تاقت أنفس البعض لاعتلاء سدة الرئاسة والاستيلاء على الملك مع إجراء بعض التعديلات الشكلية اللازمة بما يتوافق مع توقيت بدء الحركة، فإذا كانت الدولة العثمانية ما زالت على قيد الحياة قالوا أنها دولة لا تحكم بما أنزل الله ويجوز الخروج عليها لأنها أصبحت دولة كافرة تدين بالأفكار القبورية الوثنية، وإذا كان بدء التحرك بعد تعاونهم مع الإنجليز أو الأمريكان من أجل إسقاط هذه الخلافة قالوا نحن نبكى على الدولة العثمانية والتى ساهمت قبل سقوطها فى الدفاع عن فلسطين والتى والتى الخ إلخ.

والشاهد أن ما تطرحه هذه الحركات هو أبعد ما يكون عن الصدق والأمانة فى تحليل الواقع وتوصيف أزمة العالم الإسلامى وسبل الخروج منها بل ويمكننا أن نقول بضمير واثق ومستريح أن هذه الحركات قد أصبحت جزءا من أزمة العالم الإسلامى المستحكمة ويمكننا أن نذهب أبعد من هذا لنقول أن هؤلاء السادة قد أسهموا فى تعقيد خيوط هذه الأزمة وصناعة أزمات جديدة لا تقل استعصاء على المشاكل الأصلية التى زعمت هذه الحركات أنها نهضت لحلها.

ولنمسك أولا بالأزمة المصرية التى لعبت جماعة الأخوان دورا رئيسا فى تعقيدها وتحويلها إلى كارثة.

كلنا يعلم أن بدايات القرن العشرين جاءت ومعها حركة التحرر المصرى من الاحتلال الإنجليزى، وهى حركة لم تبدأ من الصفر فقد كان لمصر برلمان قبل قدوم هذا الاحتلال، والمهم أنه كان فى مصر ملك يملك ولا يحكم وديمقراطية ناشئة وبرلمان وانتخابات أيا كان عيوبها أو أخطاؤها ولا شك أنه كانت هناك فرصة للتغيير وتراكم البناء على يد الطبقة المصرية المثقفة، ولكن جماعة الإخوان وإمامها (الملهم) آلت على نفسها إلا أن تعمل على هدم كل هذا والمساهمة الفاعلة فى الإتيان بالنظام (الثوري) الذى هدم كل شيء ولم يفلح فى بناء أى شيء، وأصبح لدينا ملك يملك ويحكم حكما مطلقا برتبة رئيس جمهورية عن طريق التوارث داخل المؤسسة العسكرية وقانون طوارئ مستمر منذ أكثر من خمسين عاما ويبدو ألا أمل فى إلغائه

وانتخابات مزورة وبرلمان شكلي وفقر يتزايد يوما بعد يوم ومؤسسات تعليمية تسير من سيئ إلى أسوأ وبطالة متفاقمة.

أما عن القضية الأم التى زعمت تلك الجماعة أنها نذرت نفسها من أجلها وهى القضية الفلسطينية فقد جاء زعيم الثورة زاعما انه سيحرر كامل التراب الفلسطينى، ورحل وقد احتلت إسرائيل كامل تراب فلسطين وأخذت بفضله ما لم تكن أخذته عام ١٩٤٨. ويكفيه فخرا انه قام بتسليم الصهاينة ميناء أم الرشراش المصرى (إيلات) الآن وأعطاها منفذا على البحر الأحمر فى مقابل تلك السيادة الوهمية التى حصل عليها من خلال تأميم قناة السويس، وهى - أى السيادة - كانت ستؤول إلى مصر حتما بموجب اتفاقية القناة التى كانت ستنتهى قانونا آخر الستينات من القرن الماضى من دون حاجة لكل تلك الخسائر والهزائم - وهو مكسب كان على الصهيونية أن تكتفى به خاصة وقد جاءها على طبق من فضة بسبب حكمة وعبقرية القائد الإخوانى الملهم ناصر كلنا بنحبك الذى استحق أن يحكم البلاد لأنه أقسم على المصحف أمام إمام الإخوان أن يحكم بالقرآن ثم عاد وتنصل من قسمه ومن علاقته مع أولئك المتخلفين عقليا الذين لم يعترفوا يوما بأخطائهم ولا ينوون ذلك فى المدى المنظور.

فشكرا للزعيم الملهم وشكرا للإمام الملهم وسحقا لمن يصدق أن هؤلاء الأشباه يمكن لهم أن يقودوا الأمة إلى خير.

متى توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية؟؟.

لماذا لا يطرح السؤال بشكل مختلف؟؟.

ما عدد السنوات التى حُكم فيها العالم الإسلامى بالشريعة الإسلامية؟؟.

هل كان هذا العالم يحكم بالشريعة يوم أن حكمه المماليك لفترة تزيد على خمسة قرون؟؟.

وهل كان هؤلاء العبيد يملكون أهلية التصرف فى أنفسهم وأموالهم ناهيك عن التصرف فى مصير الأمة؟؟.

السؤال الآخر هل كانت الدولة الأموية التى أذلت رقاب المؤمنين وقتلت خيار أصحاب رسول الله من أمثال حجر بن عدى الكندى ورفاقه وعمرو بن الحمق الخزاعى تحكم هى الأخرى بالشريعة الإسلامية أم أن السادة لا

يقرؤون التاريخ ولا يرون ذلك لزاما عليهم ولا أدرى كيف يمكن لعاقل أن يتصدى لقيادة الأمة وإشعال الحروب بناء على معلومات مزيفة؟؟!!.

هل كانت الشريعة الإسلامية مطبقة يوم أمعن ابن آكلة الأكباد وزبانيته ومنهم سمرة بن جندب فى قتل المسلمين حيث يروى ابن جرير الطبرى عن محمد بن سليم (قال سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحدا قال وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له هل تخاف أن تكون قتلت أحدا بريئا قال لو قتلت مثلهم ما خشيت وروى أيضا قال قتل سمرة بن جندب فى غداة سبعة وأربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن) ج٥ ص٢٣٧.

وهل سمع هؤلاء السادة عن محاولة ابن آكلة الأكباد نقل منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى الشام فلما أصدر أوامره وحرك المنبر كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية يومئذ فأعظم الناس ذلك فقال لم أرد حمله وإنما خفت أن يكون أرضَ (أى أكلته الأرضة والسوس) فنظرت إليه ثم كساه يومئذ وقال إنى رأيت أن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه لا يتركان فى المدينة وهم قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأعداؤه فلما قدم طلب العصا وهى عند سعد القرظ فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله فكلماه فعدل (عن نواياه الإجرامية).

تاريخ الطبرى ج٥ ص٢٣٨-٢٣٩.

أما عن يزيد بن معاوية وجرائمه فحدث ولا حرج فهو قاتل الإمام الحسين بن على عليهما السلام، وهو صاحب القرار التاريخى الشهير باستباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فى واقعة الحرة حيث قتل يومها آلاف من الصحابة والتابعين وهتكت أعراض آلاف المسلمات ثم يأتى من يقول لنا أن هؤلاء كانوا يطبقون الشريعة الإسلامية التى بقيت مطبقة حتى ألغاها الاحتلال الإنجليزى أو أضاعها أعداء الخلافة العثمانية إلى آخر هذه الخرافات التى انطلت وللأسف الشديد على رأينا العام الجاهل والمغيب، والذى يصغى باهتمام شديد لهؤلاء الجهال وما زال يؤمل أن تتحول تلك الصحراء القاحلة التى قادوا إليها جموع المسلمين إلى واحة غناء بالرغم من أن الفشل الذريع هو المحصلة الأهم لكل هذه التجارب التى استهلكت رصيد الأمة من (اللحم الحي)!.

أما الأدهى من هذا فهو تلك الأكاذيب التى حولها وعاظ السلاطين إلى واجب شرعى ومصلحة للأمة تتمثل فى السمع والطاعة والانقياد والإذعان لهذا الصنف من الجبابرة وعدم الخروج عليهم، لأن من مات وليس فى عنقه بيعة لمعاوية أو يزيد أو هارون غير الرشيد فقد مات ميتة جاهلية. ولا أدرى لماذا لم يف الوهابيون الذين يتمسحون بهذه (النصوص) الآن ويحرمون الخروج عليهم ببيعتهم للدولة العثمانية، ولماذا لم يف الإخوان المسلمون فى مصر ببيعتهم لفاروق الأول ملك البلاد، ولماذا لم يف الأخوان ببيعتهم لقائد الثورة المباركة البكباشى عبد الناصر، وفى رواية أخرى لماذا لم يف البكباشى ببيعة السمع والطاعة التى لزمته لإمام الأمة المبجل حسن البنا؟؟؟!!!.

إن الوقوف على تلك اللحظة التاريخية التى انفصلت فيها المسيرة السياسية والتشريعية للأمة الإسلامية عن الشرعية الإلهية هو أمر بالغ الأهمية والخطورة لأنه سيحدد لنا طبيعة المرض وكيفية علاجه وشتان ما بين التعامل مع حالة مرضية قديمة ومتجذرة وحالة أخرى طارئة جاءت نتيجة تآمر خارجى مثل سقوط الخلافة أو مجيء الاحتلال الإنجليزي.

فى الحالة الأولى المرض عندنا والعلاج بأيدينا لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وفى الحالة الثانية هناك جزء من المسئولية يقع على الغير، ولكن هذا لا ينفى بحال أننا نتحمل كل أو معظم المسئولية عن حالة التدهور الفاجع التى وصلنا إليها والتى لا يمكن اختصارها بأى صورة من الصور فى تلك الوصفة السحرية: غابت الشريعة الإسلامية وعلينا العودة إليها!!.

حالة الخلط والتخبط الذى يعيشه الفكر السياسى للجماعات الدينية.

يجمع كل المنظرين للفكر السياسى للجماعات الدينية على انطلاقهم من حتمية أو بدهية هى تمثيلهم لما يسمى (بأهل السنة والجماعة الفرقة الوحيدة الناجية من النار) حيث يقول سعيد حوى فى كتابه (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) إن رسول الله ص يقول (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله) ففى كل عصر من عصور الأمة الإسلامية هناك حملة لهذا الدين موكلون بحفظه وحمله (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) الأنعام ٨٩.

والكلام ما زال لمنظر جماعة الإخوان قبل فصله منها (هذه الطائفة الموجودة خلال العصور هى التى حفظت الدين عقيدة وشريعة وفقها وسلوكا

وتطبيقا وهى بلا شك أهل السنة والجماعة ولأهل السنة والجماعة عقيدة ومذاهب فقهية والجماعة الإسلامية الحقة هى التى تتبنى هذا الإرث الحق ولا تعارضه ولا تحاربه وجماعة الإخوان المسلمين كذلك ولذا أوجب الأستاذ البنا على الأخ المسلم أن يدرس عقيدة أهل السنة والجماعة ومذهبا من مذاهبهم) ص٢٤.

وقبل أن نستجلى معالم العقيدة السياسية لأهل السنة والجماعة فلا شك أن بعض ما قاله هذا المنظر يحتاج إلى أكثر من وقفة:

١- فاستشهاده المبتور بآية سورة الأنعام على أن الحافظين لدين الله هم أهل السنة والجماعة هو تزوير فاضح، والآيات تحدثت عن إبراهيم عليه السلام وحواره مع قومه ثم تحدثت عن الأنبياء الذين خرجوا من مشكاة واحدة ثم تحدثت عن الذرية والآل وان هؤلاء هم من آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة والذرية والآل، فى الرسالة الإسلامية هم آل محمد صلى الله عليه وآله وهم من أذهب الله عنهم الرجس، كما أن الآيات حددت معنى الكفر هنا بعدم الانصياع للذرية والآل الذين أشار إليهم ربنا عز وجل بأولئك، بينما أشار للأتباع المعرضين المهددين بالاستبدال بهؤلاء، وقد تحقق منهم بالفعل الصد والإعراض وقد استحقوا الاستبدال وهم الذين جعلوا الدين قراطيس يبدون منها ما لا يتعارض مع أهوائهم ورغباتهم المريضة ويخفون منها كثيرا ويزعمون انهم أهدى سبيلا وأنهم هم من قيضهم الله ومن سخرهم الله لحفظ الدين، وإذا كان هؤلاء هم من حفظ الدين فمن أضاعه إذا؟؟!! واقرأ معى كلام الله (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٨٨) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠) وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) الأنعام.

٢- يقول المنظر الكبير أن هذه الطائفة (بلا شك) هى (أهل السنة والجماعة) فمن أين جاء صاحبنا بهذا اليقين؟؟ ومن هم أهل السنة والجماعة؟؟ هل هم الخوارج؟ أم بنو أمية أم العباسيون أم فقهاء السلاطين وما هى مواقفهم فى مواجهة الظلمة والفاسدين من حكام المسلمين؟؟.

ولمن لا يعرف الحقيقة نقول أن الحديث عن أهل للسنة والجماعة هو حديث عن شتات عقائدى لا يجمعه جامع ولا يربطه رابط سوى (اجتماعهم على الفرقة وافتراقهم عن الجماعة) وعنوانها الأول أى (الجماعة الأمة) هو إمام الحق من آل محمد، وكل ما عدا ذلك مما يسميه المنظر الإخوانى من عقائد ومذاهب فقهية لا تعدو كونها إضافات جرى دمجها إلى العنوان الأبرز الذى ذكرناه سابقا أى الاجتماع على الفرقة وخلف أئمة الضلال من طواغيت هذه الأمة، وسنرى أن كل تلك الجماعات لم تجد بدا من الائتلاف حول إمام مزعوم هو واسطة العقد المنفرط من الأساس، والعجب العجاب أنهم أدركوا بحسهم العقلى وجوب نصب إمام تجب له الطاعة بينما هم يزعمون أن المشرع الأعظم الذين يدعون أنهم يريدون إعادة شريعته المعطلة والذى دعاهم إلى الوحدة والتماسك قد أغفل هذا الأمر وفوضه للأمة وتركهم فى ظلمات لا يبصرون!!.

فأين هم أهل السنة والجماعة فى التاريخ؟؟.

إنهم تلك الجماعات المنتفعة بالنظم المتسلطة التى حكمت العالم الإسلامى وأبادت منه الملايين!!!.

إنهم وعاظ السلاطين الذين قبلوا القيام بمهمة تزييف الوعى وتزييف الشرعية ومحاولة إسباغها على هؤلاء المجرمين.

أو هم تلك الجماهير المغلوبة على أمرها من المستضعفين فى الأرض الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والذين رأوا بأم أعينهم ما حل بكل من حاول التمرد على أولئك الطواغيت فاختاروا طريق سلامتهم الدنيوية وفوضوا بقية الأمور الدنيوية وأمورهم الأخروية لله رب العالمين وهذه هى الحقيقة.

متى كان أهل السنة والجماعة يشكلون المعارضة السياسية لتلك النظم الجبرية؟؟.

الجواب معلوم ومن لا يصدقنا فليطالع معنا ما قاله أحد هؤلاء الأحبار المدعو صلاح الصاوي.

يقول صلاح الصاوى (سبق القول أن للجماعة إطارين أحدهما علمى ويتمثل فى الاجتماع على ما كان عليه السلف الصالح "ومتى اجتمع السلف الصالح على شيء؟؟" والقواعد الكلية فى الاعتقاد والتحليل والتحريم ونحوه... والآخر سياسى ويتمثل فى الاجتماع على الأئمة الشرعيين وعدم الخروج عليهم إلا بالكفر البواح ومن هنا نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة.. أهل السنة بتحريهم للحق واتباعهم له ودعوتهم إليه وأهل الجماعة للزومهم الطاعة للأئمة وإن تلبسوا بشيء من الجور ما أقاموا فى الأمة كتاب الله وعدم الخروج عليهم إلا إذا أتوا كفرا بواحا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولذا استقر رأى أهل السنة والجماعة على ترك القتال فى الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبى وصاروا يذكرون هذا فى عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم.

وذكر الإمام أحمد بن حنبل فى اعتقاده (السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولى الخلافة فاجتمع عليه الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أميرا للمؤمنين والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر منهم والفاجر وقال أيضا ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأى وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار الواردة عن رسول الله ص فإن مات الخارج على هؤلاء الأئمة مات ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل هذا فهو مبتدع على غير السنة والطريق) صلاح الصاوى الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٤٠.

أما أنا فأقول خارج على سنة صلاح الصاوى لا على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويزيد الدكتور المذكور طينه بلة فينقل عن العز بن عبد السلام فى كتابه قواعد الأحكام (إذا تفاوتت رتب الفسوق فى حق الأئمة قدمنا أقلهم فسقا مثل إن كان فسق أحد الأئمة "تخيل إمام بينما هو فاسق!!" بقتل النفوس وفسق الآخر بانتهاك الأبضاع وفسق الآخر بالتضرع بالأموال قدمنا المتضرع للأموال على المتضرع للدماء والأبضاع فإن تعذر تقديمه قدمنا المتضرع للأبضاع على من يتضرع للدماء وكذلك بترتيب التقديم على الكبير من الذنوب والأكبر والصغير منها على اختلاف رتبها فإن قيل أيجوز القتال مع أحدهم لإقامة ولايته وإدامة تصرفه مع إعانته على معصيته قلنا نعم دفعا لما بين مفسدتى الفسوقين من التفاوت ودرءا للأفسد وفى هذا وقفة وإشكال من جهة أنا نعين الظالم على فساد

الأموال دفعا لمفسدة الأبضاع وهى معصية وكذلك نعين الآخر على فساد الأبضاع!! "إى والله هكذا يرى هؤلاء العتساء الأمور" دفعا لمفسدة الدماء وهى معصية ولكن يجوز الإعانة على المعصية "!!" لكونها وسيلة لتحصيل المصلحة الراجحة "وأى مصلحة أرجح من إسعاد هؤلاء الطواغيت وإعانتهم على هتك الأعراض وقضاء الوطر؟؟!!" وكذلك إذا حصل بالإعانة مصلحة تربو على مصلحة تفويت المفسدة كما تبذل الأموال فى فداء الأسرى المسلمين من أيدى الكفرة الفجرة) ص ٦٨ الكتاب المذكور.

هل عرفتم لماذا تخلف المسلمون وانحدروا إلى ذيل الأمم من الناحية الأخلاقية؟؟.

وهل عرفتم لماذا لم يكن من العسير على الشرق والغرب أن يحتلوا بلاد المسلمين من دون مقاومة تذكر؟؟.

وهل رأيتم هذه الدرجة من الخلل العقلى والأخلاقى الذى أصيب به هؤلاء، وكيف لم يجد الشيخ القديم الذى يسميه البعض سلطان العلماء حرجا فى أن يفتى بالإعانة على هتك أعراض المسلمات تحقيقا لمصلحة أعلى وأهم. وهل هناك مصلحة أعلى واهم من الحيلولة دون انتهاك الأعراض والحفاظ على الحرمات ثم يجلس القوم فى منادبهم عفوا مساجدهم التى اقتصر دورها على عقد جلسات الندب على كرامة المسلمين الضائعة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، ثم يذكرون المعتصم العباسى الذى غزا بلاد الروم دفاعا عن كرامة امرأة مسلمة ثم يبررون هذا الغثاء بأنه من أجل مصلحة أهم هى إقامة الشريعة الإسلامية والدليل على ذلك أن القتل الجماعى والفردى وهتك الأعراض هو أمر جائز ومباح إلا أن تروا كفرا مباحا ليس لكم من الله فيه سلطان وفى رواية ما أقاموا الصلاة!!!!!.

فماذا بقى من الإسلام والدين؟؟!!.

نعود إلى صلاح الصاوى وهو يواصل عرض فقهه التعيس البائس إنه فقه (قضاء الوطر السلطاني) ذلك الفقه الذى يتلقفه المخدوعون ويقتدون به أملا فى إعادة مجد الأمة الضائع ولو كان هذا على يد المماليك الذين كان يفتى لهم (سلطان العلماء). إنه الفقه الذى جرى استخراجه من ثنايا كتب الفقه الصفراء ليقود حركة التغيير ويصبح منطلقا للاهوت تحرير الأمة من الظالمين والمستبدين وأنى لفاقد الشيء أن يعطيه والمسألة كلها من ألفها إلى يائها لا تعدو أن تكون تمسحا بالدين ومحاولة مستميتة من البعض للجلوس

موضع هؤلاء السلاطين والاستفادة من الامتيازات الضخمة الممنوحة لهم من خلال فقه الاستعباد والملذات والشهوات والخلاصة أن كل هذا الغثاء ليس من الله في شيء.

فماذا يقول ذلك المنظر البائس؟؟.

(يرجع معنى الجماعة إلى الاجتماع على الإمام وطاعة السلطان والجماعة بهذا المعنى تقع في مقابلة الغي والتفرق في الراية ويسمى المفارق لها باغيا وناكثا وإن كان من أهل السنة والجماعة ومن هذه النصوص):

١- عن عرفجة الأشجعي: قال سمعت رسول الله يقول من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه.

٢- البخاري عن أنس اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله.

٣- الشيخان عن أبي هريرة (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني.

ص١٦-١٧ صلاح الصاوي.

وكأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بطاعة بني أمية وعدم إغضابهم والسير على نهجهم!!.

ولماذا هذا الانتقاء وهل كانت هذه الروايات هي كل ما صح عن رسول الله في الفقه السياسي؟؟.

ألم تكن هناك وصايا أخرى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتوصي بحسن اختيار الحكام، حتى لا يجد المسلمون أنفسهم في نهاية المطاف وليس أمامهم إلا الاختيار بين السيئ والأسوأ والمجرم والأشد إجراما أو بين المتعرض للأبضاع والمتعرض للدماء؟؟.

وأين أنتم أيها الفقهاء من مدرسة أهل البيت ومن سيرة الإمام علي والحسن والحسين الرافضة للظلم ومن كلماتهم النورانية التي تحض على الإباء والتي دعت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير نحو الأمام لا إلى الخلف كما يصر هؤلاء المتنطعون الجهلة.

وأين أنتم من كتاب الله الذى امتلأ بالدعوة إلى إقامة العدل والنهى عن الظلم والركون إلى الظالمين ومن بينها.

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) البقرة

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) الأعراف.

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ١١٣ هود.

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) النحل.

فكيف يمكننا أن نتقبل ذلك الهراء الذى يزعم هؤلاء القوم أنه قد اصبح جزءا لا يتجزأ من عقيدة أى فرقة ناجية. والأمر كله لا يعدو كونه مجرد أباطيل نطق بها جماعة من وعاظ السلاطين ومن فقهاء التبرير الذين قبضوا من دون أدنى شك ثمن هذه الفتاوى ذهبا وفضة. سيأتى يوم لا ريب فيه يحمى عليه فى نار جهنم فتكوى به جباههم وجنوبهم وظهورهم ويقال لهم ذوقوا ما كنتم تكنزون وويل لكم بما كنتم تكذبون.

الأحاديث النبوية :

أما عن الوصايا النبوية المطهرة التى تحث على مقارعة الظلم ورفض الرضوخ له والتماهى معه فحدث ولا حرج ولا ندرى لماذا نبذها هؤلاء وراء ظهورهم وأفتوا فى دين الله بأهوائهم وآرائهم الفاسدة؟؟.

عن كعب بن عجرة عن رسول الله ص قال (أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء قلت وما إمارة السفهاء قال امراء يكونون من بعدى لا يهدون بهديى ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك

ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم) عبد الرازق وأحمد والنسائي والبزار والطبراني الكبير والأوسط والحاكم.

لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ووزراء فجرة وأمناء خونة وقراء فسقة سمتهم سمت الرهبان قلوبهم أنتن من الجيف والذى نفس محمد بيده لينقضن عرى الإسلام عروةً عروة حتى لا يقال اللهَ الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء الخسف ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) موسوعة أحاديث الإمام المهدى ج١ ص ٢٦.

(ستكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبحهم وتصدقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد) الطبراني الجامع الصغير.

(ما من نبى بعثه الله عز وجل فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف خلوف من بعدهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) مسلم –أحمد –البيهقى – كنز العمال.

(سيلى أموركم من بعدى رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرونكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله فلا تعتلوا بربكم) أحمد – الحاكم.

(خذوا العطاء ما دام عطاء فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم فإن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم قال يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب موت فى طاعة الله خير من حياة فى معصيته) الطبراني- حلية الأولياء- تاريخ بغداد.

الإمام الحسين عليه السلام يوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

(اعتبروا، أيها الناس، بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول: (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)«المائدة/٧٨-٧٩» وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبه فى ما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا..)«المائدة/٤٤»، وقال: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..)«التوبة/٧١» فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها فى حقها.

ثم أنتم، أيها العصابة، بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله فى أنفس الناس مهابة يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده تشفعون فى الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون فى الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتم بحق الأئمة فأما حق الضعفاء فضيعتم وأما حقكم بزعمكم طلبتم فلا مالا بذلتموه ولا نفسا خاطرتم بها للذى خلقها ولا عشيرة عاديتموها فى ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته لأنكم بلغتم من كرامة الله منزله فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون وانتم فى عباده تكرمون وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وانتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول الله محقورة والعمى والبكم والزّمن فى المداين مهملة لا ترحمون ولا فى منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعتبون وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون كل ذلك مما أمركم الله به من النهى والتناهى أنتم عنه غافلون وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون، ذلك بأن مجارى الأمور والأحكام على أيدى العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا لتفرقكم عن الحق واختلافكم فى السنة بعد البينة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة فى ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم

مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور الله فى أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون فى الشهوات سلطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التى هى مفارقتكم فأسلمتم الضعفاء فى أيديهم فما بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب يتقلبون فى الملك بآرائهم ويستشعرون الخزى باقتدائهم اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار، فى كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد وذى سطوة على الضعيف شديد مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجبا وما لى لا أعجب والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضى بحكمه فيما شجر بيننا.

اللهم إنك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافسا فى سلطان ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح فى بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك فى بلادك، فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم وعملوا فى إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا واليه أنبنا وإليه المصير).

صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال فلا تعتلوا بربكم لأن الله تبارك وتعالى لم يأمر بفاحشة ولم يوص أحدا بالرضوخ للظلم وإنما أوصى فى محكم كتابه بالعدل والإحسان ونهى عن المنكر والفحشاء والبغى فمن أين جاء صلاح الصاوى والعز بن عبد السلام وأحمد بن حنبل بهذه الأقوال وكيف جرؤوا على تحويلها إلى عقائد فكانوا بذلك من أسس (للاهوت الظلم) فى مقابل (لاهوت التحرير) الذى يتنادى به الآن غير المسلمين مستخرجين من دينهم كل ما يدعو للعدل ونصرة المظلوم بينما قام هؤلاء بجريمة كبرى عندما أدخلوا على ديننا ما ليس منه لأن الله لا يأمر بالظلم ولا بالفحشاء (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) الأعراف.

ثم إن هؤلاء الفقهاء الذين وضعوا قاعدة لقتال المسلمين وسفك دمائهم بعنوان قتال الطائفة الممتنعة تأسيا بما فعله خالد بن الوليد بمالك بن نويرة، هم أنفسهم الذين عابوا على الإمام الحسين عليه السلام ثورته السلمية ضد بنى أمية بالرغم من أن الإمام الحسين لم يذهب إلى الكوفة مصطحبا جيشا

من المقاتلين ليحارب حكومة كان الكل يعلم أنها حكومة غاصبة للسلطة وتفتقر إلى الحد الأدنى من مقومات الشرعية، وإنما ذهب ملبيا دعوة الجماهير المسلمة التى طلبت منه أن يتصدى لقيادة الأمة وهى مهمة لم يكن يصلح لها يوم ذاك إلا الحسين بن على عليهما السلام، ثم كان ما كان من تخاذل المتخاذلين واستخدام تلك الدولة الأموية اللاشرعية لأحط وأخس الأساليب لحصاره عليه السلام وقتله ومعه أهل بيته من دون حتى استثناء الأطفال الرضع. ثم نرى ابن تيمية وابن كثير يلمزونه بأنه إنما خرج طلبا للملك والإمارة وكان عليه أن يتورع عن ذلك لما ورد فى البخارى ومسلم من النهى عن ذلك!!.

إنه الشيطان المضل والنفس الأمارة بالسوء التى حملتهم على تسويق ذلك التناقض المخزى وترويجه بين الدهماء إلى يومنا هذا. ومن هنا كان ذلك التناقض المريب والجمع الغريب بين النقيضين : فكر الرئاسة والتسلط الأموى وفكر التكفير الخوارجى فلماذا تثورون إذا على الحكومات المعاصرة إذا كنتم ترون أن من حق من تصفونه بالحاكم المسلم أن يقتل ويسرق وينتهك أعراض المسلمات ؟ ! وما هو السبب الحقيقى لتلك الثورة والغيرة المفاجئة على الإسلام والدين هل هى الغيرة على الجماهير المسلمة المظلومة من يومها إلى يومنا هذا أم أنه حب السياسة والرئاسة وعشق الظهور ولا شيء غير ذلك؟!

ثانيا إعادة إنشاء الأمة الإسلامية :

وبعد أن تكلمنا مطولا عن فهم هؤلاء السادة لما يسمونه توقف العمل بأحكام الشريعة الإسلامية ننتقل إلى ما هو أغرب من ذلك وهو سعيهم لإعادة تأسيس وجود الأمة الذى انقطع مع (انقطاع العمل بأحكام الشريعة).

إنها إذا محاولة (لاستنساخ) أمة إسلامية جديدة بالرغم من استمرار وجود الأمة الأصلية على قيد الحياة تلك الأمة التى ننتمى جميعا إليها بالرغم من أننا لا نحظى ولا نريد أن نحظى بشرف الانتماء لأى من تلك التنظيمات وقد جربنا الانتماء لواحدة من تلك الجماعات وغسلنا أيدينا والحمد لله من تلك المسألة.

وهى فى النهاية محاولة استمساخ لأنها وبفرض استمرارها ستنتج مسخا شائها، لا هو هُو ولا غيره وقد رأينا بأم أعيننا تلك المخلوقات المشوهة التى

انتشرت فى كل بقاع العالم الإسلامى تنشر الذعر والخراب وتمارس القتل والإرهاب من دون وازع من خلق ولا ضمير، أما إذا عضها سلاح القمع السلطوى سارعوا إلى إبداء الندم وطلب التوبة وإصدار كتب التحولات وطلب الشرعية ممن كانوا بالأمس كفارا لا يجدى معهم إلا السيف وصدق الله تبارك وتعالى (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) الأنبياء.

وراثة الأمم فى القرآن:

للأمم دورة حياة كما للأفراد.

تبدأ حياة أى أمة بتبنيها لرسالة نبى من الأنبياء وتنتهى (حياتها) عندما تصل علاقتها بالرسالة السماوية التى تحملها إلى نقطة الانحراف النهائى، فيختفى أهل الحق من بين صفوف هذه الأمة وتنعدم فاعليتهم وقدرتهم على التأثير الإيجابى فى مسار الأمة الفكرى والأخلاقى والسياسى، ويومها يصبح وجود الأمة هو والعدم سواء حتى وإن بقى على الأرض من يدعون اعتناق الدين الذى هو عنوان وجود الأمة.

القرآن الكريم ينبهنا إلى أن وجود الأمة يصبح عنوانه هذه الفئة المتميزة من عباد الله الصالحين فيمنحهم سبحانه لقب (أمة) حتى ولو كانوا فردا واحدا - كما كان إبراهيم عليه السلام (أمة) أو رجلا يساوى أمة (لَيْسُوا سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) آل عمران ١١٣ (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) الأعراف ١٥٩. (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) الأعراف ١٨١.

أما عن سبب منحهم لقب (أمة) رغم أنهم مجرد جزء منها، فهو ان وجودهم أصبح سر وجود هذه الأمة فقد أصبحوا منها بمنزلة الروح من البدن، وهم حملة الحق الملتفين حول إمام الحق لا أولئك المتجولون بين النصوص الدينية بأهوائهم وآرائهم ممن تحدثنا من قبل.

إنهم الفئة الملتفة حول الحجة أو الإمام (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وهذا هو مفهوم الإمامة فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذى حاول المدعون والمنتحلون ما ليس لهم إسباغه على أئمتهم المزيفين فعن (أبى عبد

الله الصادق عليه السلام قال: إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم وإن نقصوا شيئا أتمه لهم). الكافى

وعنه أيضا أنه قال: (ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله).

فالرسول إذا هو أب الأمة ومبدأ وجودها والإمام هو سبب استمرارها وبقائها فى الإطار الذى أراده المشرع الأعظم وليس على طريقة كيفما اتفق (وإن الله قيض وإن الله اختار) التى أدمنها المزورون من قديم الأزمان.

يمتد عمر الأمة ووجودها باستمرار بقاء الحجة وبقائها على الجميع سواء كانوا من أهل الاستقامة أو من أهل الزيغ والأهواء ممن سلكوا طريق الهلاك والندامة. فإما أن يتحقق النصر النهائى للحق وأهله وتعلو كلمة الله على الدين كله ولو كره الكافرون، أو يحدث العكس ويتحقق الفوز لأهل الباطل مثل أولئك الذين عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) وعندما ينتهى أجل الأمة بأحد النهايتين يأتى وعد الله لأن الله لا يخلف الميعاد (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) يونس ٤٩. (مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) الحجر ٥، المؤمنون ٤٣. (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) غافر ٥.

وعندها تصبح الأمة أمة سابقة حتى لو بقى من أهل الأرض من يدعى الانتماء لها (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) البقرة ١٣٤، ١٤١.

أما عن الأسباب الموجبة لوقوع العقاب والنكال الإلهى فتتلخص فى كلمة واحدة وسبب رئيس هو الظلم، وخاصة الظلم الجماعى أو السياسى ناهيك عن غياب العدل الاجتماعى (ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) الأنعام ١٣١ (وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وهو ذنب لا يمكن الاعتذار منه وهو فعل يجرمه العقل ويشهد على بشاعته التاريخ: التاريخ البشرى المكتوب والتاريخ المدون فى كتاب الله عز وجل الذى قص علينا مصارع الظالمين والمتجبرين.

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن

يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ* أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأعراف ٩٦-٩٨.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ هود ١٠٠.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود ١٠٢.

القارئ لكتاب الله عز وجل يرى ذلك التأكيد على مبدأ رفض الظلم والاستكانة للظالمين ويرى الدعوة للتصحيح والإصلاح ثم يصاب بعد ذلك بالذهول عندما يطالع ذلك الغثاء الذى قدمه لنا وعاظ السلاطين وأسبغوا عليه وصف العقيدة الصحيحة التى تقود صاحبها الجنة ولا ادرى أى عقيدة صحيحة تلك التى تدعو التباع لتسهيل السرقة والقتل وانتهاك الأعراض؟؟.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود ١١٧.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ الكهف ٥٩.

العقاب الإلهي قد يكون نهائيا وشاملا وقد يكون تحذيريا جزئيا كما هو حال المسلمين الآن الذين تنزل بهم الكوارث والقوارع التحذيرية والتى لم تصل بهم إلى حد الإهلاك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد ٤١ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الأنبياء ٤٤. لعلهم يرتدعون عن غيهم أو يتراجعون عن الاستمرار في ظلمهم أو يكون عقابا شاملا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص ٥٩.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأحقاف ٢٧.

وعندما ينزل العقاب الجماعي بأمة يصبح الاستبدال حتمية لا فكاك منها ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ الأعراف ١٣٧

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ الدخان ٢٥-٢٩

فهل انتهى وجود الأمة الإسلامية حتى يأتى هؤلاء لوراثتها؟؟.

والعجيب الغريب أنهم لا يأتون بشخصية مغايرة لتقوم بدور الوارث، فالمنطق يقول أن الابن يرث الأب أما أن يتم استنساخ نفس الشخص ليرث نفسه فهذا هو البله والعته بعينه، وهذه هى حقيقة ما يحاول هؤلاء القيام به أى استنساخ أمة إسلامية جديدة تقوم بالاستغناء عن خدمات الأمة السابقة، باعتبار أن الأمة القديمة قد انتهى عمرها الافتراضى يوم أن توقفت عن العمل بأحكام الشريعة الإسلامية، وآن الأوان لإنشاء أمة جديدة أو سيارة جديدة بدلا من التردد المستمر على ورش السمكرة والإصلاح على طريقة انسف حمامك القديم!!!.

والأغرب من هذا أن هؤلاء القوم هم ورثة أولئك الفقهاء المخرفين الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار عندما زعموا ما زعموا من فقه سياسى كان يتعين على المجددين المحدثين أن يدركوا أن هذا هو الجزء المعطوب وأن من الممكن إعادة الأمة السابقة للخدمة إذا أفلحنا فى إقناع طاقم القيادة الغبى أو طاقم الإصلاح الأغبى والأكثر جهلا والراغب حتما فى تعظيم دوره من خلال توسيع رقعة المقاولة بتغيير فقهها السياسى ومعه فقهها الأخلاقى بدلا من اللجوء إلى نفس المصنع الذى أنتج السيارة الأولى المعطوبة والتى توقفت تماما عن المسير لنعيد نفس المسار الفاشل والتجارب المريرة والكوارث المروعة.

هل قال هؤلاء السادة هذا الكلام أم أننا نفترى عليهم ونحمل كلامهم ما لا يحتمل؟؟.

من ناحية فالواقع يغنى عن كل بيان، ولكن فلنرجع إلى النصوص التى سننقلها باستفاضة ووضوح حتى لا يقال أننا نجتزئ الأدلة لنبرر بها تحاملنا على هؤلاء الأبرياء الأماجد.

إلام استند القوم فى دعواهم لإنشاء أمة لا إله إلا الله من جديد وتنصيب إمامة جديدة؟؟.

لقد جاء كل هذا من قراءة مزاجية لرواية واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أغفلت كل ما ذكرناه سابقا من أحاديث وآيات.

عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه فقلت يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير

من شر قال نعم قلت وهل بعد هذا الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فماذا تأمرنى إن أدركنى ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فغن لم يكن لهم جماعة ولا غمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

يقول صلاح الصاوى (ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمخرج من هذه الفتن يومئذ، فقال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ولقد أظلنا لعمر الحق ذلك الزمان ووقف الدعاة على أبواب جهنم يدعون الناس إليها باسم العلمانية تارة وباسم الشيوعية تارة أخرى، وقد اتفقوا جميعا على الكفر بشرائع الإسلام والتمرد على حاكمية القرآن والسنة ولا مخرج من هذه الفتن المطبقة إلا بما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله مخرجا وهو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم أو الاعتزال حتى الموت) صلاح الصاوى ص١٠.

أما سعيد حوى صاحب المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين فكان اكثر وضوحا من هذا، حيث خرج من قراءته لنفس الرواية باستنتاج أسماه فتوى عصر (أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) فقال "إنه من استقراء لمجموع النصوص (أى مجموع يقصد؟؟!!) ولواقع المسلمين الحالى واحتياجاتهم نستطيع أن نحدد مواصفات الجماعة التى تعتبر جماعة المسلمين، والتى يجب على كل مسلم أن يضع يده بيدها، كفتوى عصر من رسول الله ص أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. وعلى ضوء هذا التحديد فإن على المسلم أن يحدد التزامه فمسألة جماعة المسلمين ليست دعوى بل هى مسألة من أخطر المسائل على الإطلاق، ومع أن المرشد الأول والثانى لم يعتبرا من سوى الأخوان خارجا عن جماعة المسلمين ومع أنه لم يزل فقهاء الدعة المعتمدون يعتبرون الأخوان المسلمين جماعة من المسلمين تسعى لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين ومع أن فقهاء الدعوة المعتمدين يعتبرون أن الأمر كذلك، فإن الأدلة كلها تدل على أن هذه الجماعة هى أقرب الجماعات على الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين) ص٢١.

ألم اقل لكم أن القوم مصرون على استنساخ الأمة أو استمساخها وأنهم يعملون بجد ودأب لإنتاج ذلك الكائن العجيب والعهدة على فقهاء الدعوة المعتمدين (ولا أدرى من الذى اعتمدهم وعلى أى شيء اعتمد الفقهاء

المعتمِدِين فى اعتمادهم للفقهاء المعتمَدين) الذين يرون أن جماعتهم هى الأقرب والأنسب للفوز بلقب جماعة عموم المسلمين وأن المسألة من وجهة نظر هؤلاء وهؤلاء هى مسألة وقت ومواءمات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولا أدرى كيف توصل هؤلاء المعتمدون إلى أن جماعة الإخوان هى المقصودة فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ومن هو إمامهم، ولماذا أعرض المسلمون عن إمامهم إمام الحق من آل محمد وأنكروا عشرات بل مئات الروايات الواردة والتى توصيهم بالسير على نهجه ونهج أهل البيت، ثم وقعوا على تلك الرواية التى جرى تحميلها فوق ما تحتمل، ناهيك عن أنها نص فى وجوب اتباع الإمام من آل محمد بطل بدر وأحد والأحزاب ومن قال فيه رسول الله ص من كنت مولاه فعلى مولاه ولا أدرى كيف حملها المزورون لتصبح دليلا على إمامة، (قائد الكشافة) حسن البنا الساعاتي!!.

رحماك ربي.

ثم يقول سعيد حوى (إن جماعة الأخوان هى الجماعة الوحيدة التى يمكن أن تشكل القاسم المشترك الذى يلتقى عليه المسلمون جميعا) سعيد حوى المدخل ص ٢٥.

(وجماعة الأخوان تسع المسلمين جميعا) ص ٢٩.

(إن الحديث الشريف الذى هو فتوى عصر أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، أن جماعة المسلمين مستمرة إلى ما بعد نزول المسيح عيسى بن مريم وإمام المسلمين، ليس شرطا حتى يعتبر إماما أن تكون بيد سلطة تنفيذية فقد، نص فقهاء الشافعية أن منصب الخلافة إذا فقد، تنتقل أحكام الخلافة إلى أعلم أهل زمانه. إن الأخوان المسلمين من خلال حكم الله ومن خلال القواعد المنبثقة عن الشورى يحاولون الوصول إلى جماعة إسلامية كاملة على رأسها مرشد يقود المرحلة الراهنة، فهل رأى أحد فى هذه الأمة رجلا كحسن البنا وهل رأى الجيل الحاضر رجلا اصلب من حسن الهضيبى وإن لخليفة الاثنين فى أعناقنا بيعة) ص٣٠.

يمكننا إذا أن نلخص ما أسماه الرجل بفتوى عصر صادرة (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) للمسلمين جميعا وخاصة فى زماننا هذا:

١- أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

٢- أن جماعة المسلمين هى نفسها جماعة الإخوان المسلمين.

٣- أن إمام المسلمين الواجب اتباعه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم حسن البنا – حسن الهضيبي- عمر التلمساني- محمد حامد أبو النصر- مصطفى مشهور- مأمون الهضيبي- وأخيرا وليس آخرا محمد مهدى عاكف وان من مات وليس فى عنقه بيعة لمحمد مهدى عاكف مات ميتة جاهلية.

فمن هو محمد مهدى عاكف هذا الذى أصبح من المعلوم بالدين بالضرورة وأصبحت البيعة له واجبة فى عنق كل مسلم ومسلمة وهل حقا آلت إليه سلطات الخليفة الفقهية كونه أعلم أهل زمانه كما يقول فقهاء الشافعية؟.

رحماك ربى من هذا البلاء!!.

الديماجوجية الدينية :

- يبدو واضحا تلك الأساليب الديماجوجية التى أدمنها منظرو تلك الجماعات فى سعيهم لجلب أكبر عدد ممكن من الأتباع الجهلة سواء بأحكام الدين أو بالمسار التاريخى للأمة الإسلامية ودونك الملاحظات التالية:

١- عندما يعتمد الأستاذ المنظر على تلك الرواية التى أوردها البخارى ومسلم ويتعامى عن غيرها من الروايات التى تناولت قضية الإمامة وأغلبها للأسف الشديد من الموضوعات، ويمر مر الكرام على تلك الرواية التى تتحدث عن اثنى عشر خليفة أو إماما كلهم من قريش مع إيمانه الجازم بصحة كل ما أورده الشيخان من دون حاجة إلى تدقيق أو تمحيص، ألا يعد هذا كارثة أخلاقية وفكرية وفقهية بينما هو يقدم لزعمه بالقول (من عرض مجموع النصوص) ؟؟!!.

٢- الرواية الوحيدة التى يعتمدون عليها لم تقل أنشئ جماعة وسمها جماعة المسلمين وعين نفسك إماما لها وشكل جيشا سمه الجيش الإسلامى ثم أطلقه ليقتل عباد الله البر منهم والفاجر ولكنها قالت (الزم جماعة المسلمين وإمامهم) أى أنها نص على وجود الإمامة

واستمرار دورها فى حياة المسلمين كما أنهـا أيضـا نـص علـى استمرار وجود الجماعة المسلمة حتى قيام الساعة.

٣- من أين جاء منظرو الجماعة أو ملفقو الجماعة بأن جماعة المرشدين هم أعلم أهل الأرض. و(الإمام) المؤسس لم يكن فقيهـا ولا عالمـا ورعا من علماء الدين وقد أسس جماعته وهو فى العشـرين مـن عمره ولا نعلم من أين جاء بكل تلك الكرامات والخوارق التى نسبت له، وكل ما نعلمه أنه قتل رأسا برأس. وكل ما تركه من تراث فقهى هو مجموعة من الخطب الطنانة الرنانة التـى حـاول الأتبـاع أن يجعلوا منها تراثا فكريا وهيهات هيهات. أما عن بقيـة المرشـدين وأعلميتهم فهى ليست سرا ولو كان لأى منهم تراث فقهى أو فكرى لقدمه للعالمين ولكنهم وللأسف الشديد مجرد قـادة ميليشـيات وإن أعوزتك الدقة قادة أحزاب سياسية بعد أن أعلنوا توبتهم عن القتـل وقاموا بتفكيك جيشهم المسمى بالإسلامى مكرها أخاك لا بطل.

٤- الازدواجية الأخلاقية والعقلية التى يعيشها هؤلاء بين خطاب الداخل وخطاب الخارج فهم يقولون للناس نحن جماعة من المسلمين بينمـا هو يقولون لنفسهم نحن جماعة المسلمين وسيأتى اليوم الذى ينضوى فيه الجميع تحت لواء الجماعة الأم أى انهم وحدهم هـم المسـلمون وكل من عداهم لا يمكن أن ينال هذا الشرف العظيم.

إطلالة سريعة على قضية الإمامة فى السنة النبوية والتى تجاهلهـا أو جهلها هؤلاء القوم:

١- عن جابر بن سمرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال الدين قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذي.

٢- عن ابن مسعود قال (سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كـم يملك هذه الأمة من خليفة قال اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسـرائيل) موسوعة أحاديث المهدي.

٣- واقعة الغدير التى أجمع كل أصحاب السنن على روايتها، وكانـت لدى عودة رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الـوداع حيـث جمع الناس فى موضع يقال له غدير خم ثم قال (فإنى فـرط علـى

الحوض وأنتم واردون على الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفونى فى الثقلين فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الأصغر عترتى وإن اللطيف الخبير نبأنى انهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربى فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ثم أخذ بيد على فرفعها حتى رؤى بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون فقال أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال إن الله مولاى وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه يقولها ثلاث مرات وفى لفظ احمد إمام الحنابلة أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب ثم لم يتفرقوا حتى نزل جبريل أمين وحى الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتى والولاية لعلى من بعدى ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه فى مقدم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول : بخ بخ لك يا بن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة وقال ابن عباس وجبت والله فى أعناق القوم. الطبراني- الحاكم أحمد بن حنبل- النسائى فى الخصائص.

فمن هم يا ترى هؤلاء الأئمة الإثنى عشر الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله للأئمة والذين بانتهائهم يحدث الهرج والمرج وتقوم الساعة وهل أن أئمة الإخوان من بينهم؟؟.

ألم يحاول هؤلاء الأفذاذ أن يحققوا فى هذه الأحاديث أم أنهم ينتقون من السنة المطهرة ما يوافق مزاجهم ويحقق أهدافهم فى بناء تنظيمهم وحكم الدنيا ولو كان هذا على أشلاء الحقيقة؟.

الإمامة فى مدرسة أهل البيت:

بماذا نسمى ما ذهب إليه القوم فى أئمتهم أئمة الجماعات؟؟.

إنه الغلو والتطرف بمعناه الحقيقي!!.

الغلو أن تدعى لنفسك أو لغيرك ما تعجز عن إثباته وما يحتاج إلى أدلة وبراهين، ولا يحتاج الأمر بالضرورة أن تثبت أو تدعى لنفسك أو لغيرك ما يوصف بالخوارق لنعتبر أن ما تدعيه يدخل فى إطار الغلو.

خذ عندك ما تدعيه جماعة الإخوان المسلمين لنفسها من امتلاك الفهم الشامل للإسلام من دون دليل ولا بينة ولا برهان سوى أنهم رفعوا شعارا يقول ان (الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف ووو)!!.

إنه نموذج للغلو والتطرف فى مدح الذات من دون بينة ولا برهان، والقوم ليس فيهم من يمكن وصفه بالاجتهاد إلا شخص واحد مع التجاوز، والقوم أغلبهم من التكنوقراط وليس لديهم مؤسسة علمية دينية تخرج علماء مجتهدين كتلك التى فى النجف أو فى قم، ومع ذلك لم نسمع أيا من هؤلاء المراجع العظام يزعم لنفسه ما تزعمه جماعة التكنوقراط المسلمين لنفسها!!!.

أما التطرف الأخطر فهو ما يذهبون إليه فى شأن بطل الكشافة مؤسس الإخوان من عجائب وخوارق وإمامة لا ندرى من أين جاء بها وأخطاؤه لا تعد ولا تحصى!!!.

فعن أى إمامة يتحدثون؟؟.

أما إذا انتقل الكلام لمن نصبه رسول الله فى موضع الإمام وقال له أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبى بعدى، رأيتهم ينظرون إليك يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا. وسواء رضى القوم أم لم يرضوا فنحن نقص عليهم عن أئمة الحق ونكتفى بتلك الرواية الجامعة الشاملة لنعلم أى الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا.

الكافى ج١: عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا فى الجامع يوم الجمعة فى بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدى عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى

أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا فقال عز وجل: "ما فرطنا فى الكتاب من شئ "وأنزل فى حجة الوداع وهى آخر عمره صلى الله عليه وآله: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم عليا عليه السلام علما وإماماً وما ترك لهم شيئا تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله فهو كافر به. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إن الإمامة أجل قدرا وأعظم شأنا وأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم. إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال: "إني جاعلك للناس إماما" فقال الخليل عليه السلام سرورا بها: "ومن ذريتي" قال الله تبارك وتعالى: "لا ينال عهدى الظالمين" فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت فى الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها فى ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" فلم تزل فى ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبى صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: " إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين" فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت فى ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: "قال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث" فهى فى ولد على عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟؟ إن الإمامة هى منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، ان الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامى وفرعه السامي. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهى فى الأفق بحيث لا تنالها الأيدى والأبصار. الإمام البدر المنير والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادى فى غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى والمنجى من الردى الإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى به والدليل فى المهالك من فارقه فهالك الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البارة بالولد الصغير ومفزع العباد فى الداهية النآد الإمام أمين الله فى خلقه وحجته على عباده وخليفته فى بلاده والداعى إلى الله والذاب عن حرم الله الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم المرسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذى يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الالباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه أو يفهم شئ من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد فى غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعبا دحضا تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعدا ولقد راموا صعبا وقالوا إفكا، وضلوا ضلالا بعيدا ووقعوا فى الحيرة إذ تركوا الاما عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله

وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: "وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون" وقال عز وجل: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" الآية وقال: "ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين" وقال عز وجل: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" أم "طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون" أم "قالوا سمعنا وهم لا يسمعون* إن شر الدواب عنه الله الصم البكم الذين لا يعقلون* ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون" أم "قالوا سمعنا وعصينا" بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل وراع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله ونسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله والرضا من الله عز وجل شرف الأشراف والفرع من عبد مناف نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله عز وجل ناصح لعباد الله حافظ لدين الله. إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: "أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون" وقوله تبارك وتعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" وقوله في طالوت: " إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم" وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: "أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما" وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا" وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاما فلم يعي بعده بجواب ولا يحير يه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعثار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وساعده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون

على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونـه تعـدوا - وبيت الله - الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمـون وفـى كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقتهم وأتعسـهم فقال جل وتعالى: "ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هـدى مـن الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين" وقال: "فتعسا لهم وأضل أعمالهم" وقال: "كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" وصـلى الله على النبى محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

الجماعات الإسلامية ولاهوت التحرير:

لاهوت التحرير كما يقول الباحث حسام تمـام (Liberation Theology) فى موقع إسلام أون لاين هو (القراءة الثورية للمسيحية التى من خلالها أعـاد بعض آباء الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية قراءة المسـيحية لمصـلحة الفقراء والمعدمين والمظلومين والمهمشين، وهى بذلك تمثل انقلابا لاهوتيًا أدى لتوسيع مجال الإيمان بحيث يشمل المسئولية تجاه الواقع وتغييره متجاوزا تغيير وإصلاح الضمير والنفس وحسب، وذلك من خـلال قـراءة تؤكـد علـى أن "الخلاص لا يكون بالتحرر من الخطايا فقط، بل بكل أشكال التحرر الأخـرى بما فيها التحرر السياسى والاقتصادي..."، وهى قراءة تزاوج بـين الخـلاص وتحرر الإنسان وبين الإيمان والعمل السياسي، وبين ملكوت الله وبناء العـالم. كما أنهم أعادوا قراءة التوراة والإنجيل والتراث الكنسى كله قـراءة منحـازة للفقراء ضد الأغنياء، مؤكدين على أن المسيح نبى الفقراء ومخلصهم، وأنه كان فقيرا، ولا بد أن يكون فى صف الفقراء وليس الأغنياء).

لاهوت التسلط والاستبداد هو جزء أصيل من ثقافتنا الموروثة يتجلى فى الإذعان المطلق لكل ما هو قديم من دون تدقيق ولا تمحـيص ومقاومـة أى محاولة لإعادة قراءة التراث الإسلامى بصورة تنسجم مع العقل بل وحتى مع النبع الإلهى القرآنى الصافى الذى فشلت أجهزة الإعلام السلطوى فى تلويثه وتحريفه عن مواضعه.

ديمقراطية الوسائل وليس الغايات :

النموذج الأوضح لأن الحالة العقلية للمسلمين وليس للإسلاميين وحدهم ما تزال أبعد ما تكون عن إنتاج منظومة للقيم والأفكار يمكن أن تسمى لاهوتا للتحرير هو الشيخ القرضاوى فى كتابه الأخير (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد) والذى جمع فيه كل الروايات التى أبدعها لاهوت التسلط والظلم من أجل إقناع من يسميهم بشباب الصحوة بالصبر على أئمة الجور، وأن من فارق الجماعة شبرا فميتته ميتة جاهلية، ثم أوضح المعنى بما لا يدع مجالا للشك حيث نقل عن الشوكانى أن "من فارق الجماعة شبرا كناية عن معصية السلطان أو السعى فى حل عقد البيعة التى حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فميتته ميتة جاهلية أى أن حاله فى الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام يطاع). ص ٣١٩

ثم قال (والأولى بالمسلمين أن يتفقوا على آلية للتغيير ويستفيدوا مما وصل إليه العالم من الوسائل الديمقراطية والمؤمن يلتمس الحكمة أنى وجدها ولا حرج على المسلمين أن يقتبسوا من الوسائل عند غيرهم ما دامت هذه الوسائل غير مخالفة لنصوص الشرع ولا قواعده بل هى من المصالح المرسلة التى تتحقق بها مقاصد الشريعة ومنافع الناس) ص٣٢٦.

إنه إذا تغيير على مستوى الوسائل والتكتيك، ولكنه أبدا ليس تغييرا فى المحتوى القيمى الذى يتبناه المسلمون عامة والإسلاميون خاصة والذى ما زال يؤمن بكل ما حوته كتب التراث بعجره وبجره.

النموذج الثانى لأن الإسلاميين ما زالوا يؤمنون بلاهوت القهر والتسلط وما زالوا يعبدون إله القوة حتى بعد أن تكسر وتشظى، لا لشيء سوى رفعه شعار المواجهة للولايات المتحدة الأمريكية استنادا إلى ذلك التراث الأصفر (إلا أن تروا كفرا بواحا أو ما أقاموا فيكم الصلاة) هو موقفهم من الأزمة العراقية وتباكيهم على قتلة وسفاحى الفلوجة برغم كل ما ارتكبوه وما ارتكبه نظام (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: صدام وعدى وقصي) من جرائم وفواحش يشيب لها الولدان، وكل هذا يعنى ببساطة ألا شيء قد تغير فى منظومة القيم التى يؤمنون بها والتى لا ترى قيمة للإنسان فى مقابل قيمة الشعار الإسلامى أو القومى الفارغ من أى مضمون أخلاقى وهذا هو دأبهم.

إعادة قراءة الإسلام!!

هل لنا أن نطالب القوم بالتعلم من آباء الكنيسة اللاتينية والاقتناع بأن خلاص المسلمين لا يتعلق بمجرد إعلان دولتهم الإسلامية أو استلامهم السلطة أم أن من تشبه بقوم ولو فى استخدام العقل صار منهم ونحن لا يمكن أن نتشبه بأحد، إذ أننا نعتقد اعتقادا جازما أننا وبأوضاعنا الراهنة التى ورثناها كابرا عن كابر (خير أمة أخرجت للناس) هكذا ومن دون حتى أن نكمل قراءة الآية التى تلزمنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر حتى ولو كان هذا المنكر روايات تراثية نسبت إلى رسول الله مهما كانت درجة تناقضها مع كتاب الله!!.

هل آن لنا أن نحلم بقراءة ثورية للدين تبدأ أول ما تبدأ بتحرير العقل من ذلك التناقض الجوهرى الكامن بين أن الله يأمر بالعدل فى حين يأمر رواتنا (الذين اصبحوا رموزنا المقدسة) بالإذعان للظلم وإعانة القتلة ومنتهكى الأعراض على ممارسة جرائمهم (درءا لأسوأ المفسدتين) كما يزعم شيوخنا، وقد نقلنا فى هذا الكتاب ما قاله العز بن عبد السلام والقرضاوى وغيرهم من جواز إعانة الحاكم الظالم على فسقه وظلمه ولا أدرى كيف يمكن أن ينتج فقه (الإعانة على المعصية) حرية أو ديمقراطية أو حتى شيئا يمكن وصفه بدين الله (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) الأعراف.

من أين نأتى بلاهوت التحرر:

إنه هناك فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام التى مثلت القراءة الصحيحة والنزيهة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولسيرة أئمة أهل البيت ولا أدرى كيف يمكن لأمة تدعى الإسلام أن تعرض عن سيرة الأئمة المضحين والصالحين من آل بيت نبى الإسلام.

لقد كان ما كتبته عن سيرة آل بيت النبوة (على خطى الحسين) (الشيعة والثورة ١،٢) (الجمل) (على بن أبى طالب وأخلاقيات السياسة) (التحكيم) (الزهراء سيدة نساء العالمين) فضلا عن هذه السطور داخلا من أدنى شك فى محاولة تقديم صورة واضحة للطريقة التى قدم من خلالها أهل البيت عليهم السلام نموذجا واضحا لهذا التصور الثورى للإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من أسس لثقافة العنف؟؟

«إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية وركن من أركان اليقين فلا بد من تحصيله».

الشيخ محمد عبده رحمه الله.

لم تشهد مصر والحمد لله أحداثا مشابهة فى ضخامتها لما حدث فى بلدان إسلامية أخرى كالجزائر وأفغانستان بالرغم من أن التأسيس المعاصر لفكر وأطروحة الجماعات الدينية بدأ فى مصر على يد مؤسس جماعة الأخوان المسلمين.

كان السادات الراحل يؤكد فى خطاباته التى يهاجم فيها الجماعة وخاصة فى آخر سنى حكمه على أن كل هذه الجماعات قد خرجت من عباءة جماعة الأخوان، وكانوا هم يردون بأن لا علاقة لفكر الأخوان (المعتدل) بالفكر المتطرف لهذه الجماعات. ومما أكسب دفاعهم شيئا من المصداقية أن تلك الجماعات كانت هى الأخرى تهاجم الأخوان باعتبارهم مجموعة من المتسيبين (الذين تمتلئ منازلهم بالتلفزيونات) والمتعاونين مع السلطة الطاغوتية وهم يبرءون إلى الله من كل من لا يكفر بالطاغوت؟؟!!.

أما تعاون الإخوان مع السلطة فكان أمرا حقيقيا كشف عن تفاصيله لا عن وجوده رجل الأخوان والسادات محمود جامع في كتابه (عرفت السادات) ولا شك أن عودتهم (الظافرة) إلى ساحة السياسة في سبعينات القرن الماضي ومعهم بنوكهم وأموالهم(؟؟) كانت جزءا من صفقة سياسية جمعت هؤلاء المتخاصمين سابقا (السادات والأخوان- فهو من حاكمهم عسكريا عام ١٩٥٤) من أجل تحقيق هدف مشترك هو محاربة بقايا ومخلفات الحقبة الناصرية، ناهيك عن أن السادات جاء إلى الحكم بعد سنوات قليلة من التطور الأخطر في تاريخ الأخوان الذى تمثل في ظهور سيد قطب وأفكاره التي تعتبر الدنيا كل الدنيا جاهلية معاصرة وقام باستخدامهم في خدمة نظامه أي أنه نجح في إقناعهم بالتخلي عمليا عن تلك الأفكار المتطرفة.... إنها صفقة متبادلة بيع وشراء، وهذا ما رفض الناصريون المتطرفون أو عجزوا عن إدراكه، أي أن السادات نجح عن طريق السياسة والدهاء في تحقيق ما عجز عنه عبد الناصر بالقوة والسلاح، ناهيك عن أنه قد خرج من تلك المعركة مثخنا بالجراح الأدبية والمعنوية فهو قد أثبت بسلوكه الفظ مع سيد قطب والجماعة كل الاتهامات التي ألقيت عليه من معاداة للإسلام والجاهلية القديمة والمعاصرة وهو ما نجح ذلك الداهية (أنور السادات) في تجنبه ولكن تسامحه مع خصومه السياسيين أغراهم في النهاية بمهاجمته بضراوة حتى أسقطوه بالرغم من أنه لا يختلف مع الناصريين ولا حتى الأخوانيين اختلافا جذريا.

أما أنهم شيء مختلف عن باقي الجماعات فهذه نكتة ممجوجة لا نصدقها فعن أي اختلاف يتحدثون؟؟

هل يتحدثون عن الاختلاف في البنية التنظيمية؟؟

من المؤكد أن هذا تنظيم وهذا تنظيم مختلف ولكل تنظيم مرشد أو أمير.

ولكن الثابت أن كل هذه التنظيمات قد خرجت من عباءة تاريخية فكرية واحدة تعتمد قراءة متقاربة للتاريخ الإسلامي وهي قراءة بلا قراءة....

قراءة خاصمت القراءة ولم تعتمد أي قراءة في العمق للتاريخ الإسلامي الذى تحول في وجدان هذه الأمة على يد القصاص والحشوية إلى (ما يشبه السيرة الهلالية المليئة بالبطولات والمفاخر والتي لم يكن فيها أي نوع من المساخر ولا قتل الحسين ولا ديست مدينة رسول الله ص بالأقدام على يد جيش يزيد ولا انتهكت حرمتها ولا هدمت الكعبة، حتى أفاق المسلمون ذات

صباح على سقوط الخلافة العثمانية على يد العلمانيين الأتاتوركيين لعنة الله عليهم. ومن يومها والعالم الإسلامى يعيش تحت الاحتلال العلمانى والعالم الغربى يتلاعب بحكامنا كأحجار على رقعة الشطرنج وهم لا يستحقون أى وصف حميد فهم لا يحكمون بما أنزل الله وينبغى قتالهم باستثناء النظام الملكى الوراثى السعودى الوهابى فهو وحده الذى يحكم بما أنزل الله...

هكذا شهد له الشيخ عبد العزيز بن باز الورع التقى أعلم أهل الأرض!! الذى أفتى من ضمن مأأفتى هو ومجموعة العلماء الوهابيين المستنيرين!! بأن الأرض ليست كروية بل منبسطة وأن الشمس تدور حول الأرض وليس العكس وأن ما ورد فى كتب العلوم هى مجرد أقاويل لا ترد صريح القرآن وأن محمد أنور السادات كافر حلال الدم أما المجتمعات فهى تعيش فى حالة جاهلية أو ردة أو ترك لا يهم تعددت الأسباب والكفر واحد).

هذا هو تحليلهم السياسى وهو نفس التحليل السياسى لكل تلك الجماعات المسماة بالإسلامية، ذلك التحليل الذى يرى أن الصراع الداخلى الدائر الآن هو صراع بين العلمانية وعملائها من الحكام المتغربين، وأن هذه العلمانية إنما هى ظاهرة حديثة إلى حد ما ناتجة عن محاولات الغزو الصليبى المستمر لبلدان العالم الإسلامى التى انتهت باحتلال بلدان هذا العالم لعدة قرون، وقبل أن يرحل هؤلاء المحتلون تركوا لنا هذه الكوكبة من الحكام الذين تربوا فى المدارس التبشيرية ولذا وجب قتالهم!!

إنها رؤية لا تخلو من وجاهة شكلية....

رؤية مبنية على حقيقة تزامن الحالة التغريبية مع مجيء الاحتلال الأجنبى ثم رحيله عن بلداننا وعلى حرص هؤلاء المحتلين فى كل البلدان التى دخلوها على إيجاد مجموعة من المتعاونين معهم ولكن الواقع يقول أن التزامن لا يعنى بالضرورة ارتباطا سببيا ويبقى أن السبب الأساس وراء وقوع العالم الإسلامى فى قبضة الاحتلال ثم التغريب هو تخلفه وانحطاطه فى كل المجالات وأولها وأهمها من دون أدنى شك المجال الدينى أى أن التغريب نتيجة أكثر من كونه سببا للحالة الراهنة.

هل كان التغريب هو السبب وراء الحالة الاستبدادية التى لم تخرج الأمة عن قيودها منذ الدولة الأموية؟؟.

هراء.. فالعرب والمسلمون لم يفلحوا على الإطلاق فى تسلم الرسالة الدينية الحقيقية التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، ولا العمل

بمقتضى ما فيها من قيم سامية تحترم الحرية وحقوق الإنسان والطهارة الاجتماعية، وانتهكت كل هذه القيم في حمى الهجمة الأموية البشعة على خط أهل البيت سواء في الحملة الأولى على علي بن أبي طالب ثم في الحملات التي تلتها على الحسن بن علي ثم في تلك الجريمة الكونية التي ارتكبت في حق الإمام الحسين والتي يمتنع أولئك السادة من إسلاميي آخر الزمان عن ذكرها أو إدانتها باعتبارها من مخلفات الماضي،أما هم فهم الحاضر الزاهر والغد المشرق!! والله يشهد أنهم لكاذبون وقد عاشرناهم وعرفناهم وعملنا معهم وقدمنا لهم أعظم الخدمات فلم نجد فيهم إلا استمرارا للنهج الأموي مع بعض التعديلات الشكلية (لزوم الشغل والضحك على الذقون) كسلفهم (العظيم عمرو بن العاص) صاحب مأساة التحكيم وهم على إثره سائرون.

هذه هي القراءة المشتركة لتلك لجماعات فمن الذي زرع هذا الفكر بخطئه وصوابه في ساحتنا الإسلامية؟؟.

القاعدة تقول أن السابق حجة على اللاحق وأن جماعة الأخوان هي التي افتتحت هذا المشروع في بدايات القرن الماضي، وهي من دون أدنى شك صاحبة قصب السبق في إشعال المواجهة بين الحكومة المصرية وبقية الجماعات، وهي أيضا صاحبة المفردات والتعريفات المستخدمة في توصيف الواقع من بقية الجماعات الأبناء باعتبارها هي الجماعة الأم، وهو تعبير "لطيف ظريف" من اختراع الأخوة لم يجر تعديله ولا الاعتراض عليه من أحد باعتبار أن كل ما ينطقون به هو من قطوف الحكم، مع أن استخدام هذا المصطلح بالذات مما لا يجوز السكوت على استخدامه ولا تداوله بين الناس فهناك جماعة واحدة ينضوي تحت لوائها كل مسلمي العالم هي الأمة الإسلامية الواحدة التي لا يجوز استخدام اسمها بواسطة غيرها ولا بواسطة أي جزء من أجزائها للدلالة على مجموعها وإلا اعتبر ذلك نوعا خطيرا من أخطر أنواع النصب والاحتيال التاريخي.

كما أننا سنثبت أن تنظيمات الجهاد بدءا من تنظيم الفنية العسكرية هي جزء لا يتجزأ من الجماعة الأم وليست مجرد امتداد فكري بحال من الأحوال.

هذه الجماعات وهؤلاء الرموز:

امتلأ الهواء بأولئك المنتفخين ورموزهم التاريخية القديمة والمعاصرة وهى رموز أصبحت مقدسة لا ينبغى المس بها لا بالنقد ولا بالتجريح، فهؤلاء المقدسين قدموا خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وضحوا بأرواحهم فى سبيل الله (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)..

أما نحن فنضع فى مقابل هذا الاستدلال استدلالا آخر لا يقل وجاهة عنه (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فعندما قررنا أن نقرأ تراث حسن البنا ذلك **(الأسطورة العجيبة مخلوق النور الإمام الشهيد القبضة الحديدية الذى تعنو له الجباه والجبال فلا تسمع إلا همسا)** لم نجد شيئا من ذلك الوهم والخيال الذى نسجه حوله المبهورون والمنتفعون بتلك الظاهرة.

ما هى معارفه؟؟ ما هى مؤلفاته وإنتاجه العلمى الذى منحه لقب الإمام؟؟ لم نجد شيئا سوى مجموعة من الخطب الطنانة الرنانة وظروف سياسة فى بلد تحت الاحتلال أتاحت له إنشاء تنظيم توسع وامتد لأسباب لا يعلمها إلا الله وساسة وأجهزة مخابرات ذلك الزمان، ثم نجح ذلك التنظيم فى ضم أعداد من المتعلمين أو أشباههم الجاهلين بحقائق الدين المغيب فصدقوا تلك الأكذوبة أكذوبة الجماعة والسمع والطاعة لإمام الجماعة المزيف، الذى تحول آخر سنى عمره إلى أداة يتلاعب بها قادة عصابة آل كابونى العسكرية التى أنشأها، وهو بعد هذا كله شاهد زور ومتلاعب بالشريعة الإسلامية يستطيع أن يحول جريمة قتل عمد مع سبق الإصرار والترصد إلى قتل خطأ ويدفع فى مقابلها دية وهمية، لا لشئ إلا لأنه لا يستطيع ولا يقدر أن يحاسب تلميذه القاتل، ثم هو فى نظر تلاميذه من البسطاء قادة المجتمع الآن إمام شهيد ومجدد هذا القرن.

أى خزى وعار هذا؟؟.

أما الأسطورة الأكذوبة الأخرى فهى (سيدنا قطب) **منشئ دين التوحيد الجديد!!** الذى لم نجد فيه سوى مكفراتى يجيد النفخ فى الكلمات ومطها وعجنها ودكها وتقديمها فى قالب مثير يحتفى به عالم جاهل ومتخلف ومتمرد على أوضاعه فى نفس الوقت فلا عجب أن تنتشر وسط هذا المجتمع أفكار فاسدة وأكثر تخلفا.

أما ما يقولونه من أن سيد قطب لم يكن يمثل ما يسمونه (بخط الجماعة) فكنت أتمنى من هؤلاء المغالطين أن يدلونا أولا على هذا الخط وهل هو على طريق القاهرة بورسعيد أم القاهرة الإسكندرية؟؟ كفى ضحكا على الذقون. فهذه الجماعة لم يكن لها يوما ما لا خط ولا نهج، فالإمام أنشأ الجماعة وحصل على رتبة الإمامة ثم لحق به منظرو الجماعة (الغزالى وسيد سابق وأخيرا القرضاوي) يعنى أن الجماعة نشأت قبل الخط وكل ما طرحه المؤسس لا يزيد عن كونه (أطروحة فى التكوين والتنظيم) وبعض المقولات المتواضعة فى نقد واقع المسلمين أغلب الظن أنه قد (اقتبسها) من بقايا المشروع الوهابى نظرا للتشابه اللفظى الشديد بين ما قاله الاثنان (انظر محاولة استمساخ الأمة).

هذه واحدة والثانية أن ما قاله سيد قطب لا يخرج عما قاله حسن البنا بل يتطابق معه فى رؤيته للمجتمع (الكافر والجاهلى والمرتد).

صحيح أن حسن البنا لم يدع إلى ذلك صراحة ولكنه اعتبر أن أتباعه هم أصحاب محمد وحملة القرآن ورافعو لواء الدين فى ربوع العالمين والعقل الجديد الذى يميز بين الحق والباطل!!.

وإذا كان حسن البنا و(ثلته) هم هؤلاء فلا شك أن من عداهم هم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان (قبل أن يصبح سيدنا أبى سفيان طبعا!).

إذن فالجوهر الفكرى التكفيرى واحد لا اثنان ومحاولة الجماعة الرد على أتباع سيد قطب وليس سيد قطب نفسه من خلال كتاب (دعاة لا قضاة) هو ردة فعل وليس تأصيل لفكر.

وعلى كل حال فحتى هذا الكتاب لم يخرجهم من الورطة إلا إلى ورطة أخرى أشد فعنوانه تكفيرى تكفيرى تكفيرى فما هو معنى دعاة؟؟.

وهل تدعو الجماعة المسلمين إلى الإسلام أم تدعو الكافرين؟؟.

الأخوان المسلمين وتحالفاتهم:

ألقت السلطات المصرية أخيرا القبض على المدعو (السويركي) وهو واحد من المنتمين إلى تلك التيارات الفكرية بتهمة تعدد الزيجات والرجل قد أصابه الثراء الفاحش لأسباب لا يعلمها إلا الله فكانت نهمته في النساء أو (التحالفات الجنسية الشرعية) والأمر لا يعنينا وربما كان الرجل مظلوما!!.

ثم قرأنا فى تلك الأثناء نداء من الأعماق من أحد الصحفيين الأخوان للتحالف بينهم وبين الناصريين وسرد الرجل الضرورات والمبررات التى تحتم ذلك التحالف وتجعل منه حتمية تاريخية مثلما كان صدام التيارين قبل قرابة النصف قرن هو حتمية تاريخية أيضا.

فقلت سبحان الله وجدته، وجدته!!.

هذا هو (السويركى السياسي) والآخر هو السويركى النسائي.

إنه زواج المسيار السياسى الذى أباحه منظر الأخوان (الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي) فكلاهما يقول لمحبوبته أو لحليفه المؤقت والمرتقب (أنتِ الأولى والأخيرة) حتى ولو كان رقمها فى لائحة الزوجات ٥٠ أو ٦٠ لا يهم المهم القدرة على الإقناع.

فليتحالفوا!!

أذكر ذات يوم فى ثمانينات القرن الماضى على عتبة الانتخابات أن تحدث مسئول الأخوان المحلى فى المنصورة فى اجتماع جماهيرى حاشد وذكر حوارا دار بينه وبين أحد ضباط الأمن السياسى فقال (أنا قلت له يا أحمد بك أنتم بهذا تجبروننا على التحالف مع الوفد على ما بيننا وبينه من خصومات قديمة، قال لم؟؟ قلت له تعلم أننا لا يمكن أن نتحالف إطلاقا مع الشيوعيين في حزب التجمع ولا الناصريين فى حزب العمل "**المرحوم حزب العمل الزوجة السابقة للسويركى السياسي**" قال بكل تأكيد... قلت إذن لم يبق أمامنا إلا حزب الوفد وهو الحزب الوحيد الذى يمكننا أن نتحالف معه) ومضت الأيام وتحالفوا مع الوفد ثم خلعوه مع أول انعطافة "أول من طبق قانون الخلع السياسي" ثم تحالفوا مع حزب العمل وقتلوه وهاهم الآن يخطبون ود الحزب الناصرى ولا أدرى هل يكتفون بخلعه أم قتله أم ماذا؟؟.

أما عن تحالفاتهم قبل الثورة وما بعدها فهى تكشف بوضوح شديد عن انتهازية سياسية وأخلاقية من طراز فريد فهم قد تحالفوا مع النقراشي ثم

قتلوه وهم قد تعاونوا مع الملك فاروق ثم انقلبوا عليه وهم تحالفوا مع الضباط الأحرار ثم حاولوا قتل عبد الناصر ثم كان تحالفهم الشهير مع السادات ثم تمردوا عليه وقتلوه وفى رواية باركوا قتله.

نقول للبسطاء الذين يرون العيب فى المتحالف معهم أنه إذا كان هذا حقيقيا فكان ينبغى على الأخوان أن يتوقفوا عن التحالف مع أولئك (الأوغاد) الذين لا يوفون بعقودهم بعد أول أو ثانى تحالف على أكثر تقدير أما أن تتكرر تلك التحالفات والخيانات المتبادلة فهذا يقطع بأن ذلك الصنف من السلوك هو هواية ومتعة ومنهج أصيل!!.

إنه مسيار ومسار سياسي.

الجماعة تطالب بالمشروعية:

أما ثالثة الأثافى فهى مطالبة (الجماعة) بالحصول على ما يسمونه (بشرعية الجماعة) وهى أيضا واحدة من قطوف الحكم الإخوانية.

نحن بكل تأكيد ممن لا يفرحون لمصائب الآخرين ولا لما يحل بهم من ويلات، ولو أن هؤلاء الحكماء العظماء قد تأملوا فى مطلبهم هذا وأخذوا فى الحسبان أنهم يطالبون بترخيص لا يقتصر على مجرد إثبات وجودهم السياسى الاجتماعى ولكنه يلغى وجود الأمة الإسلامية كلها ويكرس وجود أمم متنازعة باعتبار أنهم جماعة أى مشروع أمة المستقبل، ونحن والحمد لله متمسكون بانتمائنا للأمة الإسلامية الأصلية لا نبغى عنها حولا، ناهيك عن أن هذا الشباب الصلف المغرور فاته أن هناك (جماعات) أخرى تنازعهم هذا الحق وكلهم يدعى وصلا ليلى ولليلى لا تقر لهم بذاك.

فهل ينبغى على النظام الحاكم فى مصر أن يصدر قانون تمزيق ما تبقى من أمة ممزقة بعنوان (قانون حرية إنشاء الجماعات الدينية) وهى إشكالية تخص كل أمة لا إله إلا الله من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب؟؟.

هل يتعين على أحد من عقلاء الأمة أن يفعل هذا لمجرد تسهيل مهمة هؤلاء فى الاستيلاء على النقابات وأموالها؟؟.

أعتقد أنه لا ضرورة لأن يلح الأخوان على مطلبهم هذا فأمورهم المالية على ما يرام والدعم يأتى من البهاما ومن غيرها والحمد لله فالكثيرون منهم

(من أخوان سنبل) قد بدأوا رحلة المليون مع استيلائهم على النقابات وأمورهم المالية والحمد لله جيدة ومستقرة ونرجوهم ونلح عليهم لوجه الله أن يرفعوا أيديهم عن وجود الأمة وكفانا ما فعلوه بنا وبمصر ومن لا يصدقنا فليقرأ السطور التالية.

من أسس لثقافة العنف؟!

قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) آل عمران.

(و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض). البقرة.

(و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز)الحج.

نفتتح بتلك الآيات القرآنية حتى لا يتوهم أحد أننا نسعى لنزع سلاح العالم الإسلامى وتحويله إلى منطقة منزوعة السلاح كما يحلم الصهاينة وكما يتمنى أعداء الأمة الإسلامية.

الواجب العقلى والشرعى والأخلاقى يحتم على المسلمين التسلح بالقوة اللازمة للدفاع عن الذات بكل ما تعنى هذه الكلمة من معان ثقافية وأخلاقية وفكرية واقتصادية وسياسية وجغرافية.

تلك القوة وحدها هى التى تحمى هذا الوجود لا معاهدات السلام ولا القوانين الدولية فإن العنف باب الأبجدية فى زمان عهره دول على حد قول الشاعر.

ومنا هنا يأتى تحليلنا لظاهرة العنف داخل المجتمع الإسلامى باعتبارها خصما من رصيد القوة الحقيقية للأمة لا إضافة لها تلك الظاهرة الكارثة التى أسهمت من دون شك فى إضعاف مجتمعاتنا فضلا عن تشويه صورة عالمنا الإسلامى فى أعين العالم المتحضر الذى ينبغى علينا أن نتوجه إليه بخطاب يعبر عن عظمة الإسلام وتسامحه بدلا من أن نسعى إلى فقدان مواقعنا الموقع تلك الآخر.

ثم جاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ (تدمير برجي مركز التجارة العالمي) لتؤكد هذا المعنى الذى أوردناه فى هذه السطور ويتسابق الكتاب والمفكرون والمثقفون لإدانة ما يسمونه بالعنف والإرهاب بصورة عشوائية لفظية لا تنفذ إلى حقائق الأشياء ولا تحاول حتى التعرف على الأسباب الفكرية والفقهية الكامنة وراء تلك الظواهر ومن بينها من دون أدنى شك غياب الديمقراطية السياسية والحرية الفكرية وإدعاء كل طرف من هذه الأطراف المتواجدة على الساحة أنه من دون غيره صاحب الحقيقة المطلقة ومالكها الأوحد وصاحب العلامة التجارية المميزة.

فمن الذى أسس لثقافة العنف داخل المجتمعات الإسلامية؟؟

وما هو دور القوة الحربية فى حسم الصراعات السياسية الداخلية؟؟

ومن هم المؤسسون القدامى ومن قام بإعادة التأسيس؟؟

ولن يكون همنا هو مطاردة أسماء بعينها وإنما سيأتى ذكر الأسماء كجزء من السرد العام للوقائع ولذا نعتذر مقدما لمن سنأتى بأسمائهم فالهدف سيكون التأصيل ليس إلا.

السؤال الأول: هل يجوز أن يقتل المسلم أخاه المسلم؟؟

الإجابة عندى وأنا الذى أرفض ثقافة العنف والسحل هى نعم يجوز للمسلم أن يقتل أخاه المسلم تحت ظروف معينة.

أما عند إخواننا الذين يتبنون ثقافة العنف فلا!!!.

الفارق بينى وبينهم أنهم يحكمون بكفر من أرادوا قتله أولا ثم يقومون بمهمتهم (بأعصاب هادئة وضمير مستريح) لأنهم لم يقتلوا مسلما!!

هكذا فعلوا قديما مع من أسموهم بالطائفة الممتنعة وهكذا فعل الخوارج مع خصومهم وهكذا فعل قادة ذلك التيار فى القرن العشرين الذين أعادوا تأسيس ثقافة العنف والهمجية واصفين إياها بمشروع الجهاد الإسلامى ومحاولة إعادة بناء الدولة الإسلامية.

أما نحن فنقول أنه يجوز قتل المسلم تحت الظروف الآتية:

١- القصاص الشرعى (و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) سورة المائدة. (و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا) الإسراء

٢- الزانى المحصن المقر بفعلته إقرارا شرعيا من دون إكراه.

٣- اللوطى إذا قامت عليه البينة.

٤- الخارج على الدولة الإسلامية الديمقراطية الذى يحمل السلاح بهدف القتل وترويع الأمن.

٥- حالات الدفاع الشرعى عن النفس.

وفى كل هذه الحالات يبقى المجرم من (حيث الظاهر) على حاله إن كان مسلما أو غير مسلم وهو يقتل بجريمته لا بسبب عقيدته.

ولاشك أن الحالات السابقة هى من الأمور المتفق عليها من الناحية الشرعية بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

فكيف استباح البعض تكفير غيره من المسلمين تمهيدا لقتله وسفك دمه.

أمامنا عدة وقائع تاريخية كان لها أسوأ الأثر فى مسار الأمة الإسلامية والتأصيل لهذا النوع من الإجرام المتسربل باسم الدين وقال الله وقال الرسول والله ورسوله بريئان ممن (قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) المائدة.

لم ولن نستخدم لهجة الخطاب الرسمى الحكومى الذى يستخدم المفردات الأمريكية فى تحليل الواقع، ولكن هذا الموقف السلبى من الخطاب الرسمى لن يأخذنا إلى ذلك الموقع الكهنوتى الذى تصطف فيه تلك الرموز البائسة التى أفرزتها مرحلة أكثر بؤسا وشقاء، أولئك الذين جعلوا همهم الوحيد تسويق تلك البضاعة الفاسدة وإعطائها مكسبات طعم ورائحة من الشرق والغرب والهند والسند ثم طرح كل ذلك الرغام باعتباره المشروع الإسلامى المعاصر الذى كاد أن ينجح فى الوصول إلى ذرى السماء (لولا بعض الأخطاء هنا والتجاوزات هناك ومنه لله عبد الرحمن السندي!!.. لا منه لله عبد الناصر) المهم لديهم أن تضيع الحقيقة بين كهنة المعبد الذين يتقاذفون التهم تارة والثناء تارة أخرى، ليبقى رموز هذه الفترة البائسة الذين أسهموا

كلهم وبلا استثناء فى صنع الكارثة قادة إسلاميين مجتهدين وسيدخلون الجنة من غير حساب **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) الجاثية٢٣** والأسوأ من هذا كله أن هذه الفلول المهزومة التى كان عليها أن تحافظ على ما تبقى من ماء وجهها ــ لو كان فيه يوما ماء ــ تزعم أنها تريد أن تجمع الأمة على ذلك المشروع مشروع الهزيمة بقيادة هؤلاء المهزومين وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال (إذا لم تستحى فاصنع ما شئت) وفى يقينى أن هؤلاء السادة ومن تبقى منهم مكانهم الوحيد والأكثر ملاءمة هنالك فى متحف مخلفات أم المعارك الشهير.

الواقعة الأولى:

هى قتال ما سمى بالطائفة الممتنعة أو مانعى الزكاة فقد أعلن الخليفة الأول الحرب على من أسماهم بمانعى الزكاة أو المرتدين فهل كان كل هؤلاء حقا من مانعى الزكاة ومن ثم أصبحوا من المرتدين؟؟

الثابت أن هؤلاء الناس لم يكونوا من المرتدين بل كانوا متريثين فى إخراج زكاة أموالهم إلى الخليفة الجديد وهذا ما أثبتته البحوث التاريخية حيث يقول الدكتور (إحسان صدقى العمد) فى بحثه (حركة مسيلمة الحنفى) الحولية الثانية الرسالة الثامنة والخمسون كلية الآداب جامعة الكويت ١٩٨٩ (و ربما كان الشيخ على عبد الرازق من أوائل الباحثين الذى حاولوا التفريق بين من رفض بيعة أبى بكر ودفع الزكاة إلى عماله وبين من ارتد عن الإسلام وبين من ادعى النبوة منهم ويدخل مسيلمة الحنفى فى الفئة الأخيرة من هؤلاء إذ يقول (الشيخ على عبد الرازق) وقد نرى فى مشاهداتنا أن دعوى النبوة ليست بعيدة من المضلل الغوى إذا هو لقى انجذابا من العامة وأغوى منهم صحابا وأحبابا ولا شيء أسهل عند العامة من الإيمان بنبوة هذا الغوى إذا هو عرف كيف يغويهم بالضلال ويمدهم فى الغي) وقد عرف مسيلمة بالفعل كيف يغوى بنى حنيفة ويضلهم أما "جواد علي" والكلام ما زال "لإحسان صدقى العمد" فيرى أن جملة الأخبار المتعلقة بمسيلمة لا تفيد أنه اعتنق الإسلام أصلا وبالتالى لا يصح وصفه بالمرتد) ص ٧٦.

إذن فوصف الردة ينطبق على الأسود العنسى وعلى مسيلمة الكذاب وعلى سجاح هذا إذا سلمنا بفرضية إسلامهم منذ البدء والدليل على ذلك هو قصة عيينة

بن حصن الفزارى الذى أتى به أسيرا مجموعة يداه بحبل ينخسه غلمان المدينة بجريدة يقولون أى عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت بالله قط فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٦٠.

فما هى قصة مانعى الزكاة ؟؟ ننقل عن ابن جرير الطبرى حكايتهم قال:

و كان مما أوصى به أبو بكر قائد جيشه (خالد بن الوليد) إذا نزلتم منزلا فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه!! (التعجب من عندنا) وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة فجاءته الخيل بمالك بن نويرة وآخرين فاختلفت السرية فيهم فشهد أبو قتادة أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا ثم أمر بهم فقتلوا فغضب لذلك أبو قتادة غضبا شديدا وعاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حربا أبدا ثم (تزوج؟!) امرأة مالك بن نويرة أم تميم ابنة المنهال (فى نفس الليلة) ثم قطعت رأس مالك وأثفوا برأسه القدر مع رؤوس الآخرين (أى وضعت بدلا من الأحجار التى توضع تحت قدر الطعام أثناء الطبخ) فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة الشعر !!! والعلامة من عندنا ويبدو أن عمر بن الخطاب رأى فى هذه الجريمة (نوعا من التجاوز) فلما دخل خالد إلى المسجد فى حالة من الخيلاء وقد غرز فى عمامته أسهما وثب إليه ثائرا فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال له قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك ثم دخل على أبى بكر فاعتذر إليه فعذره وأمر بدفع الدية إلى أهل مالك ورد سبيهم ولما ألح عليه عمر أن يعزله قائلا إن فى سيفه رهقا فقال لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفا سله الله على الكافرين) [و يبدو أن هذا هو سر تسميته بسيف الله المسلول]. تاريخ الطبرى ج٣ ص ٢٧٦-٢٨٠.

نحن أمام واقعة بالغة البشاعة أسست لفقه التكفير والاستحلال والقتل وإحراق المعارضين بالنار لأن القوم يعتبرون الخليفة الأول مصدرا مستقلا من مصادر التشريع مثل الكتاب والسنة تلك الواقعة التى أسست بعد ذلك لقتال ما سمى بالطائفة الممتنعة فمالك بن نويرة قتل وانتهكت حرمته ومثلت بجثته لأنه من وجهة نظر هؤلاء كان ممتنعا عن أداء الزكاة أى كافرا ومن هنا جاء اللاحقون وساروا على نفس الدرب فأفتى لهم شيخ الإسلام ابن تيمية (أى إسلام هذا) بأن [كل **طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام**

الظاهرة والمتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمـــة المســلمين وإن تكلمــت بالشهادتين فإذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن إقامة الصلاة أو الزكاة أو عن صيام رمضان أو حج البيت أو أو وأخذ يعدد الذنوب التى تبيح القتــل والسحل فلم يبق شيئا حتى قال أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين أو الطعن فى السابقين الأولين من المهــاجرين والأنصار] وهذا الكلام معناه أن من تسول له نفسه الاعتراض على الجريمة سالفة الذكر عد من الطائفة الممتنعة وجاز قتله وانتهاك حرمته وإنا لله وإنــا إليه راجعون.

إن تلك الحادثة ثم لائحة الفتاوى الدموية التى صدرت بسببها تكشــف عن واحدة من أخطر الثغرات فى الفكر الإسلامى القديم والمعاصر وعــن نفسية ما سمي بشيخ الإسلام ابن تيمية تلك الشخصية المريضة التى تعشق سفك دماء المسلمين واستعذاب قتلهم بسبب اتهامات واهية لا تقوم على أساس قطعى لا يحتمل الشك أو التأويل.

الواقعة الثانية:

الواقعة الثانية من وقائع العنف الدموى المتسربل بالدين هى واقعة استشهاد الإمام على بن أبى طالب تلك الواقعة التى تكشف بوضوح عن وجود نفوس قد تجردت من بشريتها واستجمعت نزعات الشر فى قلوب ذئبية لم يبق بينها وبين الحيوانية الوحشية إلا الأظافر والأنياب التى استعارتها فى شكل سيوف ورمــاح ومسدسات تطلقها على أهل الفضل والعلم وشموس هداية هذه الأمة ومــن ثــم يصبح ارتكابهم لأى جرم مشابه مع من هو أقل شأنا من على بن أبى طالب أمر سهل وهين وميسور وكلنا أقل منه شأنا وعلما وفضلا.

لقد حدثت على مدار التاريخ عشرات من جرائم الاغتيال السياسى بعضها يمكن تبريره وتسويقه، أما أن يقتل إمام الأمة بطل بدر وأحد وخيبــر وهــازم الأحزاب بيد كلب عقور يصيح إن الحكم إلا لله فهــذا مــالا يمكــن فهمــه ولا استيعابه بسهولة. ومن هنا لابد من طرح ذلك السؤال الهام والملــح والمتجــدد حول الحد الفاصل بين الجهاد المشروع فى سبيل الله وبين الرغبة فى التشــفى من المعارضين فى الرأى أو المخالفين فى النهج والرؤية، وكلها جرائم يمكــن استخدام الشعار الدينى فى تبريرها وتسويقها وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن هنا أيضا تأتى أهمية استعراض ذلك النموذج : نمـوذج استشـهاد الأمام على عليه السلام بالرغم من أنى أرى "أحفاد ابن ملجم" وقـد ارتـدوا ثياب العلم والاستنارة وقد نسوا أو تناسوا جريمة الأجداد وهم يقولون "أتشبهنا بمن قتل على بن أبى طالب فنحن لـم نقتـل إلا (المحـاربين للـدين مـن العلمانيين) أقول لهم أنا لا أشبهكم بل أنبهكم إلى أن النفوس التى اسـتطاعت أن تبرر اغتيال أول من أسلم ومن قام الإسلام بسيفه وجهاده لن يستعصـى عليها أن تستخدم نفس السلاح ضد من هو أقل شأنا من على بن أبى طالـب طالما وجدت أدوات التبرير والهدف السياسى السلطوى الذى يعطى لـذلك التبرير النكهة الإيمانية الاستشهادية بالإضافة إلى وقود الحماسة المطلوب.

كيف قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام؟؟

تكلمنا طويلا فى كتابنا (محاولة استمساخ الأمة الإسلامية) عـن نشـأة الخوارج وتحركهم ورفعهم شعار (إن الحكـم إلا لله) فـى مواجهـة أميـر المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ومحاولته إفهامهم حقـائق الـدين ومحاورتهم من دون نتيجة تذكر، فهم مجموعة من السفهاء العاجزين عـن الفهم والإدراك ثم تطور الأمر إلى إفسادهم فى الأرض واسـتباحتهم دمـاء وأموال المسلمين، فكان أن تصدى لهم الإمام وقضى عليهم عسـكريا فـى معركة النهروان وانتهت المعركة بالقضاء على تحركهم. ولكن بقيت بعـض فلولهم تعيث فى الأرض فسادا وتطرح شعار إن الحكم إلا لله وتبذر بـذور السخط والانتقاد العشوائى لما يدركون وما لا يدركون فهم وحدهم الذين آتاهم الله فهما وعلما وإدراكا وغيرة على مصالح المسلمين.

تعاهدت تلك الفلول على قتل الإمام على عليه السلام، وذهب اللعين ابن ملجم إلى الكوفة وفى طريقه مر على قطام بنت الشجينة التيمية، وهى امرأة على نهج الخوارج من الكوفة قتل أبوها وأخوها يوم النهروان وكانت مـن ربات الحسن والجمال والدهاء والسياسة. رآها عبد الرحمن بن ملجم فالتبست بعقله وهام بها حبا فخطبها فطلبت منه قتل أمير المؤمنين عليه السلام وقالت (لا والله لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وقتل على فأعطاها ذلك وبنى بها).
ومكث اللعين فى الكوفة شهرا يسم سيفه ويستعد لتوجيه الضربة الغادرة لأمة لا إله إلا الله جمعاء، فلما خرج الإمام على عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الفجر استقبله ابن ملجم ومعه سيف صغير وهو يتلو (و من الناس من يشرى

نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) البقرة ٢٠٧ فظن الإمام أنه يستفتحه بالقرآن فقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان) البقرة٢٠٨ فضربه اللعين على رأسه فاجتمع عليه المسلمون وأخذوه، فقال الإمام على ما فعل بى ضاربى قالوا قد أخذناه قال : أطعموه من طعامى واسقوه من شرابى فإن أنا عشت رأيت فيه رأيى وإن أنا مت فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها.

مضى الإمام إلى ربه على الصورة التى وعده الله بها وبقيت فلول الخوارج كالطاعون ورأس الأفعى تجدد صورها وظهورها بين الحين والآخر فهذا اللعين لم يعدم من يقول فيه مدائح الشعر مثل عمران بن حطان الذى أنشأ يقول:

إنى لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا.

و الطريف أن شاعر الشيطان هذا قد وثقه البخارى وروى عنه فى (صحيحه) قال ابن حجر وقد أخرج البخارى وأبو داوود لعمران بن حطان).

المصدر: مقتل الإمام على للحافظ أبى بكر بن أبى الدنيا.

إذن فنحن أمام وجوه متعددة لشيطان واحد يرتدى مسوح الرهبان والقديسين قاتل وشاعر وامرأة ذات دهاء وجمال وكياسة وطابور خامس يرى أحقاده تجاه الصالحين تتحقق من خلال هؤلاء الأدعياء، والأهم من ذلك كله أن هؤلاء كانوا ولا زالوا يشكلون حالة إنهم (الأخسرين أعمالا* الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الكهف١٠٣-١٠٤.

ذلك القاتل المجرم الذى يتقدم لارتكاب واحدة من أبشع الجرائم فى تاريخ الإنسانية وهو يتلو قوله تعالى (و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) أى أنه كان معتقدا بكونه يضحى بنفسه فى سبيل الله.

إن ذلك النوع من الجرائم هو أخطر أنواع الجرائم على الإطلاق، حيث يلتبس أمر ذلك الصنف من المجرمين على العامة بل وعلى غير العامة الذين ربما وجدوا فى ذلك النوع من الأعمال مادة للتنفيس عن رغبة ملحة فى التغيير أو سخطا على أوضاع فاسدة، وفات هؤلاء أن الفساد لا يعالج بالفساد وأن الأمم الحية والواعية لا ينبغى لها أن تنتظر الخير إلا من أهل الخير وأن أمة تنتظر

الإصلاح على يد قطام وابن ملجم وابن حطان لهى أمة هابطة إلى الجحيم وإلى أسفل سافلين والتاريخ القديم والمعاصر خير شاهد على ما نقول.

المهم أن هذه الواقعة كشفت أيضا عن حقيقة تلك النفوس المريضة التي كرهت وما زالت تكره إمام الحق علي بن أبي طالب الذي وقف وقفة صارمة في وجه الفساد الأموي ثم في وجه التطرف والعشوائية والفوضوية الخوارجية التي تريد أن تجعل من كل من هب ودب إماما للتغيير طالما وجد عددا من المداحين والأتباع والناعقين والمزورين فوجد كل هؤلاء في قتلة الإمام علي شفاء لما في الصدور ولكن هيهات هيهات وما يزيد الظالمين إلا خسارا.

من أسس لثقافة العنف في القرن العشرين؟؟.

نسي الناس أو تناسوا تلك الدروس التي نقلناها أو قل لم يستفيدوا منها أصلا، فقد وصلت إلينا الثقافة الإسلامية في صورة مقررات ومسلمات على طريقة كتاب الوزارة، ولم يدر بخلد أحد أن بعض تلك الوقائع الكارثية مثل ما سمي بحروب الردة يمكن الاستفادة منها بتلك الطريقة البشعة التي فعلها إخواننا الدمويون المجددون، وفات أطباء الأمة المحدثون أن الأمراض القديمة الكامنة كداء السل يمكن لها أن تعود للانتشار والانفجار مثلما فعل السرطان الخوارجي في عصرنا الراهن.

والطريف أن واحدا من أولئك **(الفقهاء الفضائيين)** من منظري تلك الجماعات كتب يدعي أن الخوارج قد انقرضوا وإذا كان الخوارج قد انقرضوا فمن تكون أنت يا مولانا؟؟ وكأنه أراد أن يرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله ونبوءته التي أخبر فيها بتكرار ظهور ذلك النداء اللعين حتى آخر الزمان حيث صح عنه قوله **(يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة هم شر الخلق والخليقة هم شر الخلق والخليقة)** رواه أحمد في مسنده وأنكره الشيخ الفضائي لأنه يفضحه ويفضح انتماءه الحزبي والتنظيمي الذي أعطاه الدنيا والمال والظهور الإعلامي الفضائي وغير الفضائي ناهيك عن ضرورة استمرار المؤامرة على وجود الأمة من

امتدادات الخوارج الأوائل الذين يحرص أحفادهم على محاربة نهج علي فعلى الأحفاد أن يستمروا فيما بدأه الأجداد.

ومن هنا اجتمع الكارهون لعلي ولنهج علي علي، تقديم هؤلاء في صورة القديسين والفرسان المستنيرين المنوط بهم تحرير فلسطين وإقامة دولة الحق والعدل في القرن العشرين ثم في القرن الحادي والعشرين حيث أعلن زعيمهم أن دولتهم المعاصرة توشك أن تقوم في مصر الكنانة خلال أقل من ٢٥ عام وأنا أقول له أنت تحلم أيها المشهور بدمويتك فوعد الله صادق (كلما نجم منهم قرن قطع كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين) وهذا هو خلاصة تاريخهم وتجربتهم خلال القرن الماضي.

الإمام الشهيد يؤسس لثقافة العنف:

بعد عشر سنوات من تأسيس جماعة الإخوان المسلمين وفي عام ١٣٥٧ هجرية -١٩٣٦ ميلادية تقريبا بدأ أعضاء الجماعة يستشعرون قوتهم وتزايد أعدادهم ويبدو أن هذا كان دافعا لهم للتساؤل عن موعد حسم الصراع واستخدام القوة المسلحة لإقامة دولة الإخوان المسلمين فجاءت كلمات المؤسس **(و يتساءل كثير من الناس هل في عزم الأخوان المسلمين أن يستخدموا القوة والوصول إلى غايتهم وهل يفكر الأخوان في إعداد ثورة عامة على النظام الاجتماعي والسياسي في مصر؟؟)** ثم أجاب في حسم **(أن الأخوان سيستخدمون القوة العملية حين لا يجدي غيرها وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولا وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح).**

(إن الأخوان أعمق فكرا وأبعد نظرا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر وهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح) ص ١٣٦٠١٣٤ مجموعة رسائل حسن البنا.

كان هذا الكلام عام ١٩٣٧ قبل أن تتفجر القضية الفلسطينية وكما سنذكر فيما بعد أن قرار الأخوان دخول المعركة في فلسطين لم يتخذ إلا أوائل عام ١٩٤٨ ومن هنا فلا وجه لإدعاء الأخوان الذي يكررونه هذه الأيام بأن بناء

التنظيم السرى أو الخاص أو الجيش الإسلامى كان بهدف مقاومة اليهود ومنع إقامة إسرائيل.

ونمضى مع مؤسس الأخوان لنتأكد من الهدف الحقيقى والمعلن آنئذ من إعداد القوة وفلسفته فى استخدام السلاح حيث لم تكن الظروف وقتها تحتم عليه استخدام التقية كما تحتم على ذريته (الصالحة) الآن وهو ما يبرز واضحا من حديثه الواثق المطمئن عن أن الأخوان سينذرون أولا ثم ينتظرون ثم يقدمون فى كرامة أى أنه لا مبرر ولا وجه للخوف من ضربة وقائية يمكن أن يوجهها النظام الحاكم فى ذلك الوقت أو بعد ذلك وهذه هى إحدى السمات العقلية والفكرية لجماعة الأخوان (تحسب أن يومها دهرها) أى أن حالة الاسترخاء التى قوبل بها الأخوان لدى نشأتهم ستبقى وستستمر بل وسيزداد النظام الحاكم ضعفا لدرجة أنه سيتلقى الإنذار تلو الإنذار من مجاهدى الأخوان ولن يكون قادرا على توجيه ضربة وقائية وأن يتغذى بهم قبل أن يتعشوا به وأن يجمعهم من بيوتهم مثلما يجمع الدجاج للذبح من العش ويرسلهم إلى العش مشيعين بأفواج المحامين والإعلاميين وهو ما حدث بعد ذلك لهم وكان الإنذار من الحكم ضد الأخوان وليس العكس ثم أقدم عليهم وقام بالتهامهم فى عزة وكرامة من دون أن ينذر أو ينتظر وما زالوا هم ينتظرون تلك اللحظة التاريخية التى وعدهم بها ملهم الأخوان.

نمضى مع المؤسس الملهم وهو يواصل الشرح ووضع الخطوط والخطط والمعالم **(و فى الوقت الذى يكون فيه منكم معشر الأخوان ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالإيمان والعقيدة وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة فى هذا الوقت طالبونى أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد فإنى فاعل إن شاء الله وصدق رسول الله القائل ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة وإنى أقدر لذلك وقتا ليس طويلا بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته)** ص ١٢٨ مجموعة الرسائل.

أما عن الهدف من ذلك التحرك متعدد الجوانب فهو إقامة حكومة (الأخوان المسلمون) فيقول:

(هل فى منهاج الأخوان المسلمين أن يطالبوا بالحكم؟؟

و لا أدع هؤلاء المتسائلين أيضا فى حيرة ولا نبخل عليهم بالجواب (!!) فالأخوان المسلمون يسيرون فى جميع خطواتهم على هدى الإسلام

الحنيف كما فهموه وهذا الإسلام الذى يؤمن به الأخوان يجعل الحكومة ركنا من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد وعلى هذا فالأخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء الأمانة والحكم بمنهج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه وإن لم يجدوا فالحكم من منهجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ اوامر الله) ص ١٣٦-١٣٧ المصدر السابق.

فالرجل كان يعد العدة لاستخلاص الحكم من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله وبالطبع فكل الحكومات من يومها إلى يومنا هذا ينطبق عليها هذا الكلام وهذه الأحكام.

من حق الرجل أن يفكر بالطريقة التى يعتقد صوابها وأن يسعى لتحقيق ما يعتقد أنها أهداف مشروعة ومن حق الناس أن يسمعوا منه ومن دعاة الأخوان هذا الكلام علنا وبوضوح وأن يسمعوا أيضا شرحا وافيا لمعنى أن هذه الحكومات لا تطبق أحكام الإسلام وهى فعلا لا تطبق هذه الأحكام وأن يقنعونا أيضا أن الأخوان وحدهم ومن دون سواهم هم القادرون على تطبيق أحكام الدين والقرآن وأن يناقشوا هذا الكلام فإذا اقتنع الناس بصحة هذه الادعاءات وجرى إقرار مبدأ أن الأخوان وحدهم هم حبل النجاة لهذه الأمة فمن حقنا نحن أيضا باعتبارنا من المسلمين أن نطالبهم باستخدام وسائل مشروعة لتحقيق تلك الأهداف النبيلة تلك الوسائل التى لا نظن أن من بينها القتل والاغتيال وإرسال الطرود المتفجرة.

تأسيس ميليشيا الأخوان (الجهاز الخاص أو الجيش الإسلامى أو التنظيم السري):

شرع مؤسس الجماعة فى تأسيس جيشه أو ما سمى بالجيش المسلم ولنستمع إلى رواية (محمود الصباغ) أحد مؤسسى ذلك الجيش وهو يحكى عن قصة انضمامه لذلك التنظيم عن طرق صديقه وبلدياته (مصطفى مشهور) المرشد الحالى الذى أخذه إلى قائد الجيش (عبد الرحمن السندي) فيقول (فعرفنى مصطفى مشهور على أخى فى الله المرحوم الأستاذ عبد الرحمن السندى بصفته المسئول عن إعداد هذا الجيش المسلم فى تنظيم الأخوان) ص ٦٥.

لقد مارس هذا الجيش الحرب على جبهتين الجبهة الأولى ضد النظام طوال الفترة التى تلت نهاية الحرب العالمية الثانية والجبهة الثانية فى فلسطين خلال عام ١٩٤٨.

فماذا استفاد الأخوان من فتح جبهة داخلية ضد النظام الحاكم فى مصر وما هى مبررات ومسوغات أعمال العنف والقتل التى مارستها الجماعة ضد خصومها والتى ألحقت أبلغ الضرر والخسائر بأعضاء الجماعة وبمصر كلها؟؟ إنه الوهم المسيطر على عقول قادة الجماعة والرغبة الملحة فى تحقيق هدفهم الأسمى وهو إقامة (حكومة الأخوان المسلمين) فى مصر ذلك الوهم الذى دفعهم لارتكاب هذه الأخطاء والتجاوزات ثم الإصرار على موقفهم وتسويق تلك الأخطاء والجرائم لأتباعهم من الدهماء قديما وحديثا بل وللعالم أجمع من خلال أبواقهم الإعلامية التى لا تتوقف عن النفخ ليل نهار على أنها جهاد فى سبيل الله ومن أعظم القربات إلى الله ولعنة الله على كل من وقف فى طريقهم حتى ولو كانوا هم الذين جاءوا به مثل جمال عبد الناصر أو أيا من خصومهم السياسيين وقبل أن نصل إلى تفاصيل الأحداث فلا بأس أن نعرج على بعض ملامح ذلك التنظيم وطريقة أخذ البيعة وشروطها ليعرف الجميع ذلك الوحش الكاسر الذى أنشأه القائد الملهم حسن البنا ليكون جيش الفتح الإسلامى الذى يحمله إلى عرش الخلافة الإسلامية فكان أن تسبب فى الإجهاز عليه وهو لم يبلغ الثانية والأربعين من عمره بعد.

كيفية أخذ البيعة:

كانت البيعة تتم فى منزل بحى الصليبة حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه والأخ عبد الرحمن السندى المسئول عن تكوين الجيش الإسلامى داخل الجماعة وبعد استراحة فى حجرة الاستقبال يدخل ثلاثتهم إلى حجرة البيعة فيجدونها مطفأة الأنوار ويجلسون على بساط فى مواجهة أخ فى الإسلام مغطى تماما من قمة رأسه إلى أخمص قدميه برداء أبيض يخرج من جانبيه يداه ممتدتان على منضدة منخفضة (طبلية) عليها مصحف شريف وتبدأ البيعة بأن يقوم الأخ الجالس فى المواجهة ليتلقاها نيابة عن المرشد العام بتذكير القادم للبيعة بآيات الله التى تحض على القتال فى سبيله وتجعله فرض عين على كل مسلم ومسلمة وتبين له الظروف التى تضطرنا إلى أن نجعل تكويننا سريا فى هذه المرحلة

مع بيان شرعية هذه الظروف - استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان- ثم يأخذ منه البيعة على الجهاد في سبيل الله حتى ينتصر الإسلام أو نهلك دونه مع الالتزام بالكتمان والطاعة ثم يخرج من جانبه مسدسا ويطلب من المبايع أن يتحسسه وأن يتحسس المصحف الشريف الذى يبايع عليه ثم يقول له إن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ويكون مأواك جهنم وبئس المصير فإذا قبل العضو بذلك كلف بأداء القسم على الانضمام عضوا فى الجيش الإسلامى والتعهد بالسمع والطاعة) حقيقة التنظيم الخاص محمود الصباغ ص ١٣٢.

ولا يتركنا محمود الصباغ فى حيرتنا عن معنى (إخلاء سبيل الجماعة منك) ولا سر إحضار المسدس أثناء القسم فيوضح لنا فى **البند ١٣ من بروتوكولات حكماء الجماعة** (أن أى خيانة أو إفشاء سر بحسن قصد أو سوء قصد يعرض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه مهما كانت منزلته ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التى يراها كفيلة له بالحياة) ص ١٣٨ نفس المصدر.

إذن فدعك من حكاية الجهاد لتحرير فلسطين التى يؤخذ لها البيعة بهذه الطريقة فقد ذهب إلى ذلك الجهاد أناس من الجماعة ومن غيرها لم يبايعوا للنظام الخاص على طريقة آل كابونى ونائبه بالحق فرانكشتاين الذى تبين فيما بعد أنه المدعو صالح أفندى عشماوي!!.

و ما حاجة الجهاد لتحرير الوطن أو تحرير فلسطين إلى أساليب عصابات المافيا والأهم من هذا كله هو الاسم الذى اختاره الإمام الملهم لذلك التنظيم العصابى (الجيش الإسلامي) فقد أراد مؤسس الجماعة أن يستغل حالة الفراغ السياسى والأمنى التى عاشتها مصر فى تلك الحقبة ليؤسس جيشا يحمله إلى قمة السلطة وظن الرجل أن الفرصة سانحة لذلك فأسس تلك العصابة وأخذ عليهم العهود والمواثيق بالمصحف والمسدس وأوثقهم بتهديده لهم بإخلاء السبيل أى القتل والاغتيال إنه تنظيم القتلة فكان أن انتكث به فتله وارتد عليه تدبيره وتسبب تنظيم آل كابونى المسمى بالجهاز الخاص فى القضاء على القائد والزعيم الملهم فى أعقاب أحداث ١٩٤٨.

أحداث ١٩٤٨- من قتل حسن البنا؟؟

لنبدأ برواية الأستاذ صلاح شادى القطب الأخوانى الكبير من خارج عصابة آل كابونى (التنظيم الخاص أو الجيش الإسلامي) ولذا فهو لا يكن تقديرا كبيرا للجنرال عبد الرحمن السندى قائد ذلك الجيش الإسلامى وفاتح مصر المفترض، بل ويحمله مسئولية الكوارث التى لحقت بجماعة الأخوان أى أنه يحمل المسئولية للوحش ويثنى على من صنع الوحش. والشاهد أن الخلاف بين هؤلاء لم يكن بسبب قضايا أخلاقية أو مبدئية وإنما بسبب تلك الازدواجية الناشئة عن وجود نوعين من الأعضاء نوع عادى هم أعضاء الجماعة العاديين ونوع سوبر هم أعضاء الجماعة المقاتلين المميزين الذى ستقوم دولة الإسلام من جديد بسيوفهم، وبالتالى كان الغرور والزهو من قبل جماعة المجاهدين هو شعورهم إزاء جماعة القاعدين غير أولى الضرر من الأعضاء العاديين وهو ما عبر عنه صلاح شادى مرارا وتكرارا فى كتابه (صفحات من التاريخ). ولأن هذه المسألة ليست حاسمة فى بحثنا فلن نتوقف عندها طويلا ومن هنا ننتقل إلى روايته عن أحداث ١٩٤٨. (كانت هذه السنة حافلة بالأحداث التى أثرت تأثيرا كبيرا على كيان الجماعة ففى مارس ١٩٤٨ اغتيل القاضى الخازندار بيد الأخوين محمود زينهم وحسن عبد الحافظ وحكم عليهما بالسجن المؤبد فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨، وأراد الأستاذ المرشد بادئ الأمر أن يتحقق من أن هذا الحادث قد قام به السندى حيث جرى فى ظنه احتمال حدوثه من بعض الطلبة غير المسئولين الذين يخضعون لقسم الطلاب، فأرسل من يستدعى الأستاذ فريد عبد الخالق رئيس القسم الذى نفى نفيا باتا علاقته بالحادث وأخذ الغضب والأسف من المرشد كل مأخذ وهو يقول أن هذا يعنى تدمير الجماعة التى قضى عمره فى بنائها وأن الرصاصات التى أطلقت على الخازندار أطلقت على صدره هو.

و لم يخفف من هول الحادث ما تذرع به السندى عندما ووجه برد فعل المرشد، فادعى أن المرشد قال فى مجلس عام أن القاضى يستأهل القتل وذلك عندما سمع بالأحكام القاسية التى صدرت ضد أشخاص ضبطوا فى الإسكندرية أمام نادى الجيش الإنجليزى ومعهم قنابل لم تنفجر بعد فأصدر عليهم أحكاما قاسية، فى نفس الوقت الذى حكم فيه على حسن قناوى سفاح الإسكندرية بالسجن سبع سنوات فاعتبر السندى أن هذه العبارة من المرشد إذنا ضمنيا على الخازندار وهذا تبرير غير معقول لحادث كهذا ولكن **الحقيقة كانت كامنة وراء شعور السندى فى هذا الوقت باستقلاله هو بمن**

يتولى قيادتهم من الأخوان عن سلطان الجماعة وقائدها الأمر الذى سهل له هذا السلوك فلم يكن من حق أحد من اخوان النظام أن يتصل بالمرشد فى شأن من شئون النظام الخاص الا عن طريقه وبهذا عزل أخوان النظام تماما عن قيادة الدعوة وأصبح فهم السندى لدور المرشد هو أن يبحث له عن مخرج أمام الناس لترميم الصدوع التى تحدثها أمثال هذه التصرفات غير المسئولة وتكييف الرأى العام داخل الجماعة وخارجها لتقبل هذه الحوادث) ص ٩٢-٩٣.

هذه هى رواية الأخ صلاح شادى لما أسماه أحداث ١٩٤٨ وهى الأحداث التى مهدت بعد ذلك لحل الجماعة وقتل النقراشى ثم أخيرا مقتل الإمام الملهم حسن البنا الذى بات يعرف من يومها بالإمام الشهيد فى فبراير ١٩٤٩.

إن هذه الرواية فضلا عن إدانتها للسندى فهى تحمل إدانة مبطنة للمرشد أو القائد الملهم الشهيد الخ الخ الذى صورته أجهزة الإعلام الإخوانية بعد هذا فى صورة الرجل الخارق أو مخلوق النور بينما يشهد عليه حواريوه أن السندى قد رسم له دورا هو **(المخرج لترميم الصدوع التى تحدثها تصرفاته غير المسئولة والمسئول عن تكييف الرأى العام داخل الجماعة وخارجها لقبول تصرفات رجل الأخوان الحديدى الحقيقى عبد الرحمن السندي)** والواقع يؤكد هذا التحليل حيث قام المرشد الملهم الشهيد بدور المحلل وشاهد الزور على اغتيال القاضى الخازندار وهو ما ستبرزه شهادة الإخوانى محمود الصباغ عضو منظمة آل كابونى فى كتابه **(حقيقة التنظيم الخاص)** حيث يقول (و على الرغم من التزام الأخوان المسلمين بعدم القيام بأى عمل فدائى ضد إنسان مسلم مهما كان لونه السياسى إلا أولئك الذين أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين فأصبحوا من المحاربين الذين يحل للأخوان قتلهم وسوف أقسم دراستى إلى ثلاثة أقسام متميزة:

أولا: حوادث الاغتيالات السياسية التى لا يد للأخوان ولا لتنظيمهم الخاص فيها.

ثانيا: أعمال فدائية قام بها الأخوان المسلمون وتنظيمهم الخاص ولم يعرف فاعلها وقيدت ضد مجهول.

ثالثا: أعمال فدائية قام بها الأخوان المسلمين ضد أعوان الاستعمار والفاعل معروف.

رابعا: حوادث الاغتيال السياسى التى لا يـد للأخـوان ولا لتنظـيمهم الخاص بها.

حادث مقتل الخازندار بك :

أقرر بكل الصدق (؟؟!!) أن كلا من الأخوان كجماعة إسلامية يرأسـها المرشد العام للأخوان المسلمين والتنظيم الخاص للأخوان المسلمين كتنظـيم عسكرى سرى خصص لأعمال الجهاد فى سبيل الإسلام بريء كل البـراءة من هذا الحادث الذى يمكن أن يقع بدوافع وطنية ولكنه مخالف ومستنكر من الشريعة الإسلامية التى أخذها كل من الأخوان المسلمين وتنظيمهم السـرى أساسا لكل عمل يقومون به (؟؟!!!!) على الرغم من أن مرتكبى هذا الحادث هم ثلاثة أفراد من الأخوان المسلمين بصفتهم الشخصية هم عبـد الـرحمن السندى (قائد جيش المسلمين) ومحمود سعيد زينهم وحسن عبد الحـافظ ولا يغير من هذه الحقيقة كون عبد الرحمن السندى رئيسا للنظام الخاص (؟؟!!) لأن النظام الخاص لا يمكن أن يتحمل إلا الأعمال التـى تقررهـا قيادتـه مجتمعة بأمر صريح من المرشد العام وما لم يتحقق هـذين الشـرطين لأى عمل من أعمال النظام الخاص فإن هذا العمل يكون عملا فرديا تقع مسئوليته كاملة على من قام به) ص ٢٥٥-٢٥٦.

إنه المنطق الفصام الفاجر الذى قدم له صاحبنا بادعائه بأنه سيتكلم بكل الصدق وإذا كان هذا هو كل الصدق فماذا يكون كل الكذب والفجر إذا؟؟

فالذى قام بهذا العمل هو من يسمى (بقائد الجيش الإسلامي) وليس فردا من عامة (الجيش) انفعل بحادث ما من دون علم القيادة.

ثم ما هو معنى اشتراط موافقة القيادة؟ وعلى من يقع هذا الشـرط؟؟ علـى الأخوان أو على خصوم الأخوان؟؟ من حق الأخوان أن يشترطوا لأنفسهم مـا يشاءون، وأن يقرروا أن عصابة آل كابونى هذه اسمها الجـيش الإسـلامى أو حتى يسمونها حلف شمال الأطلنطى. ولكن ليس لهم أن يفرضوا شروطهم على الأخرين أو أن يدعوا أن الأخوان ليسوا هم الفاعلين، لأن المرشد لم يوقع أو أن القرار لم يتخذ بالإجماع. فهذه الحجج والاعتذارات الفارغة والكاذبة لا قيمة لها إلا فى محيطهم هم ولدى من يصدقونهم بكذبهم وإلا صار من المتاح والمباح أن يقتلوا كل من يقف فى طريقهم بأوامر شفهية من المرشد الملهم، ثم يتنصلوا من

الجريمة لعدم وجود أوامر مكتوبة أو لأن أحدهم لم يوافق على قرار الاغتيال!!... أي سفه واستخفاف بعقول الناس هذا؟؟

و هل كان المرشد يأخذ البيعة لنفسه من أعضاء تنظيم آل كابونى أم عبر وكيله فرانكشتاين (صالح أفندى العشماوي) ثم ألم يكن (عبد الرحمن السندي) هو وكيله فى قيادة الجيش (رئيس الأركان) بينما كان هو (القائد العام).

ناهيك عن التخبط فى الجرم المنسوب للقاضى الخازندار فتارة يقول ذلك الصادق الأمين (أن القاضى الخازندار قد حكم على الشباب الذى ألقى القنابل على الإنجليز بعشر سنوات) ص ٢٥٨. وتارة أخرى يذكر أن ذلك الحكم هو ثلاث سنوات ص ٢٦٤ ولا ينسى أن يحاول إيجاد مبرر آخر لتلك الجريمة فيقول (أشيع أن دائرة الخازندار حكمت على سيدة اتهمت بتعذيب خادمتها تعذيبا وحشيا إلى حد إحماء عود من حديد وإدخاله فى موضع العفة حتى أودى بحياتها بالسجن لمدة عام واحد مع إيقاف التنفيذ) ص ٢٥٨ ثم يعود ويكرر ما أشيع ص ٢٥٩ كأنه يعز عليه إدانة الجريمة التى ارتكبتها منظمة ال كابونى تأسيا بالمنظمة الأم التى اعتادت هى الأخرى أن تقتل القضاة إذا أصدروا أحكاما لا تتوافق مع مصلحة العصابة.

ووفقا لرواية ذلك الصدوق (محمود الصباغ) فقد غضب مؤسس الجماعة على عبد الرحمن السندى وعقد له محاكمة خاصة <u>(أول من خصخص المحاكم)</u> حضرها قادة التنظيم ودافع عبد الرحمن السندى عن نفسه (حيث أكد أنه فهم من العبارات المستهجنة التى صدرت من المرشد أنه سيرضى عن قتله لو أنه قتل فعلا وقد تأثر فضيلة المرشد تأثرا بالغا(؟؟!!) لكلام عبد الرحمن لأنه يعلم صدقه فى كل كلمة يقولها تعبيرا عما يعتقد، وبلغ من تأثر فضيلة المرشد العام أنه أجهش بالبكاء ألما لهذا الحادث الأليم، وقد تحقق الأخوان الحاضرون لهذه المحاكمة من أن عبد الرحمن السندى وقع فى فهم خاطئ وممارسة غير مسبوقة من أعمال الأخوان المسلمين فرأوا أن يعتبروا الحادث قتل خطأ(؟؟!!) حيث لم يقصد عبد الرحمن ولا إخوانه سفك نفس بغير نفس وإنما قصدوا قتل روح التبلد الوطنى (جديدة !!) فى بعض أفراد الطبقة المثقفة من شعب مصر. وبناء عليه قرر المجتمعون (و لما كان هؤلاء الأخوان قد ارتكبوا هذا الخطأ فى ظل انتمائهم للأخوان المسلمين وبسببه فقد حق على الجماعة دفع الدية التى شرعها الإسلام على القتل الخطأ من ناحية وأن تعمل الهيئة على إنقاذ حياة المتهمين البريئين (هكذا وصفوهما بالبراءة) من حبل المشنقة بكل ما أوتيت من قوة فدماء

الأخوان المسلمين ليست هدرا يمكن أن يفرط فيه الأخوان فى غير فريضة واجبة يفرضها الإسلام.

ولما كانت الجماعة جزءا من الشعب وكانت الحكومة قد دفعت [ما يعادل] الدية إلى ورثة المرحوم الخازندار (عشرة آلاف جنيه) فإن من الحق أن نقرر أن الدية قد دفعتها الدولة عن الجماعة وبقى على الأخوان إنقاذ حياة الضحيتين الآخرين محمود زينهم وحسن عبد الحافظ) ص ٢٦٥ من كتاب الصدوق محمود الصباغ.

ألم أقل لكم إنه منطق الفصام الفاجر ناهيك عن التطبيق (الفاحش) للشريعة الإسلامية فأبشروا يا من تنتظرون قدوم هؤلاء الفاتحين لإعادة مجد الإسلام إلى عهد البعثة المحمدية والخلافة الراشدة وتأملوا فى شهادة ذلك الكذاب الذى قدم لها المرشد الحالى مصطفى مشهور.

١- الرجل يعلن بكل الجرأة والوقاحة أنه لا علاقة للجماعة ولا لجهازها الخاص بهذه الجريمة النكراء ثم يعود إلينا بتلك الوثيقة الفاجرة عن اجتماع مجلس حكماء الجماعة بقيادة الإمام الملهم والتى تتضمن اعترافا واضحا بارتكاب الجريمة (و لما كان هؤلاء الأخوان قد ارتكبوا ما ارتكبوا فى ظل انتمائهم للأخوان وبسببه ولذا فقد حق على الجماعة دفع الدية).

٢- بفرض قبولنا تلك الأكذوبة الفاجرة بأن قتل الخازندار هو قتل خطأ فلماذا **تدفع الجماعة الدية وبأى صفة؟؟** فمسئولية الدية تقع على عاتق الفاعل المباشر إذا تساوت الرؤوس أى إذا اعترف الأخوان أنهم أفراد مسلمون كبقية أفراد المجتمع، ولكنها تخرج عن الإطار الشخصى فى حالتين أولاهما (إن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) والثانية (و إن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما) سورة النساء آية ٩٢. فهل اعتبر الأخوان فى وجود مرشدهم أن الموقف ينطبق عليه أحد الحكمين الأخيرين غالب الظن أن هذه هى رؤيتهم للمجتمع وهو رؤية مضطربة تجنح إلى التكفير وهذه الحادثة دليل قاطع على ما نقول.

٣- كيف قرر هؤلاء الحكماء قبول هذا الإدعاء أو إنشائه من الأساس وتحويل جريمة قتل عمد متعمد مع سبق الإصرار والترصد إلى

جريمة قتل خطأ ولا عجب فقد كان بينهم الإمام الشهيد الملهم يمحو ما يشاء ويثبت من دين الله وعنده أم الكتاب!!؟؟.

٤- قرر الأفاقون النصابون منح أسرة القتيل دية وهمية قدرها عشرة آلاف جنيه دفعتها الحكومة من مال الشعب لأن الأخوان جزء من الشعب وهو كذب وافتراء ولو كانوا يعتقدون أنهم جزء من الشعب لما تحملوا دفع الدية الوهمية ولتركوا القتلة يواجهون حكم القانون أو حكم الشعب ولكن هذا الشعب فى رؤيتهم لا يخرج عن أحد احتمالين إما (قوم عدو لكم) أو (قوم بينكم وبينهم ميثاق) وهذا مبنى على رؤيتهم الفقهية فى القضية وفى كلا الحالتين إنهم مجموعة من الكذابين والمخادعين (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون).

والأطرف والأبشع من هذا كله أنه بعد أن رضى الإمام الملهم عن تلميذه القاتل وبكى تأثرا، لم يكتف لا بتحويل الجريمة من قتل عمد إلى قتل خطأ ولا الإدعاء دفع دية وهمية إلى أسرة القتيل لإرضاء ضمائر غائبة ومعدومة، بل قرر قاعدتين فقهيتين إضافيتين نهديهما لأبناء وأحفاد الإمام الشهيد الملهم مجدد القرن الذين يملئون الدنيا صياحا ونباحا عن الظلم الذى حاق بهم:

أولا: أن هؤلاء القتلة هم فى الحقيقة أبرياء.

ثانيا: أن المسلمين لا تتكافأ دماؤهم فدم الإخوانى المسلم لا يجوز إهدارها فى مقابل دم (المسلم) غير الإخوانى هذا إذا جرى اعتبار غير الإخوانى مسلما [فدماء الأخوان ليست هدرا يمكن أن يفرط فيها الأخوان فى غير أداء فريضة واجبة] وبالتالى ضرورة العمل لإنقاذ المحكومين من أى عقاب قد يحل بهم.

إغتيال القضاء:

من سل سيف البغى قتل به (على بن أبى طالب):

ملأ الأخوان المسلمون الدنيا صياحا بعد ذلك استنكارا لجرائم عبد الناصر ضد الديمقراطية واعتدائه على استقلال القضاء فمن يا ترى الذى افتتح مهرجان العدوان على استقلال القضاء؟؟.

إن الدولة التى يتم فيها اغتيال أحد القضاة فى وضح النهار تأديبا له على حكم أصدره مهما كان جائرا أو منافيا للعدالة ليست بدولة، فهناك مراتب للتقاضى وكان بإمكان هؤلاء أن يتظلموا من ذلك الحكم الجائر أمام محكمة الاستئناف ثم أمام محكمة النقض، وقد فعلوا هذا بالفعل وجرى تخفيف الأحكام التى كانت أصلا مخففة باعترافهم.

لقد افتتحت جماعة الأخوان المسلمون بهذا الفعل موسم العدوان على القضاء وهم الذين مهدوا للإطاحة بمجمل النظام الدستورى الذى كان قائما فى مصر آنئذ حتى جاءوا إلينا بثورة يوليو المجيدة ومحاكمها الاستثنائية الشهيرة الذين كانوا هم أول ضحاياها.

نترك ذلك الصدوق وننتقل إلى واحد آخر من نفس الفصيلة وهو يروى لنا جريمة اغتيال القاضى (أحمد الخازندار) بنفس الأسلوب الوقح والمستفز فيقدم لروايته بعنوان (الخازندار فى خبر كان). إنه أحمد عادل كمال العضو القيادى فى تنظيم آل كابونى والذى فتحت له الدنيا أبواب كنوزها فى آخر عمره فأصبح على رأس أحد البنوك التى تنعشها الأموال النفطية. فالرجل كان عضوا مهما فى عصابة القتلة وكان على علم بخطة قتل الرجل أى أنه كان شريكا وعلم ولم يبلغ حتى جاءه الخبر صبيحة يوم ٢٢-٣-١٩٤٨.و استمراء لذلك المنطق الفاجر الذى استخدمه ذلك الصدوق سابق الذكر نسمع ذلك المستخف بحرمة دماء المسلمين والمستخف بالمدلول السياسى والأخلاقى لجريمة اغتيال أحد قضاة مصر حصن العدالة وأن تلك الرصاصات قد استهدفت أحد أركان الدولة والنظام العام فيقول (و كان للحادث ردود فعله السيئة فى كافة المجالات فلدى القضاة كان الاستياء على أشده فمن المعلوم أن الأحكام تصدر بأغلبية أعضاء المحكمة وليس برأى رئيسها وحده ومهما حدث لم تجر العادة أبدا أن يعتدى على القضاة ولقد حاولت النيابة بعد ذلك فى بعض قضايانا اتخاذ الحادث كقميص عثمان لاستعداء القضاة علينا) أحمد عادل كمال النقاط فوق الحروف ص ٢٢٠.

إنه الاستخفاف بردود الأفعال وبرأى الآخرين وبالمدلول السياسى للعمل، وسيبقى ذلك الاستخفاف بالآخرين سمة بارزة من سمات أعضاء تلك الجماعة المصابة بالغرور الأعمى الذى زرعه فيهم إمامهم الملهم الشهيد مجدد القرن فهم لا يرون إلا أنفسهم فى هذا الكون ولا يتخيلون أن لأحد من غيرهم رأى له قيمة أو يعتد به. فاغتيال قاض أصدر حكما فى قضية لم يعجبهم أمر هين وبسيط ولا يصح اعتباره دليلا على العدوان على القضاء

ومحاولة استغلال الجماعة للحادث للتدليل على عدوانية أعضاء الجماعة هو من وجهة نظر الأخ أحمد عادل كمال من باب الدعاوى الكاذبة التى يراد بها هدفا غير الهدف المعلن تماما، كحادث قميص عثمان بن عفان الذى استخدمه ابن آكلة الأكباد سلما للوصول إلى السلطة. ويستخدم هـذا المثـل لوصـف الدعاوى الكاذبة فهم وحدهم أى الجماعة وتنظيم آل كابونى هم الصـادقون والمؤمنون حقا وبقية أفراد المجتمع بما فيهم القضاء والنيابة من الأمـويين الأوباش الكذابين الذين لا يصدقون فى حرف واحد. ونمضـى مـع ذلـك المستخف الذى يكرر نفس الكلام الفارغ الذى قاله من سبقوه من أن الحادث كان عملا فرديا لأن الإمام الملهم لم يوافق عليه ولم يمنحـه خـاتم النسـر (المصحف أبو سيفين) ثم يضيف عبارة وردت على لسـان المرشـد (أودى وشى فين من حسن بيك الهضيبي) [بسيطة يا راجل لا تجيب ولا تودي].

و يقول أحمد عادل كمال (لست أدرى لماذا لم نحاول أن نعالج المشكلة معالجة شرعية لم نحاول أن نؤدى الدية إلى ورثة الخازندار وأن نسترضيهم حتى يرضوا ربما كانوا رضوا وربما كانوا رفضوا ودون زعم أنه قيـاس بمعناه الشرعى نذكر أن سيف الله خالد بن الوليد قد قتل فى سراياه من أدى شهادة الإسلام باجتهاد خاطئ أنكره عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم حدث مثل ذلك مرة أخرى منه أيضا فى حروب الردة بما أنكره عليه أبو بكر وعمر) ص ٢٢١.

ألم أقل لكم أن فكر القتل والاستباحة والعنف قد نبع كله من نبع واحـد وأنه لا مناص من معالجة القضية من جذورها لا من فروعها.

لا أدرى كيف يمكننا أن نوفق بين كلام الأخوين الصدوقين أحمد عـادل كمال وأخيه الصباغ فالأول يقول دفعنا الدية وهميا والثانى يقول لم ندفع ولم نحاول وأغلب الظن أن كلامهما متوافق من الناحية الواقعية فالديـة وهميـة وكل هذا الكلام كان للاستهلاك المحلي ولطمأنة أشبال الجماعة والمخدوعين الجدد أنه لم تحدث أية مخالفات شرعية مـن قبـل الرعيـل الأول ولكنهـا محاولات فاشلة فقد جاء كلامهم متضاربا ومتناقضا حتى مع أنفسهم، ونخص بالذكر ذلك الصدوق وهذه المجموعة من الكتب والمذكرات التى هبطت من السماء فى مرحلة السبعينات والثمانينات هى استمرار لتلك الحالة من غياب الوعى والرؤية والفقه التى بدأت واستمرت منذ نشأة الجماعـة واسـتفرادها بالساحة، ذلك الاستفراد الذى ساقهم لما هو أسوأ من الغـرور، ثـم جـاءت التحالفات السياسية الداخلية والخارجية ممن حاولوا الاستفادة منهم مع أو ضد

لتفاقم حالة الاختلال الفكرى والنفسي البشعة التي يعاني منها هؤلاء. والمتأمل لكتاب ذلك الصباغ الذى قدم له ذلك المشهور يدرك تماما هذا ويدرك حجم الجرم الذى ارتكبه من تحالف مع هؤلاء وخاصة أولئك الذين يواصلون كيل المديح والثناء للإمام الملهم باعتبار أنه مصدر كل خير، والله يشهد أن كل هؤلاء لكاذبون ومزيفون ومزورون والله يعلم أن الذين فعلوا ما فعلوا فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ثم أصدروا تلك الكتب فى الثمانينات لم يثنهم عن غيهم ولا عن عدوانهم إلا أن السيف قد نزع من أيديهم فهم ما ندموا على قتل أحد ممن قتلوه ولا دفعوا دية لأحد ولو بقى السيف فى أيديهم لما أعطوا قضاة مصر وأحرارها إلا السيف أو السوط.

وهم يعتبرون أن كل من يعارضهم هو عدو للإسلام والمسلمين وهو ما قاله الصباغ تحت عنوان (أثر هذا الحادث على الدعوة: ولكن أعداء الإسلام استمروا فى التشكيك فيما أعلنه فضيلة المرشد من براءة الدعوة من هذا الحادث. ولم يكن لهجومهم أثر يذكر فالشعب يعرف الأخوان وجهادهم ويستريح لبراءتهم من كل شائبة تشوب هذا الجهاد كما أن هذا الحادث لم يهز ثقة المرشد فى السندى حيث استمر على ثقته واعتماده على النظام الخاص وقيادته حتى لقى ربه راضيا مرضيا) ص ٢٦٦-٢٦٧.

الأخوان المسلمون والنقراشى من التحالف إلى الإتهام بالخيانة.

نمضى مع الرجل الصدوق محمود الصباغ وهو يمارس هوايته المفضلة كبقية الأخوان هواية التهويل وافتعال الأحداث ونقل الإشاعات ثم ترويجها باعتبارها من المسلمات باعتبارها وردت على لسان أخ عدل أو ثقة وكلهم عدول وثقات حفظهم الله ومن بين تلك المبالغات والتهاويل أو الأكاذيب التى اكتشفناها أثناء قيامنا بهذه الدراسة والتى انتقلت عن طريق ذلك السلف الصالح الأكذوبة الشهيرة عن حادثة كوبرى عباس حيث يقول الصباغ (ووقعت مصادمات عنيفة بين الشعب والبوليس فى القاهرة والإسكندرية وقتل فيها البوليس الكثير من شباب الجامعة المصرية كما حدث فوق كوبرى عباس فى ٩ فبراير ١٩٤٦) ص ٣٢٠ من كتابه حقيقة التنظيم الخاص.

ويردد صلاح شادى فى كتابه (صفحات من التاريخ) ص ٨٣ نفس الإشاعة التى تساوى فى مصداقيتها تماما ما أشيع عن القاضى الخازندار من حكاية الحديدة المحماة التى دخلت إلى منطقة العفة إياها وأسفرت عن الحكم على ذلك المجرم سنة مع إيقاف التنفيذ حين يتحدث عن وزارة النقراشى التى أقيلت على أثر المظاهرة التى قادها مصطفى مؤمن زعيم طلبة الأخوان

المسلمين وسميت بمظاهرة كوبرى عباس التى قتل فيها عدد من الطلبة فيما سمي وقتئذ بمذبحة كوبرى عباس).

أما أحمد عادل كمال فيكذب الأخوين (الصدوقين) متحدثا عن مظاهرة كوبرى عباس قائلا (وقد شاع حينذاك أن القتلى بلغوا كذا وكذا ولكن الذى أؤكده وقد شهدتها وأصابتنى بعض هراوات الشرطة أن أحدا لم يقتل يومها) ص ١٧٥. النقاط فوق الحروف.

هذا هو أسلوبهم المفضل والمميز التهويل والمبالغة ثم إطلاق الإشاعة التى تتحول إلى حقيقة تاريخية يجرى تداولها من دون تحقيق ولا تدقيق طالما اعتمدها أخ ثقة وخاصة إذا كان من بين مصادرهم الرسمية والمعتمدة.

الأخوان المسلمون يتعاونون مع النقراشي بالرغم من ماضيه الشائن؟؟!!.

هكذا قال القطب الإخوانى البارز محمود الصباغ كما يسمونهم فى هذه الأيام.

لماذا يتعاون الأخوان مع الرجل بالرغم من ماضيه الشائن؟؟.

أليس من المشين أن يتعاون الأخوان مع رجل له ماض شائن؟؟ أم أن الغاية تبرر الوسيلة؟؟ ولماذا يتعاونون مع مثل هذا الرجل ثم يقتلونه ولماذا لم يقتلوه منذ البدء طالما أنهم على علم وبينة به وبماضيه؟؟

يقول لنا الرجل (رأت الجماعة أن تأييد النقراشى باشا إذا ما سلك أسلوبا جديدا فى مواجهة الإنجليز أجدى وأنفع من دخول البلاد فى اضطرابات داخلية جديدة وإسقاط النقراشى استنادا إلى ماضيه الشائن أثناء توليه وزارته الأولى من مارس ١٩٤٥ إلى فبراير ١٩٤٦) ص ٣٢٠.

بل وأمعن مرشد الأخوان فى ذلك التعاون حينما أرسل برقية تأييد إلى النقراشى ذو الماضى الشائن الذى أصبح خائنا بعد ذلك (فيما كان يلقى خطابا فى مجلس الأمن دفاعا عن قضية مصر الوطنية وكان هذا ردا على برقية من النحاس باشا أرسلها ضد النقراشى وقد قامت الإذاعة المصرية بإذاعة برقية مرشد الأخوان فى كل نشراتها (كان هذا أثناء عام ١٩٤٧).

ناهيك عن أن هذا (الخائن ذو الماضى الشائن) أعلن عزمه على قطع مفاوضات الجلاء مع الإنجليز وقام بتسهيل مهمة الأخوان المسلمين فى جمع الأسلحة من الصحراء الغربية (مخلفات الحرب العالمية الثانية وأعطاهم

تصريحا رسميا بذلك) وكل هذا سينتهى الأمر بإعلان الرجل خائنا وشائنا وعميلا ثم إعدامه ص- ٣٢٠-٣٢٤.

أضف إلى ذلك أن هذا (الشائن الخائن العميل) من وجهة نظر الأخوان والذى كان رئيسا لوزراء بلد يحتله الإنجليز لم يرضخ لضغوط المحتل حينما خاطبه السفير الإنجليزى محتجا على تساهل السلطات المصرية مع المتهمين بمهاجمة القوات البريطانية المحتلة (طالبا منه تشديد الإجراءات ومنع التساهل مع هؤلاء) فكان جوابه **(ليس فى الإمكان التدخل لدى القضاء فالمحافظة على مشاعرهم فى الاستقلال والأمان أمر جوهرى لتحقيق الممارسة الصحيحة للعدالة وأضاف أنه لا شك أن المحاكم المصرية لا تعمل بالسرعة المعتادة فى بريطانيا)** أحمد عادل كمال ص ١٩٠.

لقد كان هذا الرجل من دون أدنى شك مفخرة لمصر ذلك الرجل الذى يجيب على سفير الدولة المحتلة لمصر بريطانيا العظمى بذلك الجواب الممتلئ بالعزة والكرامة، ولكنه بالرغم من ذلك كله فهو خائن وشائن من وجهة نظر الأخوان وعلينا جميعا أن نحنى رؤوسنا لكل ما تقوله الجماعة الوحيدة التى فهمت الإسلام فهما صحيحا وشاملا وكانت تصرفاتهم السياسية والأخلاقية والتشريعية دائما فى مستوى ادعاءاتهم كما تنطق بذلك الصفحات السابقة والبقية. تأتى ثم جاء التحالف مع ثوار يوليو وكان من أهم بنوده ولا زال إلى يومنا هذا اغتيال كرامة وأعراض كل رجال مصر الذين ساهموا فى حكم هذا البلد قبيل الثورة المجيدة الجيد منهم والرديء ويبقى أن المجتمعات التى تفتقر للإنصاف والعدل لا تستحق إلا أن يحكمها الأخوان ومن كانوا على شاكلتهم ولا عجب أن يشكو قادة يوليو هم الآخرون من اغتيالهم معنويا وأدبيا على يد الأخوان وأن يستدعيهم السادات من المنافى والفيافى ليساهموا فى طمس الحقبة الناصرية التى سبقته تنفيسا عما فى نفوسهم من حقد على (الزعيم الخالد) وبعد أن أنجزوا ما تم الاتفاق عليه عادوا فانقضوا على السادات وهذا درس لكل من يفكر فى التحالف الانتهازى معهم والقاعدة تقول (اعمل ما شئت كما تدين تدان) والأخوان دائما مستعدون هم وجهاز إطلاق الشائعات الخاص بهم للقيام بأى دور يطلب منهم.

فما عدا مما بدا وما الذى فض التحالف بين الأخوان والنقراشى باشا وأوصل الأمور إلى نقطة اللاعودة الجواب من دون شك عند النظام الخاص (آل كابوني) الذى اعتبر فيما يبدو أن انطلاقه للعمل داخل فلسطين يعطيه الفرصة للانقضاض على النظام فى الداخل وكانت أحداث ١٩٤٨ (فترة

صدام عنيف ومسلح حيث حدث تطور فى المواجهات بين الأخوان والحكومة إذ بدأ الأخوان فى استخدام القنابل فى الهجوم على رجال الشرطة وفى يوم ٣-٢-١٩٤٨ اصطدم البوليس بالطلاب فى الزقازيق بسبب المطالبة بجلاء جيش الاحتلال الإنجليزى فى مصر وألقى طلاب مدرسة الزقازيق الثانوية القنابل عليه فأصابت بعض رجاله) أحمد عادل كمال ص ٢٢٧.

ثم كانت حادثة اغتيال القاضى الخازندار فى مارس ١٩٤٨ ثم تطورت الأمور بعد ذلك وصولا إلى ما سمى بقضية السيارة الجيب وصدور قرار حل الأخوان المسلمين ثم اغتيال النقراشى بعدما تحول من حليف إلى خائن وعميل وعدو للإسلام والمسلمين وكما قالوا (حارب الإسلام والمسلمين بحربه لجماعة الأخوان المسلمين) فالجماعة هى الإسلام والإسلام هو الجماعة رضى من رضى وسخط من سخط.

دراسة فى فقه القتل والسحل والإغتيالات:

أصدر محمود الصباغ كتابه فى منتصف الثمانينات بعد أكثر من أربعين عاما من تلك الوقائع وكأنما أبى الرجل أن يترك الدنيا إلا وقد كتب بخط يده وثائق إدانته وكأنما أبى أيضا إلا أن يخرج لسانه لأولئك الكذابين الذين يسوقون الجماعة ديمقراطيا وحضاريا وليس اليوم كالبارحة فالمصالح التى أملت على العهد الناصرى التحالف معهم ومحاكمة أعدائهم والغض عن جرائمهم ثم عاد ليصطلى بنارهم ولكنه شاركهم فى هزالهم الفكرى والعقائدى فلما أحس بحجم خطرهم وعودتهم للظهور مع بداية الستينات استعان بالماركسيين لمواجهة مدهم فازداد الطين بلة ووجد أصحابنا مادة إضافية لاستمرار هجومهم على النظام الناصرى المتحول علمانيا وماركسيا بينما هم وحدهم حماة الدين والإسلام. ثم جاء السادات ووجد اليسار متخندقا فى مواجهته ووجد كل وسائل الإعلام فى أيديهم فاستعان بهم فجاءوا بقضهم وقضيضهم وأموالهم وبنوكهم وامتداداتهم الإقليمية والدولية وكلها ممتلكات وثروات أقطعت إليهم إقطاعا على طريقة لقد أعطى من لا يملك لمن لا يستحق لتسهيل قيامهم بدورهم المرسوم الذى يحتاج إلى درس عميق وتحليل يقوم به حكماء الأمة بعيدا عن الصبية ومرتزقة السياسة، فتحالفوا مع السادات ثم انقلبوا عليه وهاجموه، مثلما تحالفوا مع النقراشى ثم انقضوا عليه وهاجموه وقتلوه، ومثلما تحالفوا مع عبد الناصر ثم انقضوا عليه وهاجموه

وحاولوا قتله، ومثلما صنعوا مرشدهم وإمامهم حسن البنا ثم جعلوا منه أداة لتسويق تصرفاتهم وكانوا هم السبب المباشر فى قتله بعد صدور قرار حل الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨. فبدلا من الاكتفاء بمواجهة قرار الحل سياسيا وقانونيا وهو ما حدث بالفعل حيث صدر حكم المحكمة ببطلان قرار الحل كانت سرايا الأخوان ترد على القرار باغتيال النقراشى ومحاولة نسف المحكمة بما فيها ومن فيها ثم محاولة اغتيال (إبراهيم عبد الهادي) رئيس وزراء مصر خلفا للنقراشى، بينما كان إمام الجماعة يستجدى الوساطات السياسية إما للعودة عن قرار الحل أو للإبقاء على حياته كل هذا فى الفترة من ديسمبر ١٩٤٨ حتى اغتياله فى فبراير ١٩٤٩ حيث [طلب مصطفى مرعى من المرشد إصدار بيان يتهم الأخوان الذين قتلوا النقراشى بالإجرام ويتبرأ منهم ويثبت أنهم يعملون على غير إرادته فأعد بيانا منه رغبة فى تخفيف حدة الهجوم على الأخوان وكما يقول محمود الصباغ – **لم يكن هناك مانع شرعى من إصدار مثل هذا البيان ليبطل به سلاح كافر موجه ضد الأخوان فالحرب خدعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله** وسلم) ص ٤٨٢ محمود الصباغ.

وطبعا فإن هذا الكلام من تمام فقه الرجل (ويبدو أنه ممن ساهموا فى وضع أسس التحول الديمقراطى المعاصر للأخوان!!) الذى لا يرى بأسا أن يكذب المرشد ليبطل مفعول سلاح كافر وطبعا كل من عادى الأخوان فهو كافر وسلاحه أكفر منه والحرب خدعة ولكن عن أى سلاح يتحدث الرجل فحتى تلك اللحظة لم يكن قد أطلق على الأخوان سلاح مؤمن أو كافر وعملية الاغتيال الوحيدة التى تعرضت لها جماعة الأخوان وهى اغتيال الرجل الملهم حسن البنا لم تكن قد وقعت بعد والأخوان فى كل مرة كانوا هم الذين يطلقون الرصاص أو يلقون القنابل والخسائر حتى تلك اللحظة كانت فى عساكر (الكفار المصريين) ولم تكن فى صفوفهم.

أما (**الإمام الملهم الشهيد مخلوق النور**) الذى تحكى عنه الأساطير فقد كان عاجزا عن منع ما يقرره قادة ما يسمى بالجيش الإسلامى وكان دوره فى نهاية مرحلة إمامته محصورا فى إصدار بيانات الاستنكار لما تفعله منظمة آل كابونى فعن أى إمام يتحدثون؟؟.

إنه الإمام الذى صنع الوحش فتمرد عليه وأكله وكما يروى المستخف أحمد عادل كمال (**وبدأت مرحلة من الاتصالات بين الأستاذ المرشد وبين الحكومة عن طريق وسطاء وكان أول وسيط هو المحامى مصطفى مرعى**

الذى رفض الاستمرار فى الوساطة على أثر حادث المحكمة ذلك الحادث الذى استئذن حسن البنا فى تنفيذه فرفضه ولم يأذن به ولكنه نفذ فوضع الرجل فى أشد حالات الحرج ولست أدرى ماذا قال فى حينها ولكنه لو قال إن هذا العمل تم دون أمره لصدق الصدق كله) أحمد عادل كمال ص ٢٩٨.

نعود إلى البيان الذى أصدره الرجل الخارق حسن البنا فى أتعس لحظات ضعفه وأورده محمود الصباغ فى كتابه ص ٤٨٣ بعد أن قتل معنويا وأدبيا على يد رجاله وهو يستجدى مصالحة النظام وكما يقول البعض أن عبد الناصر مات يوم هزيمته عام ١٩٦٧ فنحن نقول أن أحداث ١٩٤٨ قد قتلت الرجل أدبيا قبل أن تصيبه الرصاصات التى قتلته بعد ذلك بشهور فماذا قال الرجل **(وقعت أحداث نسبت إلى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا بروحها وتلا هذا الحادث اغتيال محمود فهمى النقراشى باشا الذى أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله وتقديرا لجهاده وخلقه).**

و لنا تعليق على الفقرة الأولى من هذا البيان حيث يقول مرشد الأخوان وإمامهم حسن البنا أن هذه الأحداث وقعت من أناس لم يتشربوا بروح الجماعة أى روح هذه ؟؟ أهى روح العدوان الوثابة التى زرعها (سماحته) فى نفوس أعضاء التنظيم ألم يقل (فضيلته) قبل هذا أن الأخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حين لا يجدى غيرها وحين يثقون أنهم قد استكملوا العدة ألم يقل أنه حينما يبلغ الأخوان ثلاثمائة كتيبة قد جهزت نفسها فسيقتحم بهم لجج البحار وعنان السماء ويغزو بهم كل جبار عنيد ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة، وعلى هذا فمن حقنا أن نفترض أن هيئة الأركان الإخوانية كانت قد أعطته تقارير بجهوزيتهم للتحرك واستعدادهم لبدء القتال لإقامة دولة الأخوان المسلمين وإلا لما أذن فضيلته لجيشه المبارك الميمون بهذه الأعمال أما إذا كانوا قد تحركوا دون إذنه وربما كان هذا الافتراض صحيحا فسيصبح عندها الحديث المكرر والممل عن إمامته وقدراته الخارقة نوعا من التضليل والاستغفال لأمة لا إله إلا الله وهذا ما نعتقده ونرجحه.

المهم لقد قد تحول الإمام الشهيد الملهم تحت الضغوط إلى داعية سلم ولا عنف وطبعا فقد كان هذا وكما قال الصدوق الصباغ أمرا جائزا من قبيل جواز خداع الكفار فالحرب خدعة ونعم تلامذة الإمام!!

نمضى مع بيان الإمام **(و لما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف بل تنكره وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها وتسخط على مرتكبيها (!!!) فنحن نبرأ إلى الله من الجرائم ومرتكبيها).**

هكذا اعتقد (الإمام) أنه أدى ما عليه لله وللوطن وكان على الحكومة أن ترد التحية بأحسن منها وأن تطلق سراح مرتكبى الجرائم من الأخوان وأن تكف عن ملاحقته هو ولكن الأحداث لم تكن قد بلغت نهايتها بعد.

سيد فايز:...... **من قتل يقتل**:

اغتيال سيد فايز (صاحب قرار شن حرب العصابات) على يد الأخوة.

يقول محمود الصباغ فى كتابه الوحيد الفريد والحمد لله أنه توقف عن التأليف بعد هذا الكتاب مباشرة **(كان الشهيد سيد فايز!! - شهيد بالرغم من أن الأخوان هم الذين قتلوه؟؟- هو مسئول النظام الخاص عن مدينة القاهرة بعد اعتقال كل من يعلوه فى القيادة سواء من رجال الدعوة العامة أو من رجال التنظيم الخاص- فأصبح سيد فايز هو المسئول عن حماية الدعوة فى هذه الظروف الشاذة وله حق الاجتهاد!!؟؟ فقرر الدخول مع الحكومة فى حرب عصابات فوق أرض مصر؟؟!! - وبدأ السيد معاركه برأس الخيانة- محمود فهمى النقراشى وتم له ما أراد....... ثم محاولة نسف المحكمة حيث اكتشف أحد المخبرين الحقيبة المحملة بالمواد الحارقة المعدة للانفجار بجوار دولاب حفظ أوراق قضية السيارة الجيب إلا أن العملية فشلت) ص ٤٥٠-٤٥١.**

فإذا كان عبد الرحمن السندى هو قاتل الخازندار فإن سيد فايز هو قاتل النقراشى وصاحب قرار شن حرب العصابات فوق أرض مصر ومفجر المحكمة بمن فيها وما فيها مع إيقاف التنفيذ!! ونية المرء خير من عمله!!.

إذن فقد كان هناك قرار بشن حرب عصابات فوق أرض مصر هكذا قال محمود الصباغ بالحرف الواحد... ومن هنا يصبح وصفنا لهم بآل كابونى وصفا مبررا. لم يشرح لنا هؤلاء الجهابذة كيف اتخذوا هذا القرار الخطير ولا مبررات اتخاذه ولا من اتخذه وهل شارك الإمام الشهيد فى اتخاذ هذا القرار أم أنه كان كالعادة جاهزا ببيانين بيان إدانة وبيان إشادة ومباركة ولكل مقام مقال ولكل زمان إمام.

ناهيك عن أن محمود الصباغ لم يحدثنا عن كيفية شن هذه الحــرب ولا تكلفتها ماديا وبشريا ومن سيتحمل هذه التكاليف التى كان مــن الممكــن أن تأكل الأخضر واليابس إذا قدر للأخوان أن ينفذوا ذلك القرار المعتوه والحمد لله أنهم فشلوا فشلا ساحقا وأعطاهم الله الفرصة بعد ذلك أن يجربوا فى شعب مصر من خلال ثورة يوليو المجيدة والنتيجة معلومة للجميع.

دارت الأيام وقيل على لسان صلاح شادى "**أن المرشد قــد قــدم إليــه سيد فايز قبل حادث اغتيال النقراشى باعتباره المسئول عن النظام الخاص) ص ١٣٧.**

و يزعم صلاح شادى (**أن هاتين العمليتين -اغتيال النقراشى ومحاولة نسف المحكمة- كان السندى قد أبرم أمرهما من وراء ظهر ســيد فــايز!! ومن وراء المرشد ظنا منه أن إحراق أوراق التحقيق فيه إعــدام للتهمــة)** ص ١٣٨.

ويذكر صلاح شادى فى هامش نفس الصفحة شهادة للأخ عبــد الحلــيم محمد أن (**أمر التنفيذ صدر من السيد فايز شخصيا)**

وهذا الكلام يؤكد استنتاجنا السابق أن المرشد الملهم كان فى آخر أيامه بلا حول ولا قوة وكانت القوة لأصحاب القوة.

المهم دارت الأيام وجاء حسن الهضيبى مرشدا وكان راغبا فى تغيير (قائد الجيش عبد الرحمن السندي) وهى حكاية تشبه قصة جمال عبد الناصر وعبــد الحكيم عامر الذى كان عبد الناصر يرغب فى إقصائه عن قيادة الجــيش بعــد حرب ١٩٥٦ ولكنه كان عاجزا وترك الجيش يتحلل حتى كارثة يونيو ١٩٦٧.

(أحس السندى بهذه الرغبة وأن الأرض التى يقف عليها لم تعد صلبة فتحرك على محورين المحور الأول هو محاولة خلع المرشد ثم هداه تفكيره إلى التخلص من هؤلاء الذين يحفرون الأرض تحت قدميه وربما هداه هواه إلى أن إفضاء سيد فايز للمرشد بمعلوماته عن النظام تبيح لــه قتلــه!!). صلاح شادى النقاط فوق الحروف ص ١٤٢.

المهم أنه قد جرى اغتيال السيد فايز على يد إخوانه من الجيش الإسلامى وفقا لاعترافاتهم يوم الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣ حيــث حمــل إليــه أحــد الأخوة- جزاه الله خيرا!!- (**هدية عبارة عن حلوى المولد النبوى الشريف بداخلها شحنة ناسفة من مادة الجلجنايت شديدة الانفجار حتــى إذا حضــر**

سيد فايز بعد ذلك انفجرت هدية إخوانه فى محيط الغرفة وأطاحت بحائطها الذى هوى إلى الشارع) صلاح شادى ص ١٤٤.

هؤلاء يا أخى هم أعضاء الجيش الإسلامى المنوط به تحرير المسلمين وإقامة الدولة الإسلامية وصدق أمير المؤمنين على بن أبى طالب من سل سيف البغى قتل به ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

القول الفصل فى فقه القتل والسحل:

وقبل أن نأخذ الخلاصة الشافية فى فتاوى القتل والسحل على يد البحر الزخار محمود الصباغ لا بد أن ننوه إلى أن هذا الكتاب الذى حوى أكبر كمية ممكنة من الحمق السياسى والخلل الفكرى قد قدم له المرشد الحالى لجماعة الأخوان المسلمين **(مصطفى مشهور)** قائلا **(و قد عرض الأخ محمود الصباغ فى هذا الكتاب لكثير من الصفحات المشرقة فجزاه الله خيرا ونفعه ونفع به)**.

من هنا يمكننا أن نزعم أن هذه "الصفحات المشرقة" تمثل من دون أدنى شك فكر المرشد الحالى للجماعة (كتب هذا الكلام قبل وفاته عام ٢٠٠٢ ثم وفاة خلفه مأمون الهضيبى فى يناير ٢٠٠٤) وطبعا كل المرشدين (ملهمون) فضلا عن صلة التلمذة التى جمعت التلميذ الصباغ بالأستاذ مشهور.

فماذا قال الصباغ فى خلاصته الفقهية: "**لا يمكن أن يعتبر أن قتل النقراشى من حوادث الاغتيالات السياسية (!!) فهو عمل فدائى صرف قام به أبطال الأخوان المسلمين لما ظهرت خيانة النقراشى باشا صارخة فى حرب فلسطين ثم أعلن الحرب على الطائفة المسلمة الوحيدة التى تنزل ضربات موجعة باليهود. فحل جماعتهم واعتقل قادتهم وصادر ممتلكاتهم وحرم أن تقوم دعوة فى مصر تدعو إلى هذه المبادئ الفاضلة إلى الأبد فكانت خيانة صارخة لا تستتر وراء عذر أو مبرر مما يوجب قتل هذا الخائن شرعا ويكون قتله فرض عين على كل مسلم ومسلمة)**.

إنه المذهب (الصباغى الأخواني) فلو عرضت هذه الاتهامات الموجهة للنقراشى على محكمة من العقلاء فربما وجدوا له عذرا يخرجه من تهمة الخيانة ومحاربة الله ورسوله لاختلافه مع الأخوان المسلمين وهو الذى كان متحالفا معهم حتى زمن قريب وربما حكم البعض ببراءته وحكم البعض

الآخر بإعدامه الذى سيكون بكل تأكيد **(فرض كفاية)** لو قام به أحد أفراد الأمة المسلمة التى هى الأخوان المسلمين لسقط عن باقى أفراد الأمة أما بالنسبة للمذهب الصباغى الإخوانى الذى باركه ذلك المشهور فقتل النقراشى فرض عين على كل مسلم ومسلمة!!!

وهذا يقطع بصحة ادعائنا عليهم أنهم يرون الجماعة هى الإسلام كل الإسلام وأن خصوم الجماعة هم أعداء الإسلام وإلا كيف مر هذا الكلام على ذلك المشهور؟؟.

نمضى مع ذلك الصباغ وهو يقرر لنا أصول فقه الاغتيالات الذى باركه مرشد الجماعة الحالى وهى القواعد التى تنطبق على كل من اتهمته الجماعة بمعاداتها مثل النقراشى فهو كافر مشرك وإن صلى وإن صام فهو يستحق العقوبات التالية:

١- يجوز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأصر على العداء والتحريض على حرب المسلمين.

٢- يجوز اغتيال من أعان على قتال المسلمين سواء بيده أو بماله أو بلسانه.

٣- يجوز التجسس على أهل الحرب.

٤- يجوز إيهام العدو القول للمصلحة. ص ٤٣٧.

والشاهد أن كل هذا الكلام جاء فى سياق الاستدلال على وجوب اغتيال النقراشى ونسف المحكمة وبالطبع فمسألة عدم إسلام خصوم الجماعة السياسيين وانطباق هذه الأحكام عليهم هى من المسائل المحسومة عند صاحبنا وعند أقرانه وأكبر تنازل يمكن لهؤلاء تقديمه فيما إذا قوبلت عملية القتل بالاغتيال والاستهجان أن يجرى اعتبار العملية مجرد قتل خطأ و(كلب وراح واللى تعرف ديته اقتله).

ويسأل سائل ما هو المبرر لفتح تلك الصفحات الآن فقد دفن هذا التاريخ ودفن أغلب أبطال هذه المرحلة وكاد المرشد الحالى أن يلقى ربه ليسأله عما قدم وهناك أجيال جديدة لا شك أنها تختلف عن سابقتها وتمارس العمل السياسى فى النقابات ومجلس الشعب وتسعى لأن تصبح جزءا من الشرعية الاجتماعية والسياسية؟؟؟. فلماذا فتح هذه الصفحات وتأليب الصراعات؟؟

الجواب يعرفه الذى ينظرون إلى الساحة نظرة أوسع من رؤيتهم العدائية أو المناصرة لهذا التنظيم أو ذاك.

فاستخدام القوة فى الصراعات الداخلية هو حالة استثنائية ولا يمكن أن تكون سياسة ثابتة كما نظر هؤلاء (من التنظير) ووضعوا قواعد للاشتباك لا زالت موجودة على الأرض ومحفورة فى الوجدان وقد وجدت طريقها إلى أماكن كثيرة خارج مصر حيث جرى جزأرتها أو أفغنتها أو سودنتها ونزع اسم الأخوان المسلمين عنها وأسبغ قادة الفصائل الجديدة على أنفسهم صفات الإلهام والعبقرية والذكاء ولكن يبقى أصل هذا المشروع الفكرى فى ثوبه المعاصر واحدا وهو ما ذكرناه فى هذه الصفحات.

الأمر الثانى أن هذه الجماعة حينما تخلت عن خططها العسكرية الحربية فهى لم تفعل هذا من خلال إنجاز اجتهاد بمعناه الفكرى والشرعى. هذا الاجتهاد الذى يقتضى نقد وتحليل ما سبق والاعتراف بما فيه من أخطاء والتمسك بما فيه من صواب وكل ما عدا ذلك لا يعدو كونه مجرد تراجع فوضوى غير منظم أملته ظروف المرحلة ليس إلا ليبقى على الجذور الفكرية الفاسدة والمختلة ويلقى ظلالا من الشك حول ادعاء تلك الجماعة بنبذ العنف والقتل غير المبرر.

الأمر الثالث أننا حين نتصدى لتحليل ذلك التاريخ والكتابة عن ذلك الفكر لا نفعل ذلك انطلاقا من رغبة استئصالية نقدر أو لا نقدر عليها وإنما نفعله من منطلق رؤية توحيدية تجعل من تراثنا التاريخى وحدة واحدة لا يمتلك فيه الأفراد إلا رقعة ضيقة للغاية هى سيرتهم الذاتية ويبقى كل ما هو جماعى أو عام ملك للأمة كل الأمة.

الأمر الرابع الذى حتم علينا القيام بهذه الدراسة هو ذلك الاعتذار السمج والمكرر الذى يردده المتحدثون باسم هذه الجماعة حين تثار هذه القضايا التاريخية فيردون على ذلك السؤال المثار (بأكلاشيه محفوظ) هو- لقد كانت الأحداث مجرد حوادث فردية وجرى إدانتها فى وقتها- فهل فتوى ذلك الأحمق بأن قتل النقراشى كان فرض عين على كل مسلم ومسلمة تعبر عن تلك الحالة الفردانية التى يرددها متحدثوا الأخوان فى كرنفالات السياسة المصرية؟؟.

الشيء الأخير الذى نود أن نقوله لإخواننا المسلمين فى جماعة الأخوان أن كل ما أنجزوه فى عالم السياسة منذ نشأتهم إلى يومنا هذا لم يتحقق من خلال استخدام العنف وإنما من خلال استخدام الوسائل السلمية وهذا ما تمليه

طبيعة الساحة المصرية التى لم تألف هذا النوع من السلوك إلا على يد (كان وأخواتها)!!.

إن هذا الاستخدام غير المبرر للعنف واتخاذ قرار مجنون بشن حرب عصابات فى شوارع مصر يكشف بوضوح عن خلل جوهرى فى قراءة هؤلاء السادة للتاريخ الإسلامى واعتقادهم أن مشاكل العالم الإسلامى ما زالت ساخنة وتستدعى التدخل الحاسم والسريع حيث لم تحدث الردة المزعومة إلا قبل يوم أو بعض يوم على يد الخائن أتاتورك إلى آخر هذا الكلام الذى فندناه سابقا ومن ثم كانت رؤيتهم التى ترى الضرب والحديد ما زال ساخنا وفات هؤلاء أن حديد الأمة لم يبق منه شئ لم يصدأ بعد.

ناهيك عن تلك الأكاذيب أو السقطات التنظيرية التى اعتمدوها فى مواجهة الواقع من افتراض أنهم النواة الصلبة للأمة الإسلامية الجديدة فهم من وجهة نظرهم **أكثر من حزب وأقل قليلا من أمة وهم يمتلكون ولاية عامة فمن والاهم فقد والى الله** و**من عاداهم فقد عادى الله** ولا عجب فقد أقنعهم المرشد الملهم أنهم أصحاب محمد وحاملو لوائه كما حملوه ورافعو قرآنه كما رفعوه ورحمة الله للعالمين (انظر مجموع رسائل حسن البنا)، كل هذا قد زرع فى نفوسهم كم هائل من الغرور وانعدام البصيرة لا زال قائما حتى لحظة كتابة هذه السطور وقد تم تركيب كل هذا على عقليات سياسية من نوعية الأخ الصباغ هذا وأغلب المتسيدين فيهم هم على شاكلته أضف إلى ذلك أن منابعهم الفقهية والفكرية من نوعية تلك الخلاصة الفكرية المنتقاة التى أوردناها ومن فكر ابن تيميه ومن كانوا على شاكلته ولاشك أن هذا هو (المزيج أو الخلطة القاتلة) لأى حركة أو مشروع سياسى إسلامى أو حتى غير إسلامي.

الأخوان المسلمون يدمنون الفشل:

محاولة اغتيال عبد الناصر.

لم يحاول الأخوان السلمون يوما ما إدانة أنفسهم مهما ارتكبوا من أخطاء أو أساءوا التقدير وكما ذكرنا من قبل على لسان هذا الصباغ أن (إعدام النقراشى كان فرض عين على كل مسلم ومسلمة وأن النقراشى هو الذى قتل النقراشى والخازندار هو الذى قتل الخازندار وكان فضل الله عليك عظيما

وكان نصر الله للمؤمنين عظيما) إلى آخر تلك الخزعبلات التى امتلأت بها صفحات كتابه المملوء بالحكمة والموعظة الحسنة ومن لا يصدقنا فليرجع إلى الكتاب.

انتقل الأخوان من فشل إلى فشل حتى وإن نجحت رصاصاتهم فى إصابة بعض الأهداف فالنتائج كانت وخيمة ومأساوية للغاية، وهم لم يستفيدوا شيئا من الكارثة التى سبقت ولحقت اغتيال النقراشى حيث عادوا بعد خروجهم من السجن فى قضية سيارة الجيب ليقوموا بإعادة تشكيل النظام الخاص وهى عودة تزامنت مع تحولين هامين هما:

١- نجاح تحالفهم مع مجموعة الضباط الأحرار فى الإطاحة بالنظام الملكى ومجيء عبد الناصر حليفهم والابن البار للتنظيم الخاص وواحد ممن أعطوا البيعة إياها فى حى الصليبة.

٢- تفاقم النزاع بينهم حول قيادة التنظيم الخاص ما بين جناح مؤيد للمرشد الجديد حسن الهضيبى وقيادة التنظيم الخاص عبد الرحمن السندى الذى فشل الإمام السابق فى الإطاحة به حسب رواية (صلاح شادي) أو مات وهو عنه راض (حسب رواية محمود الصباغ) مع ملاحظة أن السندى هو من قام بضم عبد الناصر إلى التنظيم الخاص.

تفاقم الصراع بين الإمام الجديد والثوار الذين نجحوا فى استمالة السندى إلى جانبهم بالإضافة إلى عدد من القيادات الإخوانية الشهيرة غير الراضية عن الهضيبى متهمة إياه بأنه مرشح القصر لقيادة الأخوان وليس لنا مصلحة ولا نرى فائدة من مناقشة هذه المهاترات المتداولة فى أوساطهم إلى يومنا هذا.

المهم كان المرشد يحارب على جبهتين جبهة الثوار وجبهة الانشقاقات داخل الجماعة التى تجلت بوضوح فى اغتيال سيد فايز على يد إخوانه بشحنة ناسفة شديدة الانفجار يوم الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣، وهو اغتيال كان المتهم الرئيسى فيه هو الأخ عبد الرحمن السندى الذى تحول إلى حليف رئيسى للثوار. ومن هنا لم يتخذ النظام الثورى أى إجراء جاد لمعاقبة المسئولين عن هذه الجريمة التى كانت تصب من دون شك فى اتجاه إزكاء الصراع بين الجناحين المتنازعين. وهى مسألة ما كان ينبغى لها أن تمر على المرشد الجديد رجل القضاء السابق الذى كان عليه أن يدرك أن يد النظام الجديد أصبحت تعبث فى عقر داره، وكان على فضيلته أن يقرأ

الرسالة جيدا وأن يتخلى فى الوقت الملائم عن اشتباكه مع رجالات الثورة وعناده الذى كلفه وكلف جماعته الكثير والكثير من الخسائر المادية والمعنوية والسياسية، ناهيك عن أن هذا الأسلوب القديم لم ينفع مع حكومات مدنية منتخبة كانت تلتزم بسيادة القانون واستقلال القضاء فهل ينفع (المذهب الإخوانى الصباغي) الذى أفتى باغتيال النقراشى وكونه فرض عين على كل مسلم ومسلمة- هل ينفع هذا الأسلوب مع العسكر الذين اعتادوا على إطلاق الرصاص وإصدار الأحكام العسكرية؟؟ يبدو أن المرشد كان يعتقد بنجاعة هذا الأسلوب ومن هنا كانت تلك المحاولة الفاشلة لاغتيال جمال عبد الناصر على يد عصابة آل كابونى بعدما أعاد المرشد تشكيلها وفات رجل القانون الذى تحول إلى قائد عصابة من القتلة أن نظام الحكم الذى كانت تسود فيه سيادة القانون ويحاكم فيه الموقوفون من الأخوان أمام قضاة طبيعيين ويصدر عليهم حكم بثلاث وخمس سنوات ثم يجرى استئنافه ليخفف الحكم على أحدهم إلى البراءة ومع ذلك لا يعجبهم الحكم ويقتلون القاضى، هذا النظام قد ولى وذهب ولا زال الأخوان يفخرون بدورهم فى القضاء عليه وجاءوا إلينا بحكومة آل كابونى و(اللى يقول بم) يحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة أمام محاكم عسكرية وأمام قضاة ليسوا بقضاة ولا زال الأخوان يفخرون بدورهم فى تأسيس حكومة آل كابونى رضى الله عنهم أجمعين.

وهكذا تقرر اغتيال عبد الناصر على يد الجيش الإسلامى فى ثوبه الجديد بقيادة يوسف طلعت الذى عينه المرشد الجديد حسن الهضيبى (قائدا عاما للقوات الإسلامية المسلحة) ولنستمع إلى شهادة الدكتور "محمود جامع" رجل الأخوان والسادات وهو يدلى بروايته الأقرب للخيال:

(و مع تصاعد حدة الصراع بدأ بعض شباب الأخوان يفكرون فى اغتيال عبد الناصر باعتباره فى نظرهم عدوا للإسلام وأنه يحارب مبادئ الدين) ص ٦١.

هذا ليس بالشيء الجديد فكل خصومهم هم من (أعداء الدين) حتى ولو كانوا هم الذين جاءوا به وباركوه حتى ولو كانوا قد تحالفوا معه مثل النقراشى وعبد الناصر.

"و قد تبين أن عبد الناصر كان قد اخترق الجهاز السرى عن طريق عبد الرحمن السندى (!!) رغم أن الأخير كان قد فصل من الجماعة ولكن كل أخبار وأسرار الجهاز السرى كانت تصل إلى عبد الناصر، مما دفع يوسف طلعت رئيس الجهاز إلى البحث عن كيفية الاختراق وعن الخلية التى تتسرب

من خلالها الأسرار. وبعد بحث طويل اكتشف يوسف طلعت أن خلية امبابة والتى كانت تضم محمود عبد اللطيف هى الخلية المخترقة !!! وأن أمرا قد صدر إليها باغتيال عبد الناصر دون أن يعرف أحد مصدر هذا الأمر!!!؟؟؟؟" ص ٦١.

هل رأى أحد منكم من قبل البلاهة بعينها؟؟ إنها متمثلة فى هذه الواقعة التى يحكيها رجل السادات والأخوان محمود جامع والذى يحاول أن يسوق فى نفس الوقت لذلك الاعتذار المعتوه لمحاولة اغتيال عبد الناصر شريك وصديق الأخوان (السابق!!).

فهو من ناحية يقول (و قد تبين أن عبد الناصر كان قد اخترق الجهاز السرى عن طريق عبد الرحمن السندي!!؟؟)، إن السندى كان رئيسا للنظام ولم يكن فردا عاديا ولا قائدا لأحد الفروع فهو الذى قام بضم عبد الناصر للتنظيم الخاص ثم تطورت علاقته بعبد الناصر من خلال التنسيق الرسمى المشترك بين الجماعة والثوار........ إنها علاقة رؤوس وليست علاقة تابع ومتبوع ولا يصح إطلاقا وصفها بالاختراق.

ثم لماذا لم يحاول الرجل المرشد قراءة الرسالة التى أرسلت إليه عبر اغتيال السيد فايز مستشاره لشئون التنظيم وفى رواية صلاح شادى (رضى الله عنهم أجمعين) قائد التنظيم من قبل المرشد الأول قبيل وفاته؟؟ تلك الرسالة التى تقول له ببساطة (أنك وأعوانك فى قيادة التنظيم فى مرمى نيراننا بالتعاون مع النظام الثورى الجديد الذى غض الطرف عن هذا الاغتيال ولم يتخذ أى إجراء ضد القتلة).

لهذا كله كان ينبغى على حسن الهضيبى أن يدرك أن تنظيمه الحديدى الجديد؟؟ أصبح مكشوفا ومخترقا وينبغى سحبه للإصلاح أو للاستبدال لأن القيادة الأصلية للتنظيم أصبحت هناك فى حضن الأعداء الجدد ومن هنا فالزج بهذا التنظيم (الكفتة) فى أى عمليات جديدة هو انتحار رسمي.

ثانيا ألم يبن هؤلاء دعايتهم عن مبررات وجود ذلك التنظيم العصابى أنه أنشئ لمحاربة إسرائيل فلماذا أعاد الرجل المرشد رجل القانون والسلام بناء التنظيم فى هذا الوقت وفى مواجهة من؟؟.......... أليسوا هم الذين جاءوا بعبد الناصر ورفاقه ؟ وفى أقل الأحوال ألم يكن المجيء بهذا النظام الثورى الجديد هو نيتهم ونية المرء خير من عمله؟؟؟...... هل كان هؤلاء يريدون أن تبقى مصر حقل تجارب للأخوان الذين ربما كانوا يريدون العودة بها إلى

مرحلة الدولة العثمانية والمملوكية التى لم يكن يستمر فيها أحد فى حكم البلاد أكثر من عام يقتل قبلها أو بعدها أو يخلع ويهيم على وجهه فى البلاد فارا بنفسه وبما نهب من أموال المصريين.

هل كان القوم يؤسسون لدولة (المماليك الأخوانية) حيث يأتون بحاكم أهم مواصفاته البيعة فى حى الصليبية على المصحف والمسدس فإذا فشل فى اختبار الحكم قامت الجماعة بقتله أو خلعه ثم سحله والمجيء بغيره وهلم جرا.

هكذا قرر الأخوان اغتيال (أخيهم) عبد الناصر كما اغتالوا بالفعل أخيهم السيد فايز وصدر الأمر إلى خلية امبابة بتنفيذ العلمية تلك الخلية التى يدعى الدكتور/ جامع أن السندى كان قد اخترقها وأن أمر الاغتيال صدر من جهة مجهولة إنها(شنشنة أعرفها من أخزم!!) يقصد (أن عبد الناصر أصدر أمرا باغتيال عبد الناصر) وهو كلام ينقضه نقضا تاما بقية الرواية التى سيذكرها الدكتور عن محاولة الاغتيال، وعلى كل حال حتى لو صدقنا حكاية الجهة المجهولة إياها فهى جهة أخوانية صرفة حتى ولو كانت مجهولة.

ناهيك عن أننا نعتبر المرشد الأول والثانى وكل المرشدين من بعدهم هم بالفعل جهة مجهولة وهم لا يمتلكون ولاية شرعية على أحد من أمة محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام وهو ما بيناه فى كتابنا عن (محاولة استمساخ الأمة) ناهيك عن أننا نهدى هذه الصورة المأساوية لشبابنا الذين يحلمون بدخول الجنة لتفانيهم فى السمع والطاعة لتلك القيادات الجاهلة والمجهولة.

صدر الأمر إذن لهنداوى دوير قائد خلية إمبابة باغتيال عبد الناصر ولفرط ذكائه!! وبعدما أعد الخطة ذهب إلى جاره الدكتور عبد العزيز كامل عضو مكتب الإرشاد الذى أصبح فيما بعد وزيرا للأوقاف وكان يقطن فى نفس العمارة وأخبره بالخطة فانزعج الرجل وحاول الاتصال بالمرشد حسن الهضيبى المختفى فى الإسكندرية فى مكان سرى فلم يعثر عليه وخشية من مضاعفات الحادث الخطير على الجميع ذهب إلى عبد الناصر وأخبره بالقصة كاملة فأمر عبد الناصر بالقبض على هنداوى دوير وإحضاره إليه وبعد جلسة طويلة اتفق عبد الناصر وهنداوى دوير على أن يقوم الأخير بتمثيل العملية حتى نهايتها ووعده بالإفراج عنه فورا وأخذت الاحتياطات اللازمة من أجهزة المخابرات دون علم محمود عبد اللطيف واستبدل المسدس والطلقات بأخرى فشنك وبات فى حراسة المخابرات دون أن يدرى و(مثل) عبد الناصر الدور حتى آخر لحظة وهذا يفسر صياح هنداوى دوير أمام

الجميع أثناء اقتياده لحبل المشنقة أريد عبد الناصر..... لم نتفق على هـذا) ص ٦٢-٦٤.

هل كانت حقا تمثيلية أيها السادة يا من تعشقون ترديد هذا السخف إلـى يومنا هذا؟؟

لم تكن تمثيلية ولكنها كانت فضيحة تنظيم ما زال يدعى أنه هو خيـر الورى وأفضل من فهم الإسلام والأقدر على حفظ وحـدة الأمـة وصـيانة مصالحها من الضياع إلى آخر تلك الدعايات الوردية الفارغة التى يرددهـا قادة تلك التنظيمات الجاهلون المجهولون والمتملقون لهم رغبة ورهبة.

إنه غرور نابع من إحساس زائف بالقوة والأهم من ذلك كلـه خطـورة الانقياد الأعمى والسمع والطاعة والإذعان لبشر كبقية البشر وربما كان أدنى مستوى من غيره ولكن أجهزة الدعاية والإعلام هى التى تصنع من الفسـيخ شربات، إنه درس لأصحاب الوعى المغيب الذين ما زالوا يعيشون فى وهم الجماعة المصنوع والسمع والطاعة والجندية لأناس على شـاكلة الهضـيبى وهنداوى دوير وعبد الرحمن السندى ويوسف طلعت والبقية تأتي.

ثم جاء سيد قطب ليقلب الطاولة على الجميع.

حدثنا بعض من عاصر تلك المرحلة المبكرة من عمـر الثـورة ١٩٥٢-١٩٥٤ (و الأسماء عندنا) أن سيد قطب كان من رجالات عبد الناصر المقربين لا من رجالات الأخوان، إنه رجل التعليم "الأديب" الذى كتـب وثيقـة (هيئـة التحرير) ويعرف هؤلاء أيضا أن انقلاب سيد قطب على حليفه وصـديقه عبـد الناصر جاء بعد ما عجز عن الوفاء بوعده له بتعيينه وزيـرا للمعـارف فـى حكومته وهكذا قرر سيد قطب أن يحرق الأرض من تحت أقدام عبـد الناصـر وأن ينضم إلى خصومه الأخوانيين فى ذروة صدامهم مع صديق الأمس.

يقول سيد قطب فى شهادته المسماة (لماذا أعدموني):

(استغرقت فى العمل مع رجال ثورة ٢٣ يوليو حتى فبراير سنة ١٩٥٣ عندما بدأ تفكيرى وتفكيرهم يفترق حول هيئة التحرير ومنهج تكوينها وحول مسائل أخرى جارية فى ذلك الحين لا داعى لتفصيلها.. وفى الوقـت نفسـه كانت علاقاتى بجماعة الإخوان تتوثق باعتبارها فى نظرى حقـلاً صـالحاً للعمل للإسلام على نطاق واسع فى المنطقة كلها بحركة إحياء وبعث شاملة، وهى الحركة التى ليس لها فى نظرى بديل يكافئهـا للوقـوف فـى وجـه المخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية التى كنت قد عرفـت عنهـا

الكثير وبخاصة فى فترة وجودى فى أمريكا. وكانت نتيجة هــذه الظــروف مجتمعة انضمامي بالفعل سنة ١٩٥٣ إلى جماعة الإخوان المسلمين. ثم كانت حوادث ١٩٥٤ فاعتقلت مع من اعتقلوا فى يناير وأفرج عنهم فى مارس! ثم اعتقلت بعد حادث المنشية فى ٢٦ أكتوبر، واتهمت بأنى فى الجهاز الســرى ورئيس لقسم المنشورات به، ولم يكن شيء من هذا كله صحيحاً).

المهم فيما يتعلق بالخلاف بين رجال الثورة والإخوان المسلمين. وكنــت فى ذلك الوقت ألاحظ نموه عن قرب، لأننى أعمل أكثر من اثنتــى عشــرة ساعة يومياً قريباً من رجال الثورة ومعهم ومع من يحيط بهم.. أقول المهــم أن الأستاذ فؤاد جلال (توفي وكان وزيراً فى أول وزارة برياســة الــرئيس السابق محمد نجيب) كان من بين أعضاء جمعية الفلاح وكان وكيلاً للجمعية (المتهمة من قبل سيد قطب بالعمالة للأمريكان؟!). وكنت ألاحظ فى مناسبات كثيرة أنه يغذى الخلاف بين رجال الثورة والإخــوان المســلمين، ويضــخم المخاوف منهم. ويستغل ثقة الرئيس جمال عبد الناصر به، ويبث هذه الأفكار فى مناسبات كثيرة لم يكن يخفيها عنى لأنه كان يرانى كذلك مقرباً من رجال الثورة وموضع ثقتهم مع ترشيحهم لى لبعض المناصب الكبيرة الهامة ومــع تشاورنا كذلك على المفتوح فى الأحوال الجارية إذ ذاك، مثل مسائل العمال والحركات الشيوعية التخريبية بينهم بل مثل مسألة الانتقال ومدتها والدستور الذى يصدر فيها.. الخ).

(المهم أننى كنت أربط بين خطة الأستاذ فؤاد وجمعية الفلاح كمنظمــة أمريكية الاتجاه والاتصال وبين إشعال الخلاف بين الثورة والإخوان، وقــد حاولت فى وقتها ما أمكن منع التصادم الذى كنت ألمــح بــوادره، ولكنــى عجزت، وتغلب الاتجاه الآخر فى النهاية.

ولكن ما علاقة هذه المقدمة الطويلة بحادث المنشية؟ والقضية الجديدة؟ منــذ أن وقع هذا الحادث وأنا أشك فى تدبيره لم أكن أعلم شيئاً يقينياً عن ذلك. ولكــن كل الظروف المحيطة كانت تجعلنى أشك فى أنه ليس طبيعياً. كان شيء ما يلح على تفكيرى فى أنه مدبر لتكملة الخطة التى تنتهى بالتصادم الضخم بين الثورة والإخوان تحقيقاً لأهداف أجنبية.. أرجح من استقراء الأحوال ومن خطة الأستاذ فؤاد جلال وكيل جمعية الفلاح أنها أمريكية! وعندما كان السيد صلاح دســوقى يستجوبنى هنا فى السجن الحربى عام ١٩٥٤ صــارحته برأيــى فــى تــدبير الحادث.. وقد انتفض وقتها بشدة وهو يقول لي: هل أنت كذلك بكل ثقافتك مــن الذين يقولون أنها تمثيلية؟ وقلت له: أنا لا أقول أنها تمثيلية ولكنى أقــول أنهــا

مدبرة لهدف معين وأن أصبعا أجنبياً ذات دخل فيها.. قال لي وقتها وقد هدأ اضطرابه: جايز! ولكن واحداً من الإخوان المسلمين هو الذى قام بالحادث! ثم أعود لسرد الأحداث المتعلقة بنشاطي بعد عام ١٩٥٤ أن شعوري وتقديري بأن حادث المنشية مدبر تدبيراً، جعل يملأ نفسى رغبة فى معرفة الحقيقة غير أننى لم أجد أحداً ممن التقيت بهم فى سجن طره عام ١٩٥٥ وكانوا كثيرين قبل ترحيلهم إلى الواحات يدلنى على هذه الحقيقة.. كل من سألتهم ومنهم ناس قريبون جداً من محمود عبد اللطيف الذى انطلقت الرصاصات من مسدسه ومن هنداوى دوير كذلك قالوا لي: المسالة غامضة وموش عارفين الحكاية دى حصلت ازاي. وبعضهم قال: المسألة فيها سر لا يمكن الآن معرفته.. وكانت كل الأجوبة لا تملك أن تعطيني الحقيقة..

غير أن هذا كله كان يزيد نفسى شعوراً من ناحية أخرى بأن السياسة المخططة من جانب الصهيونية والصليبية الاستعمارية لتدمير حركة الإخوان المسلمين فى المنطقة تحقيقاً لمصالح ومخططات تلك الجهات قد تحققت بنجاح.. وأنه فى الوقت ذاته لابد من محاولة الرد على تلك المخططات بإعادة حياة ونشاط الحركة الإسلامية حتى ولو كانت الدولة لسبب أو أكثر لا تريد. فالدولة تخطئ وتصيب!)[1].

من البديهى أن الصدام بين الدولة والإخوان وغير الإخوان لا يصب فى مصلحة أى من الفريقين وكان من الضرورى التدبر والتأمل فى أسباب الصدام وموجباته قبل أن يحدث وقبل أن تقع الفأس فى الرأس كما يقولون.

أما وقد وقع الصدام فقد أصبح لزاما أن يراجع كل فريق أعماله ويتحمل المسئولية عن تصرفاته بدلا من إلقاء العبء على الآخرين.

كان من المتعين على سيد قطب أن يتأكد من رفاق السلاح عمن قام بمحاولة الاغتيال الفاشلة فى ميدان المنشية بدلا من إلقاء اللوم على الصهاينة والأمريكان وعدم استخلاص الدروس من التجربة الفاشلة والإصرار رغم ذلك على مواصلة السير فى طريق الويل والثبور!!.

المهم أن سيد قطب عندما سأل إخوانه المسلمين داخل السجون عن حقيقة حادثة المنشية ومحاولة اغتيال رفيق السلاح والإخوان السابق جمال عبد الناصر كان الجواب هو لا نعلم ولا نعرف وأبدى القوم اندهاشهم!!.

---

[1] لماذا أعدموني. سيد قطب.
http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=18&book=486

هل يصلح هذا كدليل نفي؟!.

الجواب لا وألف لا.

المهم أن إحساس الظلم والغبن قد ملأ النفوس كما يقول هو نفسه (امتلأت نفسى شعوراً بالظلم الذى أصاب آلاف الأفراد وآلاف الأسر والبيوت. بناء على حادث واضح جداً تدبيره- حتى ولو لم يعلم بالضبط فى ذلك الوقت من دبره- وبناء على الرغبة من حماية النظام ثم تضخم هذا الشعور وأنا أرى النتائج الواقعية فى حياة المجتمع المصرى من انتشار هائل للأفكار الإلحادية وللانحلال الأخلاقى نتيجة لتدمير حركة الإخوان المسلمين ووقف نشاطها التربوي)[1].

فى هذا المناخ ولد كتاب (معالم فى الطريق) ذلك الكتاب الذى طبعت منه عشرات الطبعات المرخصة وغير المرخصة والتى شكلت وقودا بالغ الالتهاب لآلاف الشباب المتمرد على مجتمعات ظالمة قائمة على استئثار طبقة فاسدة لا تملك من مؤهلات الحكم إلا العصا والسوط والمسدس وآلاف الزنازين التى بنيت على عجل لاحتواء غضبة تلك الجماهير وتمردها ريثما يتم إعدامها أو تهدئتها وإلهائها.

ولكنه على كل حال وقود لا يشتعل داخل المحرك ولا يعطى دفعة للأمام إنه مادة تحرق من يحملها وتحرق المجتمعات التى يعيش فيها ذلك (الفكر الحارق).

جاء سيد قطب (الفصيح البليغ!؟؟) مستخدما قدراته الكلامية ونفسه الطويل فى استخدام الألفاظ وتكرارها ومطها وعكها ثم دكها فى صياغة نظرية دموية فوضوية كان لها قصب السبق فى ساحات الفكر الإسلامى المصاب بالأنيميا والهزال من مشرق الأرض إلى مغربها.

سيد قطب يدعو المسلمين إلى الإسلام:

انطلق سيد قطب فى بناء منهجه الدموى من تقرير قاعدة (جاهلية المجتمع المسلم) ونفى صفة الإسلام عنه ثم دعوته إلى إنشاء أو اعتناق الإسلام من جديد فقال: **(كذلك ينبغى أن يكون مفهوما لأصحاب الدعوة**

---

[1] نفس المصدر ص ١٠.

الإسلامية أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولا إلى اعتناق العقيدة حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين وتشهد لهم شهادات الميلاد أنهم مسلمون) ص ٤٠- معالم فى الطريق.

(و لتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام كما كانت هي أساس دعوتهم إلى الإسلام أول مرة هذه الدعوة التى تكفل بها القرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاما) ص- ٤٠.

إنه تكفير واضح وصريح لا ينفع معه أى نوع من مساحيق التجميل ولا كل أنواع الدعاية والتضليل التى مارسها المؤمنون بذلك الفكر التكفيرى البشع والمعجبون بهذا الفكر من الناقمين على تلك النظم الجائرة ولكننا لسنا مقتنعين بشيء من هذه المبررات فلماذا نلجأ إلى طريق لا يقودنا إلى ما نهدف للوصول إليه لمجرد أننا نكره تلك النظم الجائرة ونحلم بنظم أكثر عدلا وأكثر ديمقراطية؟؟ وما هى الفائدة التى سنجنيها من مدح ذلك الفكر المغرور المتغطرس الذى يفتتح بتكفير الناس كل الناس حكاما ومحكومين ورفض قبول ادعائهم بالإسلام ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين وتشهد لهم شهادات الميلاد أنهم مسلمون؟؟.

و الواقع يقول أنه لا تكفير الحكام ولا تكفير المحكومين نفعنا أو سينفعنا ولا قربنا قيد أنملة مما نحلم به من إقامة نظم حكم عادلة تلتزم بالإسلام شريعة ومنهاجا.

و قبل أن نخوض فى نظرية سيد قطب الجهادية نرد على المتوثبين للدفع بأن سيد قطب لم يكن يمثل الأخوان تمثيلا صحيحا فنقول أن هذا الفكر هو فكر ثلاثي الأبعاد تلك الأبعاد التى يلتقى فيها سيد قطب مع غيره من المنتمين إلى هذه الجماعات وليس هناك فارق كبير بين هذا وذاك.

١- النظر إلى المجتمع نظرة احتقار وازدراء وتكفير تستثنى المجموعة إياها وإن اختلفت المصطلحات حيث لا يوجد من الأصل مرجعية فقهية ولا فكرية يعتمد عليها هؤلاء وما تركه مؤسس الجماعة من أفكار لا تعدو كونها مجموعة من القصاصات التى لا يمكن الادعاء إطلاقا بأنها تمثل مرجعية من أى نوع إلا على سبيل الفجور أو المماحكة.

٢- الدعوة إلى إنشاء الأمة الإسلامية من جديد والانضمام إلى الجماعة التنظيم (الأخوان- الجماعة الإسلامية_ الجهاد- التكفير والهجرة) التي ستشكل النواة الصلبة للأمة الإسلامية فى طورها الجديد.

٣- البيعة على السمع والطاعة لقائد الجماعة التنظيم إمام الأمة المزيف (حسن البنا- الهضيبي- مشهور- شكرى مصطفى- عمر عبد الرحمن).

النظرية القطبية الجهادية:

وقع منظرو تلك الجماعات بدءا من إمامهم الملهم الشهيد فى مأزق فكرى خطير دفعهم إليه الرغبة الملحة فى تأديب مخالفيهم ممن يقفون فى وجه الجماعة ويمتنعون عن تطبيق الشريعة الإسلامية حيث استند هؤلاء إلى آيات الجهاد التى تحض على قتال المشركين وأعداء الأمة من المخالفين فى الدين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، فكيف نجحوا فى صرف هذا الاستدلال إلى جواز قتل المسلمين وقتالهم؟؟ وحتى لو نجح هؤلاء فى تكفير الحكام فكيف يمكنهم تكفير العساكر الغلابة الذين يحرسون مؤسسة أو بنكا وبأى منطق يجوز قتل هؤلاء؟؟.

من هنا فإن التنظير لقضية التغيير والإصلاح داخل المجتمعات الإسلامية الذى هو ضرورة حيوية تستلزم الرجوع إلى مصدر مختلف عن المصدر الفقهى والشرعى الذى نرجع إليه لتحديد طبيعة العلاقة بين الدولة الإسلامية وأعدائها فى الدين وهو ما ورد فى سورة التوبة وأغلب سور الجهاد فى كتاب الله العزيز.

من هنا تبدو غرابة وشذوذ الاستدلال على جواز قتل النقراشى بأن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل من قتل كعب الأشراف ذلك الصهيونى الذى كان يجهز لحرب جديدة ضد الإسلام والمسلمين وإنشاء تحالف مشابه لتحالف الأحزاب الذى حاصر المسلمين وألحق بهم بالغ الضرر فما هو وجه الاستدلال بتلك الواقعة على حق الأخوان المسلمين فى رفع السلاح فى وجه مخالفيهم وسفك دمائهم مثلما استدل ذلك الأحمق المسمى محمود الصباغ.

إن حق الأمة فى الديمقراطية والشورى هو حق ثابت وأصيل ولا يستلزم بالضرورة رفع السلاح فى وجه الطبقة الحاكمة، وإنما يستلزم أولا

إيجاد تلك القوى السياسية القادرة على ممارسة تلك الديمقراطية والتعددية والدفاع عن معتقداتها السياسية والأيديولوجية وخوض المعارك الفكرية والسياسية وإيجاد القيادات السياسية والفكرية معلومة الفكر والمصدر والتاريخ الشخصى والأخلاقى، لا تلك القيادات التى تنبغ وتتألق بفضل قدرتها على العيش فى الظلام وممارسة التآمر التنظيمى والتملق الشخصى الذى يطلقون عليه السمع والطاعة فضلا عن قدرتها على الإطاحة بأصحاب الكفاءة ممن يعترضون طريقها. وعندما تتكون هذه القوى السياسية التى تربت على الحرية وعلى حب الحق ولو أدى ذلك إلى الاستشهاد فى سبيل الله وتنطلق فى باحة المجتمع وسط النور وبعيدا عن سياسة الكواليس المغلقة تعرض فكرها وتدافع عن رأيها وعن حق تلك المجتمعات فى الحرية والعدالة والشورى وتعترضها القوى التسلطية يصبح من حق المجتمع كل المجتمع أن يدافع عن حريته وكرامته ويصبح استخدام القوة فى حدها الضرورى الأدنى حالة استثنائية أملتها الضرورات الواقعية الملحة بل والشريعة الإسلامية والوضعية لا شهوة الانتقام ولا الرغبة الملحة فى التنكيل بالخصوم والزئير فى وسط الساحة ها ها من يبارزني!!!؟؟

انطلق سيد قطب من تلك الخلفية التكفيرية يعرض لنا فقهه الجهادى حيث كتب فصلا بعنوان (الجهاد فى سبيل الله) ناقلا عن ابن القيم "فصل فى ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقى الله عز وجل" فهل كانت مجتمعاتنا مجتمعات كافرة حتى يستدل ذلك الفقيه على شرعية جهاده ضدها بهذا العنوان؟.

نعم هى من وجهة نظره كافرة بعدما نعتها سابقا بالجاهلية المعاصرة ص ٦٢، ثم إن هذا (الفقيه الكبير) يعطى ما يسميه بالحركة الإسلامية أى جماعة الأخوان نفس الصلاحيات التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مراحل الدعوة المختلفة فى مواجهة كفار قريش وكفار جزيرة العرب ودولتى الفرس والروم.

ومن هنا ولكى نفهم جيدا ما قاله (قطب) نحدد تقسيمه وتصنيفه لساحة الصراع الفكرى والعقائدى والسياسى المتواجدة على الساحة.

١- الإسلام وتمثله جماعة الأخوان أو تنظيم سيد قطب الذى نشأ من حوله وكلهم يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك.

٢- الكفر الذى تمثله الدولة المعاصرة والمجتمع الجاهلى الذى هو كل من عدا جماعة سيد قطب.

لقد جهزت معداتى لدراسة فقه الرجل الجهادى مستعينا بكتب الفقه والتفسير وقلت لعلنا نجد مادة فقهية تستدعى البحث والرد والتفنيد فلم نجد شيئا سوى خطبا حماسية فى فن التكفير والقتل والسحل فلا وجه من الأصل لاستدلاله بما أورده ابن القيم عن تسلسل أحكام الجهاد فى سبيل الله ولا أثر على الإطلاق ولا معنى لمناقشة الناسخ والمنسوخ بالنسبة لرؤيته فى جهاد المجتمعات الإسلامية بعد تكفيرها والحكم بجاهليتها.

فالخلاف الفقهى حول آية السيف وهل نسخت ما سبقها أو لم تنسخ لا مكان له منذ البدء وما يتحتم مناقشته مع الرجل والمعجبين بفكره المريض (هل هذه مجتمعات كافرة يجب استخدام السيف فى مواجهتها أم هى مجتمعات إسلامية مصونة الدم والمال والعرض وإن ضلت أو انحرفت) ولا أعتقد أن أحدا من أنصار الرجل المعاصرين وعبدة الأسطورة القطبية الكاذبة والمتجرين بالقرب منه والحديث عنه وعن كراماته المزعومة بوسعه الجهر بهذه السخافات أو الدفاع عنها فماذا قال الرجل؟؟.

قلنا من قبل أن سيد قطب يختلف عمن سبقوه بنفسه الكلامى الطويل والممطوط لا البلاغى ومن هنا فقد بز الرجل السابقين بإخراجه لأفكارهم البالية فى تلك الصياغة العاطفية التى تؤثر فى قلوب مريضة أو عقول تافهة ومن هنا كان تقريره لضرورة إنشاء التنظيم الذى هو النواة الصلبة للمجتمع الإسلامى الجديد الذى كان مقررا أن ينشأ على يديه فيقول تحت عنوان (نشأة المجتمع المسلم وخصائصه):

(ومن أجل أن) لاحظ الركاكة (الجاهلية لا تتمثل فى نظرية مجردة ولكن تتمثل فى تجمع حركى فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية ورد الناس إلى الله مرة أخرى لا بد لهذه المحاولة أن تتمثل فى تجمع عضوى حركى أقوى فى قواعده النظرية والتنظيمية وفى روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك المجتمع الجاهلى القائم).

ص-٥٤ فصل (نشأة المجتمع المسلم وخصائصه).

<u>(والقاعدة النظرية التى يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشرى هى قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله أى إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية إفراده بها اعتقادا فى الضمير</u>

<u>**وعبادة فى الشرائع وشريعة فى واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجودة شرعا إلا فى هذه الصورة المتكاملة التى تعطيها وجودا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم) ص- ٥٥ الفصل نفسه.**</u>

ياللهول ثم ياللهول وياللهول إنها حقا كارثة والقوم كلهم يفكرون بطريقة واحدة على طريقة ذلك الأحمق الذى أفتى بأن قتل النقراشى (فرض عين على كل مسلم ومسلمة)، لقد كنت أتخيل قبل بدء دراستى لسيد قطب أننى سأقف أمام (عقاد أو طه حسين الأخوان) فإذا بى أمام ركاكة ما بعدها ركاكة تشهد بها الفقرة السابقة التى أوردناها بتمامها ومن الواضح أن هؤلاء الناس لا يفكرون بعقولهم بل بطرف ألسنتهم وكل همهم هو التناغم مع الحالة التكفيرية السائدة والمزايدة عليها والدليل على ذلك هو ذلك الكلام السفيه الذى أورده صاحبنا من أن (شهادة لا إله إلا الله لا تعتبر موجودة شرعا إلا) وهو اختراع قطبى يضاهئون به قول الخوارج من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون وهذا الإدعاء الفاجر غير المسبوق من تعليق الحكم بقبول إعلان الشهادتين على (إثبات وجودها فعلا أو شرعا) ما هو إلا مزايدة من الخوارج الأخرين على الخوارج الأولين حيث لم يدعى أحد من المسلمين على اختلاف مذاهبهم هذا الإدعاء إلا سيد قطب.

ومتى كان الشرع أى الفقه أى الأحكام الدينية الكلية أو الجزئية حاكمة على العقيدة التى محلها القلب وهل يمكن إيجاز ذلك المنطق الفاجر الأخرق سوى فى كلمة واحدة هى (عقلية الخوارج) أبعدهم الله ولا قرب محلهم فهم وحدهم الذين جعلوا من الشريعة حاكمة على العقيدة وهم وحدهم الذى قالوا بكفر صاحب الكبيرة يعنى بلغة سيد قطب (أن شهادة لا إله إلا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجودة شرعا إلا فى هذه الصورة المتكاملة التى تعطيها وجودا جديا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم).

وهناك سؤال إضافى من هو صاحب الحق فى اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم أنت أم من؟؟

ثم يخرج علينا سيد قطب بنظرية ثالثة مثل نظريات الأخ العقيد وهى ضرورة التفريق بين (المسلمين نظريا) و(المسلمين عمليا) ولا شك أن هذه الأطروحة كانت من أحدث ما أنتجته معامل التكفير المعاصر فماذا قال الرجل.

(ولكن الإسلام كما قلنا لم يكن يملك أن يتمثل فى نظرية مجردة يعتنقها من يعتنقها اعتقادا ويزاولها عبادة ثم يبقى معتنقوها على هذا النحو أفرادا ضمن الكيان العضوى للتجمع الحركي الجاهلى القائم فعلا فإن وجودهم على هذا النحو مهما كثر عددهم لا يمكن أن يؤدى إلى (وجود فعلي) للإسلام لأن الأفراد (المسلمين نظريا)- والقوسين من عنده- الداخلين فى التركيب العضوى للمجتمع الجاهلى سيظلون خلايا حية فى كيانه تمده بعناصر البقاء والامتداد وسيعطونه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا بها ويقوى بدلا من أن تكون حركتهم فى اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلى لإقامة المجتمع الإسلامى ومن ثم لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام فى تجمع عضوى حركى منذ اللحظة الأولى وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة فى رسول الله ص ومن بعده فى كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولاءه من التجمع الحركى الجاهلى الذى جاء منه ومن قيادة ذلك التجمع فى أى صورة كانت وأن يحصر ولاءه فى التجمع العضوى الإسلامى الجديد وفى قيادته المسلمة) ص ٥٥-٥٧.

وهنا يبرز سؤال تلقائى عن نظرة تلاميذ الشهيد للمجتمع وللناس من حولهم وهى نظرة تتجاوز الحكايات البريئة والساذجة عن أن سيد قطب كان يدعو إلى الحاكمية الإلهية وأن "شوية العيال" الذين تتلمذوا على يديه الشريفتين لم يفهموا هذا الكلام على وجهه الصحيح وكأنه كان يكتب قرآنا يحتاج إلى مفسرين وعلماء متخصصين، فأى شئ نطلقه على هذه الكلمات سوى أنها تأسيس للاستحلال والخيانة والغدر وهدم المجتمع المسلم الذى يزعم فضيلته أنه يريد بناءه وأين هو الخطأ وسوء الفهم الذى وقع فيه تلاميذه الجهلة عندما ترجموا هذا الكلام الفارغ إلى هروب من المجتمع وخيانات واستحلال وغدر حسبما استطاعوا وقدر ما توفر لهم.

ألم يكن كل هذا ترجمة لخطبته العصماء عن ضرورة تقويض هذا المجتمع الجاهلى لإقامة المجتمع الإسلامى مكانه والالتفاف حول كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله ولو كانت هذه القيادة هى سيد قطب أو شكرى مصطفى أو عمر عبد الرحمن وعن حتمية عدم إمداد هذا المجتمع بالخبرات الفذة لتلاميذ الشهيد أليست هذه هى المقدمة الطبيعية والمنطقية لفقه التكفير والاستحلال الذى أسسه سيد قطب.

لهذا يمكننا القول أن الرجل قد جر ابن القيم إلى ساحته واستشهد به في معركة لم يكن للرجل فيها ناقة ولا جمل بل كان حديثه في زاد المعاد الذي استشهد به سيد قطب حديثه قاصرا على جهاد رسول الله صلى الله عليه وآله للكفار والمنافقين ولم يتعرض من قريب ولا من بعيد لقضية المجتمعات الإسلامية ولا اتهمها بالكفر ولا بالردة.

ونمضي مع الفقيه الكبير في ثورته العارمة على الذين يقولون **(أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع واصفا إياهم بالمهزومين روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع البائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلا بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا وتعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها)** ص ٦٥- الجهاد في سبيل الله.

ثم يواصل سيد قطب مهرجانه الخطابي الذي انتهى بإشعال عدد هائل من الحرائق في عالمنا الإسلامي المنكوب به وبالمصلحين من أمثاله فضلا عن حكامه فيقول **(إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه للبشر ومصدر السلطات فيه هم البشر هو تأليه للبشر يجعل بعضهم لبعض أربابا من دون الله إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض)** ص ٦٧.

(إن الجهاد ضرورة للدعوة إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلانا جادا يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه).

(إن الانطلاق بالمذهب الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة كي يخلو له وجه الأفراد من الناس يخاطب ضمائرهم وأفكارهم بعد أن يحررها من الأغلال المادية ويترك لهم بعد ذلك حرية الاختيار) ص ٨٥.

انتهت المقتطفات التى نقلناها بنصها من المهرجان الخطابى الحاشد الذى أقامه سيدنا قطب رضى الله عنه فى كتابه (معالم فى الطريق) بعدما أعلن أن الإسلام المتمثل فى جماعته سينطلق ليحطم سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة بالقوة ولا أدرى لماذا أراد الرجل أن يحطم أوضاع البيئة هى الأخرى هل تعثر فيها أثناء محاولته تحطيم سلطة الدولة ونظام المجتمع مع أن العالم الآن يبدى اهتماما متزايدا بقضية البيئة!!!! أم أن الرجل أراد أن يزيد من حجم الفرقعة التى يحدثها كلامه الساخن وأن يمط الجملة فأضاف أوضاع البيئة إلى قائمة أعدائه؟.

المهم أن الرجل بعد كل هذا لم يحطم سلطة الدولة بل أسهم من حيث أراد أو لم يرد فى زيادة شراستها وعدوانيتها ضد كل من يتحدث عن الإسلام والدين وحطم نفسه وحطم كل من سار على دربه وحطم أوضاع البيئة وفاته أن يسأل نفسه وهو العالم الكبير والفيلسوف العظيم ما الذى أعاد الأمور إلى نقطة الصفر والكفر الذى يريد سماحته الانطلاق منها لكى يحطم كل الأشياء التى ذكرها ثم يعيد الإسلام إلى الوجود من جديد؟؟.

ألم يقم المسلمون الأوائل الذين وصفهم فى نفس الكتاب بأنهم جيل قرآنى فريد بكل هذه المهام؟.

أسلموا ودعوا وانطلقوا وحطموا وأقاموا مملكة الله فى الأرض فما الذى أعاد ريما لعادتها القديمة؟؟.

هل كان التسلل الماكر للفلسفات الإغريقية والرومانية واليونانية هو السبب وراء تلك الردة أم أنها العولمة فى ثوبها المعاصر أو القديم هى المسئولة وما الذى يمنع تلك العوامل من اجتياح منجزات سيد قطب وجماعته المعاصرة؟؟.

وهل يمتلك الرجل مادة لتثبيت العقيدة والحاكمية ومنع زحف العولمة من التهامها لإنجازات سيد قطب؟؟.

نزعم نحن أن تلك المهرجانات الخطابية التى أقامها الرجل لا تقيم حقا ولا تزهق باطلا ولا تقدم ولا تؤخر ولا تضيف شيئا لرصيد الأمة المثقل بالخسائر والرزايا والمصائب باستثناء إضافة مصيبة جديدة كنا فى غنى عنها بكل تأكيد.

لماذا لم يسأل سيد قطب نفسه عن سبب المصائب إلى لحقت بجماعة الأخوان المسلمين فى الفترة التى سبقت انضمامه إليها ولماذا اختلف الأخوة فيما بينهم ولماذا قتلوا سيد فايز وتسببوا قبل ذلك فى اغتيال مرشدهم وملهمهم وإمامهم مع أنهم أعلنوا نفس المبادئ التى أعلنها سيد قطب وكأن

القضية من أولها إلى آخرها لا تعدو كونها إعلان مبادئ من نــوع خــاص يتضمن الحاكمية التي غابت عن أذهان كل المسلمين حتــى ظهــر جهابــذة الأخوان وجاءوا بما لم يأت به الأوائل ناهيك عن ذلك الاكتشــاف العجيــب الذي كان الأخوان أول من اكتشفه في العصر الحديث وهو أن الإسلام ديــن شامل كامل عقيدة وشريعة.. مصحف وسيف.. عبادة وسياسة وكأن قيــامهم بهذا الاكتشاف المذهل!! مؤهلا كافيا يعطيهم الحق في قيادة الأمة كل الأمــة ولا أدرى من أين أوتى الأخوان كل هذا العلم الفياض وهذا هو سيد قطــب أحد كهنة المعبد المقربين يهذى بكلام لا يعــرف معنــاه ولا مبنــاه تمامــا كصاحب الريادة والسيادة الإعلامية الذى سبقه الناس أجمعون حتى السلاحف والزواحف وهو ما زال مصرا على أنه صاحب السيادة والريادة والسبق!!.

ولو كان القبول والإقرار بمبدأ الحاكمية هو الحل الناجع والنــافع لكــل مشاكل المسلمين فلماذا انقلبوا على عبد الناصر وانقلب هو عليهم مــع أنــه أقسم على المصحف والمسدس أى أنه كان مــن خاصــة الخاصــة ومــن المبشرين بالجنة وممن أقروا بالحاكمية الأخوانية؟؟!!!.

فما عدا مما بدا؟!.

لو كانت المسألة مجرد إعلانات ومفاهيم لهان الأمر ولسار المسلمون بعــد رسول الله على صراط الله المستقيم (وأن لو استقاموا على الطريقة لأســقيناهم ماء غدقا) (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أى أنهــم لم يتفرقوا بسبب جهلهم بمفهوم الحاكمية ولا بسبب جهلهم بشمول الدين قبــل أن (يبعث الله الإخوان مبشرين بالفهم الشامل الكامل للدين)!!.

لقد اختلفوا وتفرقوا (بغيا بينهم) بسبب المصالح والأهواء وهو ما كــان واضحا جليا في تاريخ المسلمين ولكن أحدا من هؤلاء لم يقرأ التاريخ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون.

أسباب انحراف المسلمين الأوائل والأواخر لم تكن أبدا أسبابا معلوماتية قدر ما هى أخلاقية وسياسية واجتماعية وهى أمور لا يحلهــا كــل أنــواع الصراخ مهما علا ولا محاولة إنشاء أمة جديــدة تتبنــى المفهــوم القطبــى للشهادتين كما يزعم سيادته وإلقاء الأمة السابقة فى ســلة المهمــلات بعــد تكفيرها والحكم بجاهليتها أو الوقوف من إسلامها موقف التائه المنافق الــذى يخفى حقيقة رؤيته واحتقاره لأمة لا إله إلا الله فى كتبه وملفاته وأضــابيره اطمئنانا منه أن لا أحد يجرؤ على فضحه كما فعلنا نحن ثم هو يمارس النفاق

في وجه الأمة مثنيا على حسن إسلامهم لأنه يحتاج إلى أصواتهم في الانتخابات وإلى أموالهم في سوق التجارة بالدين.

أى نفاق هذا أن يتبنى شخص ما تلك المفاهيم فى علاقاته الاجتماعية تلك المفاهيم التى تصف المجتمع الإسلامى الأصيل بالمجتمع الجاهلى وتحث أتباعه المخلصين على عدم البقاء فى هذا المجتمع (من هنا ظهرت جماعات التكفير والهجرة) لأنهم **(سيظلون خلايا حية فى كيانه تمده بعناصر البقاء والامتداد بدلا من تقويض هذا المجتمع الجاهلى لإقامة المجتمع الإسلامي).**

إى والله إنه يتحدث عن تقويض هذا المجتمع الجاهلى تمهيدا لإقامة ما أسماه بالمجتمع الإسلامي.

و كيف يطمئن المجتمع إلى تلك العناصر التى تدين بفكر هذا الرجل والذين يطلب منهم أن يكونوا مخربين ثم هو لا يقف عند حد هذه الشراسة والعدوانية الطائشة بل يندفع لما هو أسوأ حيث يدعو إلى تحطيم سلطة الدولة ونظام المجتمع وقوانين البيئة.

إنه خلل عقلى ما بعده خلل أدى إلى ظهور أجيال وسلالات أكثر شراسة وأكثر قدرة على التدمير من تلك السلالات القطبية الأولى ونحن لا نتحدث هنا من منطلق نظرى بل من خلال تجربة ومعايشة لتلك السلالات القطبية التكفيرية الشاذة التى خرجت من رحم هذا الفكر الشاذ وطورت نفسها لتصبح أكثر شذوذا حتى قضى عليها وذلك هو قانون العدالة الإلهية الكونية.

الذى عاصر فترة ما بعد إعدام سيد قطب وتحول نهجه إلى أسطورة يعرف كم من الشباب المخدوع والمضلل بهذا الكلام الفارغ ترك الجامعات وذهب إلى العزلة ليبيع الليمون كفرا بالطاغوت أو ذهب إلى شغاف الجبال فى اليمن السعيد حتى لا يصبح جزءا من المؤسسة الطاغوتية.

سيد قطب والإخوان :

القضية التى حرص الإخوان على إبقائها غامضة هى العلاقة بين الإخوان وسيد قطب.

الانطباع السائد لدى الغالبية العظمى من البشر وأنا واحد منهم حتى عهد قريب أن الرجل شكل نوعا من الخروج على (الصف الإخواني) إن لم يكن تنظيميا فمن الناحية الفكرية.

يزعم الإخوان أنهم ممن وصفهم الله تبارك وتعالى بأنهم يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص إلا أن تاريخهم الذى شهدنا عليه ينطق عليهم (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)(١) إذ لا مرجعية فكرية ثابتة لهم.

يقول على عشماوى أحد قياديى الجماعة السابقين الذين انشقوا عنها بعد ذلك (إن فكر الإخوان هو فكر تكفيرى يكفر الناس جميعاً ما لم ينضموا إليهم، وإنه لهول عظيم، فالناس غير المنضمين للإخوان من جهة نظرهم مرتدون، لا توبة لهم ودمهم حلال وكان عداؤهم للأستاذ سيد قطب لأنه جهر بهذا الفكر، وطوره وقننه، وهم كانوا يعملون على إخفاء تلك الحقيقة طوال عمر الجماعة فخرج سيد قطب على إجماعهم فى الإخفاء وأعلن أن فقه الجماعة واعتقادها قائم على فكر الخوارج، وفصل هذا الفكر وصدرت فيه كتب كثيرة حتى أعتنقه الكثير من الجماعات الإسلامية)(٢).

أما عن علاقة التنظيم بسيد قطب فكانت فى إطار انتماء الجميع للجماعة الأم وبمباركة المرشد حسن الهضيبى حيث يقول على عشماوي: (بعد خروج الأستاذ سيد قطب من السجن تم استدعاؤنا أنا والشيخ عبد الفتاح إسماعيل للقائه فذهبنا إليه، سألنا عن أحوالنا وسألناه عن حال السجون، وأخبرناه عما نحن فيه، وطلبنا منه أن يتابع العمل معنا، فوافق على شرط أن نعطيه فرصة ليستأذن الأستاذ الهضيبى فى الأمر. ثم حدد لنا موعداً فى منزله بحلوان لنلتقى معه بمجموعة القيادة الخمسة ليبدأ معنا توجيهاته. كان اللقاء مع الأستاذ سيد قطب بمثابة تحول كبير فى اتجاه التنظيم، وإعادة تشكيل الفكر تشكيلا كاملاً فى الاتجاه الذى رسمه ثم التقينا فى منزله بحلوان، وأخبرنا بزيارته لمنزل المرشد، وأنه استأذنه فى العمل معنا، فأذن له)(٣).

الإرهابى سيد قطب :

ثم تزعم جماعة المدافعين عن الإرهاب والإخوان أن الرجل هو شهيد الفكر والقرطاس والقلم!!.

---

[1] الحشر ١٤.

[2] التاريخ السرى لجماعة الإخوان المسلمين. مذكرات على عشماوى احر قادة التنظيم الخاص. ص ٥٦ طبعة مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية.

[3] ص ١٦٨ على عشماوي، المرجع السابق.

فلنسمع اعترافاته عن خططه لنسف المنشآت وتخريب البلاد.

يقول سيد قطب: قال الأخ على عشماوي: (ألا يخشى أن نكون فى حالة تدمير القناطر والجسور والكبارى مساعدين على تنفيذ المخططات الصهيونية من حيث لا ندرى ولا نريد؟ ونبهتنا هذه الملاحظة إلى خطورة العملية فقررنا استبعادها والاكتفاء بأقل قدر ممكن من تدمير بعض المنشآت فى القاهرة لشل حركة الأجهزة الحكومية إذ أن هذا وحده هو الهدف من الخطة. ولكن الأمر فى هذا كله سواء فى القضاء على أشخاص أو منشآت لم يتعد التفكير النظرى كما تقدم وكانت تعليماتى لهم ألا يقدموا على أى شيء إلا إذا كانت لديهم الإمكانيات الواسعة)[١].

أما هذه المنشآت التى قرر المفكر العظيم داعية السلام غاندى الإخوان أن يفجرها فيقول على عشماوى (حضرت اجتماعاً للقيادة، وكان خاصاً بترتيب خطة المواجهة مع الحكومة والتى كانت تتضمن اغتيال كبار الشخصيات، وتخريب بعض المنشآت التى يمكن أن تساعد فى إحداث خلل وفراغ وارتباك فى الدولة ومن الشخصيات المقترحة للاغتيال، شخصية الرئيس جمال عبد الناصر، والمشير، وزكريا محى الدين، وبعض المنشآت منها مبنى الإذاعة والتليفزيون، ومحطات الكهرباء، لإحداث إظلام يمكن أن يفيد التحرك. وهدم القناطر الخيرية. ولمّا عرض موضوع نسف المنشآت اعترضت أنا على نفس القناطر الخيرية وقلت لهم إن هذا العمل لن يفيد أحداً إلا القوى الصهيونية التى تقولون إنها تنفذ مخططاتها لتخريب الدول العربية، وأننا بهذا نقوم بالتخريب نيابة عنهم، ولذلك استبعدوا القناطر الخيرية، لكنهم أصروا على تدمير باقى المنشآت مثل محطات الكهرباء، ومبنى الإذاعة والتليفزيون)[٢].

محاولة تحسين صورة سيد قطب :

لا شك أن الغالبية العظمى من أعضاء الإخوان (باستثناء هيئة كبار المنتفعين بالتنظيم) لا تعرف شيئا عن هذه المخازي، ناهيك عن الرأى العام المغيب الذى لا يهتم كثيرا بالقراءة والبحث ويرى الكون منقسما إلى قسمين كبيرين.

---

[1] لماذا أعدمونى ص ٣٨-٣٩.

[2] ص ٢١٣ على عشماوي، تاريخ الإخوان.

السلطة الغاشمة التى تبطش به وتحاصره فى لقمة عيشه بل وتحرمه من حق الشكوى والصراخ و(الناس بتوع ربُنا) بضم الباء أو أصحاب الذقون الذين يتوددون إليه ويكثرون من قال الله وقال الرسول وهو لا يمانع فى تجربة هذا الصنف من الطغاة الجدد من دون أن يدرك أن المستجير بعمرو كالمستجير من الرمضاء بالنار.

حاولت جماعة المحامين وما زالت تحاول تضليل الناس ولملمة الفكر الإخوانى الذى تبعثر على يد أصحابه وعدم إظهار تلك التناقضات القاتلة التى ضربت الجماعة وعصفت بوحدتها وبقيت بينهم خلافات حول شكل ونوع التكفير لا على مضمونه.

هاهو أحد محامى الضلال ممن بقى من الرعيل الأول المستشار (سالم البهنساوي) يصدر كتابا عام بعنوان (أضواء على معالم فى الطريق) ١٩٩٩ يحاول فيه تخفيف الهجوم على سيد قطب ونفى تهمة التكفير عنه وما يعنينا فى تلك الأضواء هو ذلك الجزء المتعلق (بفقهه الجهادي).

ذلك المحامى الذى ربما كان مكلفا بإعادة تسويق المشروع القطبى برمته ولكن الشيء الأكيد أن تلك المهمة هى أكبر من قدراته بل هى مهمة مستحيلة فعندما جاء ذكر ذلك الباب المعنون بعنوان (الجهاد فى سبيل الله) تحدث الرجل عن المسائل الآتية:

أولا: نسب أشخاص إلى المرحوم سيد قطب أنه يعتبر غير المسلمين محاربين ويجب استخدام السيف معهم حتى ولو كانوا غير مسلمين.....ثم قام بالتعليق.

ثانيا: الجهاد ومرحلية الأحكام فقال نسب إلى المؤلف أنه يقول بمرحلية الأحكام.......ثم قام بالتعليق.

ثم تحدث عن (سيد قطب وقتال غير المسلمين) حيث رد على "فهمى هويدي" فى نقده لمن يرون استمرار حكم آية السيف وعلق عليه.

والملاحظ أن محامى سيد قطب لم يتطرق من قريب ولا من بعيد لدعوة سيد قطب لمحاربة النظم الحاكمة وهى بيت القصيد فى نقاشنا لفكره خاصة ولثقافة الهمجية والعنف عامة ولا لما أعلنه من ضرورة تحطيم كيانات الدول والنظم الاجتماعية والقوانين البيئية ليكون الحكم لله وحده ولسيد قطب.

لم يكن سيد قطب صاحب دولة حتى يؤخذ كلامه على أنه تحد أو تصد للدول المعادية للإسلام مثل أمريكا وإسرائيل لنبحث رأيه فى كون آية السيف ناسخة أو منسوخة.

كان الرجل ومنذ البدء يعالج قضية واحدة هى أن المجتمعات الإسلامية التى نحن جزء منها هى مجتمعات جاهلية لأنها لا تعتقد بالحاكمية الإلهية ومن ثم ينبغى اعتزالها ومناهضتها وتقويضها ومحاربتها وإقامة مملكة الله فى الأرض من جديد وكل ما فى هذه المجتمعات هو جاهلى حتى ثقافتها الإسلامية هى ثقافة جاهلية وأن مجاهدة هذه النظم الكافرة هو الشأن الدائم لا الشأن العارض وأن الذين يقولون أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع هم من المهزومين أمام الهجوم الاستشراقى الماكر وأمام الواقع البائس لذرارى المسلمين.

وإذا كان سيد قطب قد أعلن احتقاره لمن يطالبونه بتقديم تصورات فقهية تفصيلية باعتبار هذا نوع من السخرية والاستهزاء بدعاة الإسلام الجدد الذين تقع عليهم مهمة بناء العقيدة أولا والدولة ثانيا وعندما يتم هذا سيذعن المجتمع المسلم الجديد للشريعة الإسلامية التى سيتم تطبيقها بجرة قلم.

فكيف يقولون لنا أن الرجل كان مهتما بالصراع الدائر بين المسلمين و(غير المسلمين) بالمعنى المتعارف عليه يعنى الصراع الدائر مثلا بين العرب وإسرائيل؟!

كان الرجل يرى أن كل من عدا سيد قطب وجماعته هم وإسرائيل سواء وكلهم جاهلية معاصرة وهذه هى الحقيقة التى لا ينبغى اللف ولا الدوران حولها لا من هذا ولا من ذاك.

لم يرد محامى سيد قطب على شئ مما نقلناه عن المفكر الكبير من نعته للمجتمعات الإسلامية بشتى صنوف الكفر والجاهلية ولا على بعض ابتكاراته الفذة فى فن التكفير مثل التفرقة بين (المسلمين نظريا) من غير المنضوين لجماعة الأخوان و(المسلمين عمليا) من المنضوين إليها والذين انخلعوا من المجتمع الجاهلى ورأوا فى تحطيمه وتدميره فريضة دينية قطبية.

لماذا لم يرد ذلك المحامى على ذلك الكلام؟؟.

الإجابة لأنهم كلهم يؤمنون بما آمن به قطب ويستثنون من ذلك التكفير الدول المانحة للمال والدعم.

أما الأسوأ من ذلك كله فهو تصدى ذلك المحامى للدفاع عن سيد قطب فى وصفه للمجتمعات الإسلامية بصفة الجاهلية مع استثناء الدول المانحة التى تعانى أضعاف ما نعانيه من موبقات أخلاقية ومفاسد اجتماعية ومع هذا كله فإن دعاة التكفير لم يجدوا فى تلك المجتمعات ما يستوجب النقد ومن باب أولى إطلاق اتهامات الكفر التى يطلقونها على مجتمعاتنا الفقيرة بلا حساب.

الأدهى من ذلك أنه استعان فى مرافعته عن سيد قطب بمفتى العميان الذى لا يرى إلا خطايانا وكفرنا أما فواحشهم وجرائمهم فلا وألف لا.

نمضى مع (الأبوكاتو) فى مرافعته عن سيد قطب حيث يدعو إلى جمع أقوال الشهيد كلها فى إطار واحد لينتهوا إلى حكم سديد.

لماذا!!؟؟

هل كلامه قرآن أو تشريع لا يفهمه إلا الراسخون فى العلم؟؟.

فالمفكر الشهيد يثبت الإيمان بكلمة اللسان وهى الشهادة ثم أورد بعض تكفيرياته التى ذكرناها سابقا وأضاف **(أما هنا فهو لا ينقض هذا المبدأ بل يعنى المجتمعات التى ارتدت عن الإسلام؟؟ فقد أوضح أنها تعلن العلمانية وعدم علاقتها بالدين وبعضها يتظاهر باحترامه للدين ولكنه يخرج الدين عن حياته الاجتماعية فينكر الغيب المنزل من عند الله وبعضها يعلن صراحة أن ما يشرعه من عند نفسه هو شريعة الله وكل هذه الأسباب أوضح الشيخ عبد العزيز بن باز أنها تخرج عن الإسلام)** ص ١٤٧.

(إن الأسباب التى ذكرها الشهيد سيد قطب وبها استحقت تلك المجتمعات التى تدعى الإسلام أن توصف بالجاهلية هى ذات الأسباب التى جعلها الشيخ عبد العزيز بن باز من نواقض الإيمان وبها يكفر المسلم ويصبح مرتدا عن الإسلام) ص١٤٨.

عجيب أمر هؤلاء البشر!!.

إنهم يستدلون على صحة دعاواهم التكفيرية بفتاوى تكفيرية ولا أدرى أى منطق استند إليه رجل القانون (سالم البهنساوي) فى استشهاده بمفتى الوهابية السعودية سوى أنه أضاف إلى لائحة التكفيريين تكفيريا ثانيا هو ابن باز وثالث هو سالم البهنساوي!!.

يستثنى من لائحة التكفير بالطبع العربية السعودية التى جعلت ذلك الرجل مفتيها الرسمى الناطق باسم النظام الملكي!!.

متى كانت الملكية التسلطية الوراثية داخلة فى إطار تطبيق الشريعة الإسلامية؟!.

لعل هذه المفارقة تظهر بوضوح عدة حقائق لا لبس فيها ولا ارتياب:

أولا: تلك التبعية الذيلية التى تربط هؤلاء بالفكر الوهابى وخاصة بعد سنين المحنة والتى قامت فيها العربية السعودية بدور الراعى الرئيسى وهى الآن تقوم بدور كبرى الدول المانحة لهؤلاء.

ثانيا: تلك الازدواجية الأخلاقية الخانقة التى يحظى بها هؤلاء الذين يرون القشة فى عين مصر ولا يرون الخشبة فى عينهم ونحن وبكل تأكيد لسنا من أنصار النغمة الإعلامية إياها وهم لا يستهدفون مصر بسبب تليفزيونها الموقر كما يحاول صاحبنا أن يوهمنا ولكنهم يستهدفونها لأنها الثقل الرئيسى فى المنطقة الذى يريدونه خاضعا لهم وهم الذين تحالفوا مع صدام حسين ونظامه المعروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين فى مواجهة النظام السورى مستخدمين نفس الشعارات التى ذكرها هذا وذاك.

ثالثا: من هى تلك الدول التى ارتدت عن الإسلام وأعلنت العلمانية؟؟.

لم تعلن أى من الحكومات المنحرفة والاستبدادية واللاديمقراطية التى تحكم العالم الإسلامى شيئا من هذا حتى صدام حسين كان يتمسح بالإسلام والدين قبل سقوطه ويستدعى بعض هؤلاء ليستخدمهم أبواقا إعلامية لترويج بضاعته الإجرامية والفاسدة فلماذا إذن هذا التكفير الانتقائي؟؟.

الشيء الأكيد أن اللجوء إلى سلاح التكفير الانتقائى وخاصة إذا امتد إلى المجتمعات التى هى بكل تأكيد ضحية لحكومات استبدادية وضحية لمؤسسات دينية رسمية جاهلة ومؤسسات دينية تنظيمية (سرية من منازلهم) أكثر جهلا مثل تلك الجماعات ومنظريها ومؤسسيها ليس إلا تعبيرا عن حالة انفصام للشخصية ولجوء إلى سياسة الصراخ والتشنج التى لم تفلح فى إعادة هذه المجتمعات إلى حظيرة التدين الصحيح ولا إصلاح الأوضاع الفاسدة والمقلوبة التى يعانى منها الجميع.

فلماذا يجرى تكفير هؤلاء ومطالبتهم بالانضمام إلى تلك التنظيمات واللحاق بركبها وتنفيذ أوامر الخطف والاغتيال التى تصدر إليهم ولماذا لم يحاول هؤلاء المنظرون دراسة القضية من جذورها لا من فروعها والعمل على تطوير مستوى وعيهم هم أولا بالإسلام ثم الانطلاق داخل تلك

المجتمعات من خلال العمل السلمي وبث وعى الحرية والديمقراطية والأهم من هذا كله استثمار مناخ العمل السلمى المتاح وكم كان هذا متاحا فى مجتمعاتنا وفى مصر على وجه الخصوص ولكن هؤلاء كلما استشعروا شيئا من القوة وأكرر شيئا من القوة بادروا إلى فتح جبهة من القتال مدفوعين بذلك النفس التكفيرى المتوقد "الذى أسماه حسن البنا "روح الجماعة" الذى يحرقهم ويحرق كل من اقترب منهم **(كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين)**.

الحاجة زينب الغزالي!!

أحد الشخصيات التى لعبت دورا خطيرا ومدمرا فى تاريخ الإخوان المعاصر (الحاجة زينب الغزالي) التى كانت تجوب البلاد تدعو الناس للانضمام للجماعة ومن بين هذه الأماكن التى حطت بها كلية طب المنصورة وقت أن كنت رئيسا لاتحاد الطلاب فى سبعينات القرن الماضى وتحديدا سنة ١٩٧٦.

إنها المرأة الحديدية الإخوانية التى كانت تقود رجال الإخوان إلى حتفهم.

يتحدث على عشماوى عن دورها فى كارثة سيد قطب التى لحقت بالإخوان عام ١٩٦٥.

(تطرق الحديث إلى الحاجة زينب الغزالى وعلمت أنها مع الإخوان وأنها تكاد تكون موضع ثقة متفردة بالأستاذ الهضيبي، وأنها كانت وسيلة الاتصال التى يأمن لها المرشد، كنت أعلم أنها تعمل فى الحقل الإسلامى وكنت أعلم أيضاً أنها "وفدية" مخلصة، ولهذا كانت دهشتى حين علمت صلتها الجديدة بالإخوان، ورتب لى الشيخ عبد الفتاح إسماعيل موعداً، للقائها فى منزلها بمصر الجديدة. وجلسنا نتحدث أكثر من ساعتين أخبرتنى فيهما عن رحلتها مع الإخوان، وأن سكرتيرتها هى السيدة الفاضلة زوجة على شفيق ابنة الممثل الراحل حسين صدقي، وهى بهذا تدلل على أنها تعمل على تجنيد زوجات المسئولين الكبار خدمة للدعوة. وانتقل الحديث إلى صلتها بمنزل الأستاذ الهضيبي، ثم بالأستاذ سعيد رمضان، وكيف أن هناك ثقة متبادلة بينهما، وسألتها عن البيعة وكيف كانت ومَن مِن الإخوان قبل بيعتها؟ فقالت: إنها فى إحدى الليالى وكانت حالتها الروحانية غاية فى الصفاء ـ صلت العشاء ثم نامت، وفى نومها رأت الشيخ حسن البنا مؤسس الجماعة وقد جاء

إليها وأمرها بالجلوس فجلست أمامه وقال لها إنه قد آن الأوان لأن تصحح مسار عملها الإسلامي، وتعمل من خلال جماعة الإخوان، وقدم لها يده ووضع كفها بين كفيه ثم تلا البيعة وهى تردد خلفه حتى انتهت. ومن يومها وهى تعمل مع الإخوان بتلك البيعة؟! (علامة التعجب من عندنا) ثم تطرق الحديث إلى سؤال منى عن علاقتها بالمملكة العربية السعودية فأجابت: إن العلاقة الجيدة مهمة جداً لأمن الإخوان الموجودين فى المملكة العربية السعودية وإلا قامت بتسليمهم إلى جمال عبد الناصر وأنها إحدى قنوات هذا الاتصال. ثم تحدثنا عن شرعية العمل وان الإخوة فى الواحات قد أحالوا الأمر إلى الأستاذ المرشد، ولا ندرى إن كان سيوافق على ذلك أم لا؟ فأجابت بثقة: إنها على اتصال دائم بالأستاذ المرشد، وأنها تأتى منه بالتعليمات حين نريدها، وأنه ـ المرشد ـ حينما أخبر عن التنظيم الذى يتبع الشيخ عبد الفتاح وعن أهدافه أقرها. وبهذا فإن التنظيم أصبحت له الشرعية التى يتطلبها وقالت: يمكنكم أن تتمتعوا بتلك المظلة إن أنتم انضممتم معا فى تنظيم واحد. وقلت لها: إننى لا أمانع فى اندماج التنظيمين، ولكن اعتراضى ينصب على هدف التنظيم الآخر وهو اغتيال جمال عبد الناصر فأنا لا أرى أن هذا هو الطريق، فردت بعصبية "بل إن هذا هو الطريق، ولا طريق غيره، وأن هذا ما أقره المرشد")[1].

الإخوان المسلمون فى طورهم القطبى كانوا عازمين ومصممين على اغتيال الرئيس السابق جمال عبد الناصر مستخدمين أساليب صبيانية فاشلة كما يقر سيد قطب فى اعترافاته وكما يذكر على عشماوى فى كتابه وهو ما يؤكد اتهامهم بارتكاب حماقة المنشية رغم أنهم ما زالوا يصرون إلى الان على أنها كانت مسرحية من إعداد وتخطيط عبد الناصر والصهيونية للايقاع بهم!!.

إنه نموذج فج للأسلوب الإخوانى العتيق الذى يرفضون نبذه أو التخلى عنه وهم يلقون المسئولية دوما عن كل أخطائهم وجرائمهم على التآمر الغربى والصهيونى الذى لا يرى له عدوا فى الكون كله إلا جماعة الإخوان المسلمين الفلتة التى أسسها الإمام العبقرى المعجزة حسن البنا!!.

ثم يزعمون أنهم لا يزرعون الشوك وان تنظيمهم السرى لم يكن له وظيفة إلا مقارعة الاحتلال الأجنبي!!.

[1] على عشماوى تاريخ الإخوان السري. ص ١٤٣-١٤٤

زينب الغزالي والانقلاب على السادات :

جاء الرئيس الراحل أنور السادات إلى الحكم عام ١٩٧٠ بعد وفاة سلفه جمال عبد الناصر فانتهج سياسة المصالحة مع الإخوان.

من بين من أطلق سراحه رغم دورها الرئيسى فى كارثة ١٩٦٥ كانت الحاجة زينب الغزالى المرأة الحديدية الإخوانية التى واصلت نهج التآمر مرة أخرى ضد من أطلق سراحهم من السجون رغم إدانتهم بجرائم التخطيط والسعى لقلب نظام الحكم.

التقطت المرأة الحديدية مستشارة المرشد حسن الهضيبى وكاتمة أسراره مجموعة من الشباب السكندرى بقيادة طلال الأنصارى ساقهم إليها حظهم العاثر والشيخ على إسماعيل شقيق عبد الفتاح إسماعيل.

(وتتالت زيارات الشباب السكندرى إليها وتولى طلال الأنصارى ترتيب زيارات أعضاء التنظيم الذين تطلعوا لها بانبهار وهى تحكى لهم عن ذكرياتها الأليمة داخل السجن الحربي)[١].

ثم انتقل هذا الشباب إلى مرحلة أخرى عندما أخذهم الشيخ على إسماعيل إلى مرشد الإخوان حسن الهضيبى حيث انطلق الشيخ على يحكى عن هؤلاء الشباب وحبهم للإخوان قبل أن يطلب من طلال الأنصارى أن يمد يده للمرشد ليبايعه فمد يده للمرشد الذى انتفض واقفا ثم قبض يده بقوة على يد الأنصارى الذى وجد نفسه يردد وراء الشيخ على عبارات البيعة الإخوانية المعروفة: أبايعك على السمع والطاعة فى اليسر والعسر وفى المنشط والمكره والله على ما أقول وكيل[٢].

واتصلت لقاءات الأنصارى بالهضيبى فى منزل الأخير حيث كانت الظروف الأمنية ودواعى الكتمان توجب أن يكون الأنصارى وحده هو حلقة الوصل بين الشباب والمرشد[٣].

وأخيرا ارتبط شباب الإخوان الجدد من خلال المرأة الحديدية بالإخوانى الفلسطينى صالح عبد الله سرية الذى قادهم بعد ذلك إلى فاجعة الفنية العسكرية.

---

1 صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة. شهادة طلال الأنصاري. تحرير عبد الله سرور. الناشر: المحروسة. ٢٠٠٦ ص ٣٧.

2 المرجع السابق ص ٤٠.

3 المرجع السابق ص ٤٢.

كان صالح سرية يرى أن الإخوان حركة تحتاج إلى تغيير حقيقى فى الأفكار وان الإخوان عليهم أن يحددوا هدفهم بالوصول إلى السلطة وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا عبر البرلمان أو عبر ثورة شعبية أو عن طريق الجيش وبالتالى فلا بديل للإخوان عن الجيش[١]!!.

ثم جرى بعد ذلك حصر العلاقة بين الشباب والإخوان فى صالح سرية ليتوارى أى دور ظاهر للإخوان وعدم الإعلان عن أى صلة بهم[٢].

كما يؤكد الكاتب أن مرشد الإخوان هو وكبار قيادات الإخوان كان على إطلاع كامل بخطط صالح سرية القاضية بان يكون الوصول للسلطة بالقوة العسكرية خيارا أساسيا (ص ٥٧).

وكان أن تولى صالح عبد الله سرية قيادة أول جهاز سرى بايع الهضيبى شخصيا بعد محنة ١٩٦٥. (ص ٥٨).

الهدف من التحرك الذى قامت به تلك المجموعة من المهاويس كان القيام بانقلاب عسكرى واغتيال الرئيس الراحل أنور السادات أثناء إلقائه خطابا فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى حيث أعد صالح سرية البيان الأول للانقلاب (ص ٧٣).

جرى ما جرى بعد ذلك من أحداث يمكن وصفها بمهزلة انقلابية أودت بحياة عدد من الأفراد من الفريقين وقبض على عشرات من الشباب المغرر به من قبل مرشد ضال مضل عن سواء السبيل وامرأة مهووسة بالعنف والتآمر ومغامر فلسطينى ترك قضية تحرير فلسطين وجاء ليستولى على ملك مصر وهذه هى نهاية الغالبية العظمى من مشاريع الإخوان السياسية التى تنتهى كلها بالفشل السريع على عكس مشاريع التجارة والتمويل التى تلهوا بها عن مشاريع الانقلاب العسكرى التى تابوا وأقلعوا عنها مكرها أخاك لا بطل.

والطريف أن المرأة الحديدية الحاجة زينب (رضى الله عنها) عادت إلى بيتها سالمة غانمة تحكى عن بطولاتها وأمجادها الدعوية التخريبية.

أما هؤلاء الشباب فمنهم من أعدم ومنهم من قضى زهرة عمره فى السجون والمعتقلات ولا زال المغيبون عن الوعى والعقل من فلول وقطعان الإخوان يصرون على ممارسة السير إلى الهاوية!!.

---

[1] المرجع السابق ص ٥٠.

[2] ص ٥٤.

تشخيص الإمام على لأمراض الأمة

نعود مرة أخرى إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهو يسأل رسول الله عن تلك الحالة التى تشبه ما نعيشه الآن **(بأى المنازل أنزلهم يا رسول الله بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة قال بل بمنزلة فتنة)**.

إنها فتنة انحراف تخلف انحطاط سمها ما شئت وإياك أن تستخدم كلمة كفر أو ردة أو جاهلية وإلا احترقت أنت ومن معك بنارها فسلاح التكفير كالسهم الغرب إذا انطلق لا ندرى من يصيب ولا كم يصيب ولا كيف ولا أين تنتهى فتنته.

الأمن والفكر والسياسة :

بقى أن نحدد موقفنا من البعد الأمنى والسياسى فى هذه القضية المتفجرة على الساحة منذ أكثر من خمسين عام من الكر والفر بين هذه الجماعات والنظام الحاكم فى مصر وغيرها من البلدان التى نشأت وترعرعت فيها هذه التنظيمات وحاولت الوصول إلى السلطة.

أولا: فمن ناحية فنحن على يقين أن الفكر لا يمكن مواجهته إلا بالفكر لا على سبيل غسيل المخ ومحاولة إقناع أبناء تلك الجماعات أن كل شيء على ما يرام وأن على الجميع العيش فى فلك السلطة والقبول بدور الخادم المطيع لها وإنما نعنى حرية الفكر والرأى وصولا إلى صيغة تتلافى العورات والنقائص الموجودة على طرفى الصراع وخاصة فى مجال الحياة السياسية التى هى جوهر الجدل والصراع الدائر، مع الإقرار بحقيقة أن الكمال غير موجود على ظهر الأرض.

ثانيا: احترام القاعدة الشرعية التى قررها القرآن الكريم (و لا تزر وازرة وزر أخرى) والتى تقرر فردية العقوبة والتى ترفض أسلوب العقاب الجماعى الذى مارسته تلك النظم الحاكمة استسهالا وبطرا لإحساسها بالقوة الفائضة الزائدة التى لا يجب ادخارها ولا شك أن سياسات العقاب الجماعى التى استمرأتها تلك النظم فى العقود السابقة كان لها أسوأ الأثر فى ترسيخ مصداقية تلك الادعاءات التكفيرية الموجهة ضد تلك النظم بل وترعرع تلك الأفكار التى وجدت وقودا إضافيا فى تلك السلوكيات الرعناء بل وحرمت السلطة من صوت المنصفين الذين كان بوسعهم التدخل لإخماد تلك النيران ولكنهم امتنعوا لما ثبت فى يقينهم من تجاوز النظم الحاكمة فى استخدام قوتها وسلطتها وكل هذه حقائق ثابتة لا يسهل تجاهلها ولا إنكارها من خلال تلك الإقرارات الزائفة التى قدمها رجل مثل فؤاد علام عن قتل كمال السنانيرى وادعائه عليه بالانتحار فقد كنا هناك فى نفس تلك الفترة.

صحيح أننا لم نشاهد مقتله تحت التعذيب وأنى لنا مشاهدة أى شئ خارج الزنازين ولكننا نشهد لله وللتاريخ أننا كنا نسمع صرخات التعذيب طوال الليل ومن هنا فإن موت رجل تجاوز

الستين من عمره تحت تلك الظروف هو أمر منطقي يمكن توقعه بسهولة بالغة ولا نعتقد أن خلافنا معهم فى الفكر والرأى يبرر لنا السكوت عن شهادة الحق لهم أو عليهم أو على خصومهم.

ثالثا: ضرورة احترام السلطة أى سلطة لحقوق الإنسان وكرامته أيا كان انتماء هذا الإنسان من الأخوان أو غير الأخوان فالناس يختلفون فى وعيهم وثقافتهم وقدرتهم على ضبط النفس ومن ثم قدرتهم على إصدار أحكام واعية ومنطقية تجاه ما يجرى من أحداث لهم أو من حولهم.

وإذا كانت السلطة تحس اليوم بفائض القوة فليس من المحتم أن يبقى هذا الحال على الدوام وإن سلطة تحرص على زيادة أعدائها من أبناء الشعب هى سلطة غير حكيمة ولا واعية ولا أمينة على مصالح شعبها.

فى النهاية علينا أن نقول أنه عندما تصبح لغة الخطاب الوحيدة المتبادلة بين السلطة والشعب هى اللغة الأمنية فإن هذا يعنى أن السلطة لا ترى فى الشعب سوى مجموعة من العصاة الذين يتحتم إخضاعهم وإدخالهم فى الطاعة وهو عكس التصور الأصلى للعلاقة بين الشعب والسلطة فالشعب هو الذى يأتى بالسلطة التى يختار شكلها وأعضاءها وهو الذى يصنعها وليست هى التى تصنع الشعب.

مدرسة أهل البيت وفقه التغيير

على بن أبى طالب واستخدام العنف أداة للتغيير

ابتلى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام منذ اللحظة الأولى التى فارق فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الدنيا بالكثير من المصائب والرزايا والفتن وكان عليه أن يواجهها تلك المواجهة التى ستؤسس بعد ذلك لفقه التغيير والتصحيح فى مجتمعاتنا الإسلامية.

بالرغم من ثراء التجربة العلوية فى مواجهة قوى الفساد والانحراف وتنوع أشكال تلك المواجهات ذلك التنوع الذى يعطى لتلك التجربة عمقا فقهيا كبيرا سواء لدى ذلك القطاع من المسلمين الذى يعتقد بإمامته أو ذلك القطاع الذى يكتفى بالقول بأفضليته وأولويته وصحبته وأن الصحابة هم مصدر أساسى من مصادر التأسى والاستلهام فمما يؤسف له أن تجربة الإمام على لم تأخذ ما تستحقه من الدرس والاهتمام لدى الفريقين.

فقه القيادة فى منهج أهل البيت:

ابتليت الحركات الإسلامية المعاصرة بالعمى المؤقت الذى أعماها عن دراسة قضية الإمامة وجرها إلى السير وراء كل من هب ودب وسماه أشباه الناس قائدا وإماما ملهما وقد تناولنا هذه القضية فى غير موضع ولكننا نؤكد هنا على خطورة الجرى وراء ذلك الصنف من القادة البدلاء الذين استراح الناس واطمئنوا إليهم لأنهم يوافقون مزاجهم النفسى والفكرى والطيور على أشكالها تقع.

من هنا تأتى خطورة الانجرار وراء ذلك الصنف من القيادات الزائفة والتى عرضنا جانبا من تفكير وأداء بعضهم فيما سبق من هذا الكتاب ولا بأس من استعراض تلك الرواية عن أبى عبد الله (الإمام الصادق عليه السلام) وهو يحذر من ذلك الصنف من القادة فيقول"**عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم فو الله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعى فإذا وجد رجلا هو أعلم بغنمه من الذى كان فيها والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم إن أتاكم آت منا فانظروا على أى شئ تخرجون ولا تقولوا خرج زيد (بن على بن الحسين) فإن زيدا كان عالما صدوقا ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه وإنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه)** الكافي.

إن هذه الرواية تظهر خطورة الانجرار وراء ذلك الصنف المزيف من القيادات التى تورد أتباعها موارد الهلاك فى الدنيا والآخرة.

على ابن أبى طالب فى صفوف المعارضة:

ما إن انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى عقد ما سمى باجتماع السقيفة ذلك الاجتماع الشهير الذى انتهى باستبعاد الإمام على عليه السلام من موقعه الطبيعى والمنطقى الذى أقر به مائة ألف صحابى يوم غدير خم لدى عودة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع.

لسنا هنا فى مقام مناقشة بيعة السقيفة وملابساتها التاريخية المختلفة فهناك العشرات وربما المئات من الكتب التى تناولت هذه القضية بالشرح والتفصيل تلك البيعة التى عقدها ستة نفر من المسلمين ثم أمضوا إرادتهم على بقية أفراد الأمة ثم يقولون لنا أنها كانت أنموذجا للديمقراطية والشورى.

لم تكن بيعة أبى بكر بالشيء الذى تنقاد له الأعناق بيسر وسهولة لاعتبارات متعددة منها الاعتبارات القبلية التى رأت أن الخلافة لا يجوز لها أن تنتقل إلى تيم بن مرة أقل بطون قريش مكانة وثراء.

لهذه الاعتبارات تحركت بعض العناصر الفاعلة فى المجتمع الإسلامى الناشئ فى اتجاه معارضة هذه البيعة والسعى لإفشالها ولم تكن كل النوايا خالصة لوجه الله ولا كان منها هذا التحرك معرفة بحق آل محمد ومكانتهم السامية فى حفظ الدين ومن ذلك النوع كان تحرك أبى سفيان بلحيته الصفراء يحرك العصبيات القبلية البغيضة التى أطاح بها الإسلام والرواية لابن أبى الحديد شارح النهج قال:

(لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله واشتغل على عليه السلام بغسله ودفنه وبويع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعلى عليه السلام لإجالة الرأى وتكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض والتهييج فحل على عليه السلام حبوته وقال......

الصبر حلم والتقوى دين والحجة محمد والطريق الصراط، أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة.. أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع فى غبر أرضه فإن ما أقل يقولوا حرص على الملك وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتى والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه ولكن انطويت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيد) شرح النهج ج١ ص ٧١.

والأرشية هى الحبال فى البئر البعيدة القعر.

لم يكن دخول أبى سفيان على الخط معرفة منه بفضل محمد وآل محمد ولا إقرارا منه بحق على بن أبى طالب عليه السلام فى الإمامة بل كان محاولة مكشوفة من الرجل لإشعال معركة داخلية فى صفوف المجتمع الإسلامى هذه المرة معركة قبلية فى مجتمع كان ما زال حديث عهد بالإسلام

وكان اختيار أبى بكر للخلافة كما قلنا مثار اعتراض البعض من وجهة نظر قبلية بحتة ومن هنا كانت محاولة الرجل الملحة ليدرك ثأره من الإسلام والمسلمين هذه المرة من داخل البيت فربما تكون هذه الحرب الداخلية ممهدة ليوم الخلاص الأموى الذى انتظره الرجل وأصر عليه حتى كان لبنى أمية ما أرادوا.

يظهر هذا المعنى بوضوح فى الرواية الثانية التى أوردها ابن أبى الحديد عن هذه الواقعة قال **(لما بويع لأبى بكر مر أبو سفيان على البيت الذى فيه على بن أبى طالب عليه السلام فوقف وأنشد:**

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الذى يرتجى ملي
و أى امرئ يرمى قصيا ورأيها منيع الحمى والناس من غالب قصي؟

فقال الإمام لأبى سفيان إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عهدا وأنا عليه.

لماذا وقف الإمام على عليه السلام موقف الرافض من عرض أبى سفيان بالتحالف معه ومناصرته فى قضيته العادلة باسترداد موقعه الطبيعى والمنطقى والشرعى فى ولاية أمر الأمة؟.

السبب أن موقف أبى سفيان كان مبعثه تلك النعرة القبلية العنصرية التى قضى عليها الإسلام وليس الانحياز إلى الحق المجرد مما يفقد المواجهة المحتملة مشروعيتها وتجردها لله عز وجل.

السبب الثانى أن أبا سفيان بمكره وخبثه ودهائه كان عالما أن مثل هذه المواجهة لن تحسم الصراع الدائر بقدر تعميقها للانقسام الحادث داخل المجتمع الإسلامى وهو ما كان الإمام على عليه السلام حريصا على منع حدوثه حتى ولو أدى ذلك إلى نزوله عن موقع أراده الله ورسوله له، فها هو أبو سفيان يصرخ ويستصرخ مستحثا إشعال الحريق لا إحقاق الحق **(أما والله إنى أرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم.... يالعبد مناف فيم أبو بكر من أمركم أين الأذلان؟..... أين المستضعفان؟..... يعنى عليا والعباس ما بال هذا الأمر فى أقل حى من قريش ثم قال لعلى عليه السلام أبسط يدك لأبايعك فو الله لئن شئت لأملأنها على أبى فصيل خيلا ورجلا فامتنع على عليه السلام منه).**

من هنا كانت كلمات الإمام على عليه السلام (و عرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة) فالأمر من وجهة نظر الإمام على عليه السلام هو عقائدى بحت توضع فيه مصلحة الأمة ووحدتها فوق كل اعتبار بينما هو من وجهة نظر أبى سفيان رأس الأحزاب قبلى بحت ومن هنا كان استدعاؤه للمفاخرات القبلية والمنافرات العرقية هو أبعد ما يكون عن الاستراتيجية الإلهية التى يمثلها أهل البيت عليهم السلام وهى استراتيجية كانت ولا زالت تتمتع برؤية واضحة للواقع وللمستقبل تلك الرؤية التى هى حجر الزاوية لأى تحرك سياسى صحيح الآن أو قبل أربعة عشر قرنا ناهيك عن أن تلك الاستراتيجية ترى أن الأهداف النبيلة لا تتحقق إلا بوسائل نبيلة لا من خلال استدعاء ثارات القبلية البغيضة.

لهذا افتتح الإمام عليه السلام خطبته بقوله شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة إنهم أهل بيت العصمة والنبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين قال عنهم رسول الله ص "مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وغرق" رواه النسائي.

إن النجاة لا يمكن أن تكون إلا فى ركوب سفن النجاة لا فى مناهج الخبط والتخبط ولا فى اتباع من زعموا أو زعم لهم أنهم الراسخون فى العلم أو أنهم أئمة ملهمون والله يشهد أن هؤلاء وهؤلاء دجالون وكاذبون.

إن التزام منهج أهل البيت هو الشرط الأول لصحة أى عمل أو تحرك سياسى أما الشرط الثانى فهو أن يخلو هذا التحرك من الأهداف القبلية أو العنصرية ناهيك عن الامتناع عن التحالف مع القبليين والعنصريين لكى يكون التحرك خالصا لوجه الله تعالى أما الشرط الثالث فهو ضمان فاعلية التحرك إعدادا وتوقيتا؛

أما الإعداد "أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح"؛

أما التوقيت "ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع فى غير أرضه".

وهكذا فسر عليه السلام أن سبب إحجامه عن التحرك فى هذا الوقت لم يكن خوف الموت أو القتل فعندما يأتى أوان التحرك لن يكون الدافع هو الحرص على السلطة بل لأن توقيت التحرك نابع من علم ووعى وتكليف إلهى لم يكن قد آن الأوان لإفشائه ولا لإعلانه.

ومن هنا أيضا كانت تلك الفترة منذ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقت خلافته سلام الله عليه مرحلة من التحرك الهادئ والمتواصل

لإعادة الوعي المغيب ذلك الوعي الذى نجحت القوى المضادة للإمامة القيادة الشرعية والطبيعية للأمة فى تغييبه واستبعاده من خلال اقتناص اللحظة ومحاولة سرقة حركة التاريخ وتحويل مجراها بعيدا عن مسارها الطبيعي والمنطقي فلا يعود النهر إلى مجراه مرة أخرى وهذا هو منهجهم إلى يوم الدين ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

إذا فامتناع الإمام على عليه السلام عن اللجوء لاستخدام القوة لم يكن ناجما عن عجز وضعف مطلقين كما يلح ويكرر بعض أنصار الإمام من دون تدقيق كاف وإنما هو امتناع صادر عن وعي وإدراك لظروف اللحظة التاريخية وأن محاولة سرقة هذه اللحظة من قبل أعداء الإمامة هى أشبه ما تكون بماء آجن ما يلبث شاربه أن يخرجه قيئا ودما ولقمة يغص بها آكلها لا هى سائغة ولا هى قابلة للهضم وإنما تحمل إلى أمعاء آكلها بذور الهلاك والدمار ومزيدا من الغصص.

ذلك المعنى أكد عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فيما رواه عنه المدائنى فى زمن خلافته "**أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس ولا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع فى حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الأعين منا لذلك وخشنت الصور وجزعت النفوس وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه)** شرح النهج ج١ ص ١٠١.

إذن فمجرد توافر القدرة والقوة لا يبرر استخدامها بصورة تلقائية لاسترداد الحقوق مهما بلغت تلك الحقوق من الوضوح كحق آل محمد عامة وحق على عليه السلام خاصة فما بالك إذا كانت تلك الحقوق مجرد ادعاءات وافتراءات قبال الأمة كلها لم يقم عليها دليل سوى تقاعس المتقاعسين عن الوقوف فى وجهها وتكذيبها وبيان زيفها وبطلانها وما أكثر المدعين والمفترين وحركات الزيف الذين يتصرفون فى حق الأمة تصرفهم فى أرض مغصوبة وأوقاف منهوبة ويعتبرون أن وضع اليد من دون منازع يكسب تلك الولاية المدعاة شرعية غير قابلة للتنازع.

إنهم مجموعة من الواهمين حتى ولو خرجوا علينا صباح مساء بادعائهم بأنهم (كبرى الحركات وأم الجماعات) إلى أخر تلك الافتراءات.

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين.....هذه واحدة،

والثانية........ أن يعود الكفر ويبور الدين عندما يرى الناس تلك الصراعات الدامية التي تعجز الكثير من العقول عن إدراك كنهها ومعرفة وجه الصواب فيها وهذه نقطة بالغة الأهمية تضاف إلى مجموعة الأسباب التي سبق ذكرها من نبذ العصبية والقبلية كأساس للتحرك والتزام نهج أهل البيت عليهم السلام القيادة الشرعية للأمة الإسلامية.

إذا فالتزام نهج إمامة الحق لا إمامة الزيف والضلال والتضليل من الدجالين هي شرط أساس لأى تحرك إصلاحى أيا كان نوع هذا التحرك ثقافيا أو سياسيا أو اجتماعيا وأخيرا ما يعرف بالتحرك العسكرى فالله سبحانه لم يترك أمته هملا ولا ترك رعيته من دون راع.............

ذلك المعنى الذى طالما أكد عليه الإمام على شهيد المحراب ذلك الإمام الحق الذى أنفت تلك الأمة التعسة أن تشرب من عذب مائه واستبدلته بذلك الماء الآجن الذى تحدثنا عنه آنفا ولا زالت تشرب من تلك البرك والمستنقعات وتتداوى بالتى كانت هى الداء كلما ردوا إلى الفتة أركسوا فيها.

ترى أمير المؤمنين فى غير موضع يؤكد على هذا المعنى ويربطه ربطا مستمرا بقضية الإصلاح والتغيير والتقدم إلى الأمام تلك القضية التى ما زالت متفجرة منذ اللحظة التى استبدلت فيها تلك الأمة الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.

شروط أساسية لمشروعية التحرك:

يقول عليه السلام: "**استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا سيوفكم فى هوى ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة بحق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيدا ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصلات سيفه فإن لكل شئ مدة وأجلا**". شرح النهج ج٣ ص ٢١٩.

تلك هى الشروط الثلاث لمشروعية أى عمل إصلاحى أو تغييري:

١- معرفة حق الله والتزام منهجه.

٢- معرفة حق رسول الله صلى الله عليه وآله والتزام سنته.

٣- معرفة حق الإمام والإمامة من آل بيت محمد التي هي المدخل الوحيد والصحيح لالتزام النهج الإلهي وكل ما عدا هذا فهو زيف وتضليل وغش وخداع.

إنها ليست قضية مذهبية و(كل شيخ وله طريقة ولله طرائق بعدد أنفاس الخلائق) كما يقول أولئك الدراويش المغيبون عن الوعي فهناك طريق واحد موصل ومستقيم وكل ما عدا ذلك سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ونحن ملزمون أن نسمي الأشياء باسمها الحقيقي حق وباطل ولكل أهل صواب وخطأ أما أن يلجأ البعض إلى تبسيط المسائل واعتبار أن السكوت عن قول الحق وإظهاره هو نوع من الكياسة والحكمة المتعالية فتلك هي الكارثة الكبرى والنازلة العظمى.

إن حرية الاختيار ينبغي أن يرافقها القيام بواجب البيان والإيضاح ليهلك من هلك بإعراضه عن الحق عن بينة ويحيي من حيي باتباعه الحق عن بينة وتلك هي المقدمة اللازمة لأي عمل سياسي إصلاحي وكل ما عدا ذلك فهو غش وتزييف واحتيال.

وهذا ينطبق على بعض ما يجري على الساحة الآن في كرنفالات السياسة المحلية والدولية والإعلامية من مزج للمتناقضات ومحاولة جمع النوايا المختلفة والأهواء المتشتتة على عمل تغييري واحد والله يعلم أن كل هذا غش وتزييف ولو كان ذلك ممكنا لتحالف علي بن أبي طالب مع أبي سفيان بلحيته الصفراء فقد جمعهما قاسم مشترك ربما كان أقوى مما يجمع هؤلاء الجهلة والمتزلفون هو الاعتزاز بأصل مشترك ألا وهو الانتماء إلى بني عبد مناف في مواجهة خصم واحد ولكن شيئا من هذا لا يفيد في بناء صرح الحق فكيف إذا يمكن لجلسات الفنادق الفخمة وتلك التحليلات السياسية المرتجلة التي تمتلئ بالنفاق أن تحقق أي هدف إصلاحي نبيل؟؟.

ومن هنا أيضا كانت وصية الإمام علي عليه السلام لشيعته ومحبيه وطلاب الحق وأحرار الدين والدنيا في كل زمان ومكان (**اصبروا على البلاء ولا تحركوا أيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم**) فالصبر على البلاء أفضل من التحرك على غير هدى، ولنرجع إلى الكلمات الفارغة التي اقتبسناها سابقا لنعرف تلك الألسنة والأقلام التي تعشق الكلمات الضخمة الفخمة

الفارغة من أى مضمون فقهى وأخلاقى والتى تجيد دغدغة مشاعر -جماهير اللحظة- صاحبة الوعى المغيب منذ قرون بإطلاق شعارات تدعى احتكار الحقيقة والقدرة على اختراق أقطار السماوات والأرض كهذا الدجال الذى خاطب أنصاره قائلا (**عندما يكون منكم ثلاثمائة كتيبة طالبونى أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل جبار عنيد**) ثم وقعت الواقعة وأخذ صاحبنا وأنصاره إلى السجون والمعتقلات من أجل قتل بضعة أشخاص قبل أن يقتحم لجج الترع والبرك والمصارف لا البحار ولا الأنهار وجرى صاحبنا يبحث عن وساطات تنقذ رقبته ولازال أتباعه إلى يومنا هذا يغتسلون بذل تلك المواجهة الخرقاء البلهاء ويتفننون فى تقديم الاعتذارات الذليلة الكاذبة عن أحداث تلك المواجهة التى كان يخطط لها ذلك الدجال والتى تحولت إلى مجرد أخطاء فردية وضاعت كل هذه الكلمات الطنانة الرنانة عن خوض لجج البحار واقتحام عنان السماء وغزو كل جبار عنيد وكأن الرجل كان يخطط لإنشاء قوات جوية وبحرية تخوض عنان السماء ولجج البحار وانتهى الأمر بأن غرق فى (شبر ماء) وضاع مع أول هبة ريح وهذا حكم الله فيهم وفى أشباههم إلى يوم القيامة (أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف).

ويبقى أن قادة التغيير والإصلاح الحقيقى هم الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا الذين يسبق فعلهم قولهم........إنهم ليسوا من محترفى السياسة والتنظيمات إياها وليسوا خبراء فى الدعاية الهتلرية الكاذبة إنهم أصحاب ديانة وورع حقيقى (**فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة بحق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات ميتة الشهداء ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصلات سيفه**).

الإمام يحذر الأمة من الوقوع فى براثن القادة المزيفين:

لم يترك أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فرصة يشرح فيها للمسلمين واجباتهم السياسية رابطا محنة الأمة بإعراضها عن أولى الأمر الحقيقيين أهل بيت العصمة والنبوة وخلاصها بالعودة إلى حضن القيادة الشرعية الحريصة على مصالح المسلمين بوعى وعلم وبتكليف إلهى لا على شاكلة أولئك اللصوص الذين يطلبون ما ليس لهم فيقول عليه السلام:

(أما بعد حمد الله والثناء عليه- أيها الناس فإنى فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها غيرى بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألونى قبل أن تفقدونى فو الذى نفسي بيده لا تسألونى عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدى مائة ولا تضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد فقدتمونى ونزلتم بكم كرائه الأمور لأطرق كثير من المسئولين وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وكانت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الريح يصبن بلدا ويخطئن بلدا ألا وإن أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمى عنها وأيم الله لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء بعدى كالناب الضروس تفدم بفيها وتخبط برجلها وتزبن برجلها وتمنع درها ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا غير نافع لهم أو غير ضائر بهم ولا يكون انتصاركم منهم إلا كانتصار العبد من سيده والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم بمن كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم إلا السيف ولا يحلسهم إلا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يروننى مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوننيه). شرح النهج ج٢- ١٧٤.

ربما تخيل القارئ العجول أننا قد خرجنا عن الموضوع وليس هذا صحيحا على الإطلاق فنحن ما زلنا فى صلب الموضوع فقد كانت مواجهة الإمام على عليه السلام لقوى التمرد عليه أو قوى الفتنة وتشخيصه لها ضرورة حتمية فتلك القوى هى التى ستشكل مادة الفتنة المعاصرة التى تعيشها الأمة الإسلامية فى عصرنا الحالى وما سبقه من العصور:

١- قوى الاستبداد السياسى السائرة على منهاج بنى أمية.

٢- القوى الخوارجية التى تتخذ من المزايدة الدينية شعارا لها فهى تقتل باسم الدين وتتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزل الله وأخيرا تسرق وتنهب باسم الدين.

٣- القوى المتمردة على إمام الحق من آل محمد..... قوى الضلال والفساد والتحلل من الدين تلك القوى التى واجهها الإمام على عليه السلام واصفا لهم بالفتنة لا بالكفر ولا بالردة ولا بالجاهلية فهذا وحده هو الضبط التشريعى الصادر عن إمام الحق لا عن أئمة الزيف والضلال.

ثم أخبر الإمام على عليه السلام أن هذه الفتنة ستترك الناس فى حيرة إلا من اعتصم بإمام الحق من آل محمد ومن هنا ستنشأ الكثير من الفرق والطرق والجماعات تحت أسماء وعناوين شتى.

ثم تمتد حلقات الضيق والبلاء حول عنق هذه الأمة المسلمة التائهة وليست الأمة الكافرة ولا المرتدة ولا أى شيء من هذا الهذيان حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم؛

فما هو عنوانهم وسمتهم وشعارهم (نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة) ولا قضاة!!.

ثم يأتى الفرج النهائى على يد قائم آل محمد الإمام المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه ومخرجه ولا تحدثنى عن أشباه الرجال الذين سماهم أشباه البشر أئمة وقادة ولات حين مناص.

هذا هو النهج الذى ينبغى السير والدأب عليه وهو النهج الذى لو مات صاحبه على فراشه مات ميتة الشهداء......

إنهم بقية الأبرار الذين طلبوا الآخرة ولا شيء سوى الآخرة وستأتيهم الدنيا سعيا.

إذن فنحن أمام حالة من الوعى الراسخ بخريطة الصراع إنه صراع من عمر الأمة والوعى به لا بد أن يكون عمقه بعمق تاريخ هذه الأمة.

شتان بين هذا الوعى الراسخ بحقيقة الصراع بين الحق والباطل وذلك الوعى الانفعالى المستعار كذلك الرجل الذى أفاق من غيبوبة طويلة وقد تغير كل شئ من حوله ولم تكن حتى إفاقته كاملة فانطلق يهذى بكلمات (مين فين مين فين) ثم أمسك بأول من وقعت عليه عيناه محملا إياه التهمة حتى قبل أن يحدد التهمة والجريمة والمتهم!!.

إن تلك الرواية المستقبلية الواردة عن الإمام على عليه السلام تحمل بين ثناياها إخبارا عن تلك الفرق السياسية والعقائدية والمذهبية التى يجرى

إنتاجها فى ظل تلك التشوهات الهائلة التى تعانى منها الأمة المسلمة المعرضة عن نهج الحق المقبلة على قيل الباطل تلك الأمة التى ستقع فريسة سهلة فى أيدى المستبدين سواء كان اسمهم بنى أمية أو كانوا مثل بنى أمية الفارق لا يهم.

من هنا تأتى أهمية التشخيص الواعى والدقيق لمصائب الأمة.

تلك المصائب التى نتجت عن قلة الوعى ولن تحلها أبدا تلك الخطب الجماهيرية الحاشدة ولا أولئك الحمقى الذين جعلوا من قتل النقراشي فرض عين على كل مسلم ومسلمة ولا أولئك الذين اغتال بعضهم بعضا أيا كان انتماؤهم السياسى أو مذهبهم الفقهي.

وهى مشكلة لن تحل إلا على أيدى بقية الأبرار منكم ولن يكون هؤلاء إلا من بين من تربوا على مائدة الإمام على عليه السلام.

إن أراد أحد أن يتحدث عن التربية الأخلاقية والسياسية للحركة الإسلامية فمكانها فى مدرسته والعبرة عندنا بالمضامين لا بالعناوين.

المحاذير:

الذين طلبوا الدنيا بعمل الآخرة.

وقبل أن نصل إلى نقطة الفصل فى هذا البحث وهى النقطة المتعلقة باستخدام القوة وشرعيتها فالضرورة تحتم علينا التوقف عند بعض الظواهر المرتبطة بتركيبة تلك التيارات السياسية (الدينية) والتى تؤثر من دون شك فى التوجه النفسى لأعضاء تلك الجماعات ومن ثم فى انفعالاتهم وقراراتهم.

فهناك ذلك الصنف من البشر ممن طلبوا الدنيا بعمل الآخرة والذين وصفهم على عليه السلام بتلك الكلمات البليغة الرائعة **(ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية)**.

إنه صنف من البشر شائع وموجود فى تلك التيارات وفى غيرها يطلب الدنيا بصورها وأشكالها المختلفة؛

فهو إما يطلب جاها أو رئاسة ينالها بتقديم نفسه فى صورة الخاشع الزاهد المجاهد المدافع عن الدين - والله يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون - ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم.

يمكنك أن تميز هؤلاء بإحدى سمتين؛ تثبيطهم عندما يتحتم الإقدام أو مزايدتهم فى المواقف التى يتحتم فيها التعقل والإحجام فهم لا يحتكمون إلى ضميرهم ولا إلى عقولهم قدر ما يحتكمون إلى وعى اللحظة المصلحية لا المصيرية.

إنهم أشبه ما يكونون بالمقامرين الذين يكسبون الملايين أو يتسببون فى خسارة فادحة لهم ولكل من حولهم وهذا الصنف تراه عادة فى طبقة القادة والزعماء.

أما الصنف الآخر الذى يطلب مالا وثروة ووفرة تدرها عليهم ملامح التقوى والورع التى يرسمونها على وجوههم ويزينون بها ملامحهم.

إنهم أقل خطرا من الصنف الأول (سيد قراره) إنه الممثل القدير الذى قام بتشكيل منحنيات جسمه لتأخذ بعض السمات المصاحبة للوقار الشكلى "قد طامن من شخصه وقارب من خطوه" تصنعا للورع والوقار و"شمر من ثوبه وزخرف من نفسه للأمانة" بادعائه العبادة والزهادة و"اتخذ ستر الله عليه" لأن الله سبحانه لم يفضح حقيقته ذريعة وساترا يتخفى فيه من أعين الناس....

(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون).

وهناك نموذج كارثى آخر لذلك الصنف من الأدعياء قادة مسيرة الكوارث والنكبات الذين كانت معارفهم وخبراتهم دائما فى مستوى واقعهم البائس الذين دخلوا منه إلى مسيرة التنظيم.

نظرة واحدة على البرامج الثقافية التى كان وما زال يتربى عليها هؤلاء الجنرالات تظهر بوضوح كم الضحالة الفكرية التى أنتجت هؤلاء الأماجد أصحاب الدعاوى الواسعة العريضة بأستاذية الدنيا.

ناهيك عن أن مثل هذه الثقافة التى لم تستخلص من النبع الصافى لا قيمة لها وإن وزنت بالأطنان كمثل الحمار حمل أسفارا أو لم يحمل فالنتيجة واحدة.

(وآخر قد تسمى عالما وليس به قد اقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال ونصب للناس أشراكا من حبائل غرور وقول زور قد حمل

الكتاب على آراءه وعطف الحق على أهوائه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول أقف عن الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء فأين تذهبون وأنى تؤفكون والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة فأين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم و هم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردهم ورود الهيم العطاش أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال فلا تقولوا بما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر قد ركزت فيكم راية الإيمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، ألبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي فلا تستعملوا الرأى فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل إليه الفكر) شرح النهج ج٢ ص ١٢٩-١٣٠.

إن هذا ولا شك هو حال كثير من الرموز البائسة لتلك المرحلة السابقة والتى ما زال بعضها متواجدا على الساحة إلى يومنا هذا يفكرون ويتصرفون ويمارسون السياسة بنفس الطريقة التى اعتادوا وتربوا عليها فى تلك المدارس الهجومية العدوانية التى لم تتدرب يوما ما على التبصر والتعقل ولا قراءة التاريخ القديم ولا حتى المعاصر فى العمق **وحتى عندما يقدمون لنا تاريخهم يقدمونه لنا على طريقة حكايات الجدة حول المدفئة حيث (يبدو الجد فى صورة شخصية أسطورية عملاقة تقضى على الغول والعنقاء وكان كل شئ يسير فى خطه المرسوم لولا اجتماع الدول الكبرى الأربع فى فايد وإصدارهم قرارا جائرا بحل الأخوان)** إلى آخر تلك الأساطير التى اعتادوا حكايتها وتناقلها من دون احتياج لمصدر ولا سند.

أما عندما تتناول صحافة المرتزقة الحديث عن ذلك التاريخ البائس فهى دائما تحدثنا عن (رموز تاريخيين وأحيانا جغرافيين وربما فكريين) وأئمة وشهداء فمن أين جاء هؤلاء بمعرفتهم وفقههم الفذ؟؟.

الإجابة عند أمير المؤمنين على عليه السلام (قد اقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال) ثم تصدوا لموقع لم يكن يوما ما لهم (فنصبوا للناس

حبائل من غرور وقول زور قد حمل الكتب على آرائه وعطف الحق على أهوائه) وانفعالاته.....

فهذا الذى حرم من منصب وزير المعارف انطلق ينصب للناس أشراكا من حبائل غرور وقول زور وانطلق يدعو إلى خيانة المجتمع الذى منحه العلم والمنصب والجاه وتقويض بنائه باعتباره مجتمعا جاهليا وياليته اقتصر على إلحاق الأذى بنفسه بل أدى بفكره هذا إلى إلحاق كم هائل من المصائب بذلك الشباب الذى اعتبره رمزا للتمرد على الكفر والجاهلية المعاصرة.

ويبقى أن المسئولية لا تقع عليه بمفرده بل على أدعياء التقوى والورع من كهنة التنظيم ومن عموم كهنة الحالة الدينية الحالية المزيفين أيا كانت اتجاهاتهم وآرائهم التفصيلية فهم ما زالوا يرون مصلحتهم الدنيوية فى مداهنة تلك التيارات الزائفة والثناء المستمر على رموز الزيف والضلال فمصلحتهم تكمن فى بقائهم فى ساحة المجاملات وحفلات الاستقبال والتعارف والمهرجانات الخطابية الوحدوية المغشوشة وهم بعد كل هذا أبعد ما يكونون عن الهدى فهم لا يعرفون باب الهدى ولا باب العمى فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان.... ذاك ميت الأحياء فأين تذهبون؟؟؟ وقد ذهبوا.... وأنى تؤفكون؟؟ والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى.... فبأى آلاء ربك تتمارى؟؟.

فأعلام الحق قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة ولماذا أعرض هؤلاء عن نهج آل محمد؟؟ (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) و(كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق) ويحشرهم ربنا يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما_ بما ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا.

ثم ينبه الإمام على عليه السلام على أن وعى الواقع لا يأتى من فراغ وإنما من خلال دراسة تاريخ الأمة القريب والبعيد(و **اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل)** ج٢- ص ٤٢٩.

إنها المقدمة اللازمة لأى تحرك عام يستهدف الإصلاح والتصحيح.... قراءة التاريخ قراءة واعية ومستفيضة فإنك لن تعرف الرشد حتى تعرف الذى تركه ولن تأخذ بميثاق الكتاب حتى تعرف الذى نقضه والواقع يقول أن

هذه الحركات قد فرضت على أبنائها وعيا مغيبا أو زائفا بالتاريخ الذى أفضى إلى ما نحن فيه الآن بل ووقفت موقف الدفاع عن الذين نقضوا وبدلوا وحرفوا وغيروا رافعين بذلك راية الولاء لسلفهم الصالح الذين كان من بينهم من قتل أبناء النبى وأحفاده وحاربهم ولعنهم على منابر المسلمين أكثر من ثمانين عاما ولا شك أن احترام هؤلاء وتقديسهم يكشف عن منهج ممتد فى الذرية (الصالحة لهذا السلف الصالح) فهم يمنعون أتباعهم من قراءة التاريخ مستدلين استدلالا باطلا وزائفا بقوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) والله يشهد إنهم لكاذبون فى استدلالهم هذا فنحن ومن كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ومن جاؤوا من بعده أمة واحدة ومن هنا كان دفاعهم وتغطيتهم التاريخية والمذهبية على جرائم وخطايا أسلافهم وامتناعهم المستمر عن إدانة هؤلاء القتلة والمتآمرين سواء من رفع السلاح فى وجه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أو الذين أباروا عترته الطاهرة من بعده قتلا وسلبا وتحريقا ومنهبة كما تشارك أيسار على جزر فأنت إذا عايشت هؤلاء لا تسمع لقلبهم حسا ولا ركزا إذا ذكر مصرع الحسين على مسامعهم بل تراهم ينظرون إليك خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى فهم يعلمون أنهم أحفاد هؤلاء القتلة وورثة نهجهم وإن لم يكونوا أحفادا ماديين فهم أحفادهم المعنويين الذين يسعون إلى إعادة أمجاد الخلافة الأموية مع بعض المساحيق والديكور التى تتلاءم مع بعض المستجدات المعاصرة مثل شرعة حقوق الإنسان وهلم جرا.

وحدة الأمة الإسلامية :

ركيزة أساسية لأى عمل إصلاحي.

انطلق الإمام على عليه السلام فى مواجهة الظروف والصعاب والمشاكل التى واجهته من ركائز أساسية كان من الضرورى الحفاظ عليها من بين تلك الركائز كانت ضرورة الحفاظ على وحدة الأمة فهو لم يسارع أبدا إلى بدء أى قتال وهو يقدر أن لا يفعل ولا الضرب بسيفه أينما اتفق وكيفما اتفق بل كان حريصا سلام الله عليه أن يستبقى هذه الوحدة قدر استطاعته فعندما عوتب من قبل الخوارج على جعله أجلا فى التحكيم بينه وبين عسكر معاوية بن أبى سفيان كان جوابه عليه السلام **(و أما قولكم لم جعلت بينك وبينهم**

أجلا في التحكيم فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعــل الله أن يصلح أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لأول البغي) شرح النهج ج٢- ص ٣٠٣.

إذا فالعمل العسكرى وإن توفرت له كل أسباب المشروعية التى نتحدث عنها الآن لا يعدو أن يكون أداة لحسم ما عجز إعمال العقل وتبادل الــرأى والتريث والأناة وعوامل الزمان عن دركه والوصول إليه ويبقى أن الحفــاظ على وحدة الأمة الإسلامية هو هدف من الأهداف العليا التى ينبغى استبقاؤها والحفاظ عليه بكل الوسائل والسبل من دون التنازل فى نفس الوقــت عــن المبادئ والقيم الإسلامية العليا.

وتبقى أم القضايا ألا وهى قضية قيادة الأمة الإسلامية تلك القضــية التــى كانت سببا من أسباب التفرق والتشرذم عندما أعرضــت الأمــة عــن القيــادة الشرعية إمام الحق من آل محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتــم الســلام. إنها إشكالية لن يحلها بأى شكل من الأشكال الانخراط وراء أى قيــادة تــدعى لنفسها الشرعية وتعتبر أن حصولها على قسط من الجماهيرية هو نــوع مــن البيعة الشرعية فهذا ليس صحيحا على الإطلاق وما أسهل الاستفادة مــن هــذا النوع من الأدلة ودونكم تلك الواقعة التى أوردتها الصحافة عــن ذلــك النــزاع الدائر بين قطبى (الحركة الإسلامية) فى السودان عمر البشير وحسن الترابي:

فالترابى هو الشيخ المؤسس والمفكر والمنظر والــدكتور والأول هــو رئيس الجمهورية الآن الفريق حاليا والعقيد سابقا وتلميذ الترابى وهــو مــن أعطى البيعة لمولاه الترابى ولكن ضرورة حبك مسرحية الاســتيلاء علــى السلطة فى السودان وسرقتها من بين أيدى الشعب السودانى (باســم الــدين) اقتضت أن يذهب الترابى فى أيام الانقلاب الأولى إلى السجن حتى تســتقر السلطة والقوة فى يد التلميذ الوفى الذى أقسم على المصحف والمسدس هــو الآخر وربما كان هناك تباين فى الطقوس بين القاهرة والخرطوم إنه مشــهد متكرر فى جوهره ثم تبدل الحال ولكن هذه المرة احتاج الأمر فى الســودان إلى عشر سنوات قبل أن يحدث الصدام بينما حدث ذلك الصدام فى مصــر خلال أقل من عامين وفعل الصراع على السلطة مفاعيله بين الشريكين الذين خرجا من بوتقة واحدة ولما وقع الصراع وزج بالمرشد الترابى إلى الســجن كما فعل بالمرشد الهضيبى من قبل وهذه المرة سجن حقيقى وجاء الوســطاء (من حكماء الجماعات) الخبراء فى انتاج وتصدير هذا الفكر من ولاة أمــر الأمة المحدثين وطلبوا من الترابى (الإمام السابق) أن يذعن للبشــير (إمــام

الأمر الواقع) أمام الأمر الواقع وهذا هو فقه تلك الجماعات والتنظيمات (الإمرة لمن غلب) كان رد الفقيه الترابى على الفقهاء غير الترابيين هو الرفض وكان تعليله لذلك "لست متشددا ولكن وساطة الإسلاميين قامت على أساس إقناعى بضرورة طاعة ولى الأمر فى الإسلام وعدم إجراء أى اتصالات إلا بإذن ولى الأمر وهذا غير صحيح!!! مضيفا أن هؤلاء العلماء كانت آراؤهم غريبة وهم على حد قوله لا يفقهون أحكام العلاقات الدولية فى الإسلام وتقتصر معرفتهم على الأحكام الفقهية) الأهرام ٣١-٥-٢٠٠١.

هذا هو رأى الفقيه الترابى فى الفقهاء غير الترابيين فهم لا يفقهون فى أحكام العلاقات الدولية فى الإسلام وتقتصر معرفتهم على الأحكام الفقهية يعنى كلهم فقهاء حيض ونفاس أما هو فهو علامة عصره وواحد زمانه فمن أراد العلم والحكمة فليأتها من بابها وليذهب إلى حسن الترابى رجل الانقلابات التى تقطع بعلمه وفقهه وأمانته مع شعبه المجنى عليه وإذا كان هذا هو رأيه فيهم فيا ترى ما هو رأيهم فيه.

لا شك أننا وبعد كل هذا الغثيان نحتاج أن نعرف لمن نلجأ وبمن نستغيث؟؟ نستغيث أولا بالله وبرسوله ثانيا ثم ندخل إلى العلم والدين من الباب الذى أمرنا به (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها).

فلنذهب مرة أخرى إلى الإمام على عليه السلام وهو يعلم الأمة من هو أولى بالإمامة وأحق بالقيادة (**اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح فى بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك**) تلك هى معالم المهمة المنوطة بأئمة الحق لا منافسة فى سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ولكن لتظهر حقائق الدين ويتحقق الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى فى الأرض؛ فيأمن المظلومون من عباد الله ويقتص من الظالمين وتقام حدود الله المعطلة.

ولكن ما هى المؤهلات التى تمكنه من القيام بهذه المهام (**إنه أول من أناب وسمع وأجاب إنه السبق إلى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه واحدة**).

والثانية أن يكون هذا الإمام مترفعا عن أموال المسلمين فلا يكون موسوما بالبخل فيكون فى مال الله نهمته ورغبته فى جمع تلك الأموال؛

ولا يكون الإمام جاهلا فيضلهم ولا جافيا قاسيا مستبدا عنيفا ولا الخائف للدول ضعيف القاعدة الشعبية المتوجس من المؤامرات الداخلية والخارجية فيتخذ قوما دون قوم أى يمالئ قوما من أجل مساندته والوقوف معه فى وجه الآخرين ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة بإضلالها) شرح النهج ج٢ ص ٣٧٨.

الإمام على ومشروعية استخدام القوة :

نعتقد أن القتال فى سبيل الله هو مواصلة للجهاد بوسائل عسكرية وهو الوجه الآخر للمقولة المشهورة (أن المفاوضات إنما هى استمرار للقتال بوسيلة أخرى).

ونعتقد أيضا أن الجهاد فى سبيل الله إنما هو مفهوم واسع وشامل يشمل المساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالإضافة إلى الجوانب العسكرية بكل تأكيد.

هذا هو معنى الأثر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو عن على عليه السلام (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس).

وهو المعنى الذى رفضه مؤسس جماعة الأخوان بقوله (**شاع بين كثير من السلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهادا أكبر هو جهاد النفس وكثير منهم يستدل بذلك بما يروى عن رسول الله ص فى الأثر وذكر النص** ثم قال وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ فى سبيله وهذا الأثر ليس بحديث على الصحيح) رسالة الجهاد.

ونحن نعتقد بصحة المعنى سواء صحت الرواية أم لم تصح ومعنى الجهاد الأكبر يمتد ليشمل كل دوائر الجهاد فى سبيل الله فكريا وعقائديا وسياسيا واجتماعيا وأخلاقيا.

ولو كانت هذه الجماعات التى انطلقت لتحطم وتدمر وتواجه وتقتل تمتلك فهما صحيحا لما حولها لما آلت أمورها إلى ما آلت إليه الآن ولما توالت الاعتذارات الذليلة التى قدمتها الجماعة الأم والجماعات الأبناء الذين تباروا

فى تقديم ما سمى بمبادرات وقف العنف وكلها صور مختلفة لانسحاب ذليل كنا ننزههم عنه.

الاندفاع اللاواعى وراء غرور القوة الموهومة هو الـــذى دفـــع الإمـــام الشهيد الملهم لإسقاط الرواية وعدم الاعتداد بها باعتبار أن الجيش الإسلامى كان جاهزا للانطلاق ولا مبرر لإيقافه من أجل مناقشات غير ضرورية وهو نفس الحال الذى عانت منه الجماعات الأبناء فى انطلاقتها البائســـة اليائســـة التى حدثت فى نهايات القرن الماضى حيث لم يكن أحد مســـتعدا (لإيقـــاف مسيرة الجهاد) من أجل مراجعة المنطلقات لأن جيش الجهاد المظفــر كـــان قاب قوسين أو أدنى من اقتحام مقر قيادة الأعداء!!.

يبقى فى تقديرنا أن القتال العسكرى هو الجهاد الأصغر حتى فى مواجهة العدو الصهيونى لأنه أى القتال مجرد جزء من منظومة أكبر هى منظومـــة القوة ونظرة واحدة على واقع المسلمين من حولنا تقطع بما نقول فالمسلمون لا يعانون من قلة عددية ولا من قلة الحماس والرغبة فى الاستشـــهاد وهـــم الذين يقدمون أنفسهم يوميا قرابين فى عمليات استشهادية ولكـــن الثابـــت أن مجمل أوضاعهم الاقتصادية والسياسية والتقنية لا تساعدهم على حسم الحرب الدائرة بينهم وبين أعدائهم ونحن نتحدث عن الحسم لا عن استمرار المواجهة ومن هنا تبرز أهمية الجهاد الأكبر فى إصلاح أوضاع الأمة والنهوض بهـــا فى كل الاتجاهات والنأى بها عن القفز إلى المجهول كما أراد إخواننا وفشلوا والحمد لله أن هذه العقليات تفشل باستمرار فى اعـــتلاء ســـدة الحكـــم وإلا تضاعفت الكارثة.

نقول أيضا لو أفلح المسلمون فى تغيير مجمل أوضاعهم لما اســـتمرت إسرائيل تحتل أرضهم طوال هذه المدة وهى مرشحة للاستمرار فـــى هـــذا الاحتلال إلى زمن يعلمه الله ونقول أيضا لو نجح المسلمون فى تغيير مجمل أوضاعهم وإيجاد تلك القوى المؤهلة لإحداث هذا التغيير من خـــلال العمـــل على المحاور الفكرية والثقافية تجديدا للمشروع الإسلامى وتخليصا له مـــن تلك الخزعبلات الفكرية التى التصقت به وشوهته منذ العصر الأموى لتغير وضعهم وحالهم إلى أفضل حال.

القفزة الأخرى فى فكر تلك الجماعات هو تبنيهم لأطروحة النســـخ فـــى آيات الجهاد وهى أطروحة لم يتفردوا بها ولكنهم استخلصوها وانتقوها مـــن بين ثنايا المدارس الفكرية المختلفة انطلاقا من حالة نفسية وعدوانية متوثبـــة

تتلهف للاستيلاء على السلطة وإنجاز مهمة إقامة دولة الجماعة فـــي أقــرب فرصة ممكنة.

من هنا لم يكن عجيبا أن يطرح السؤال عن استخدام القوة علـــى قـــادة ومؤسسى تلك الجماعات فى النصف الثانى من ثلاثينات القرن الماضى بعد عشر سنوات فقط من إنشاء الجماعة الأم فكان جواب المؤسس نعم سنستخدم القوة المسلحة عندما يتوفر لنا ثلاثمائة كتيبة أو اثنى عشر ألف مقاتل أخوانى ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة فهل حقا أصبحت المواجهة العسكرية بـــين الإسلام والكفر هى الشأن الدائم كما استشهد سيد قطب بقوله تعالى (وقـــاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وأن آيات سورة التوبة نفضت كل عهـــد بين المسلمين والمشركين بنص قوله تعالى (كيف يكون للمشركين عهد عنـــد الله وعند رسوله).

أولا فمن ناحية العهود والمواثيق بين المسلمين وغيرهم أو بين المسلمين والمشركين فالقرآن الكريم لم يبح نقض العهد مع هؤلاء المشركين بصـــورة عامة وكما يقول العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان آيات سورة التوبة (و لم يبح نقض العهود والمواثيق إلا فيما يبيحه حق العـــدل وهـــو أن ينقضـــه المعاهد المقابل نقضا بالبغى والعتو أو لا يؤمن نقضه لسقوطه عـــن درجـــة الاعتبار وهذا مما لا اعتراض فيه لمعترض ولا لوم للائم فأجاز نقض العهد عند خوف الخيانة و**لم يرض بالنقض من غير إخبارهم ولا اغتيالهم وهـــم خائفون** فأوجب أن يخبروهم بالنقض المتقابل احترازا من رذيلة الخيانة **ثـــم استثنى سبحانه الموفين بعهدهم من المشركين فقال إلا الذين عاهدتم عنـــد المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم...** و قد علل الاستقامة بأنها من التقوى لأن الله يحب المتقين.

أما النقض الابتدائى من غير نقض من العدو المعاهد فلا مجوز له فـــى هذا الدين الحنيف أصلا وعلى ذلك جرى عمل النبى صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم أيام حياته فقد عاهد بنى قينقاع وبنى قريظة وغيرهم من اليهود ولـــم ينقض حتى نقضوا وعاهد قريشا فى الحديبية ولم ينقض حتى نقضوا وأمـــا النقض من غير نقض فلا مبيح له من الإسلام وإن كان الوفاء ممـــا يفـــوت على المسلمين بعض منافعهم ويجلب إليهم بعض الضرر وهم على قدرة من حفظ منافعهم بالبأس والقوة أو أمكنهم الاعتذار ببعض ما تصور لهم الحجـــة ظاهرا وتصرف عنهم اللوم والعذل فإن مدار الأمر على الحـــق والحـــق لا

يستعقب شرا ولا ضرا إلا على من انحرف عنه وآوى إلى غيره) ج٩ ص١٩٥ تفسير الميزان.

إذن فالاستقرار فى العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو الأصل الثابت والشأن الدائم لا كما يقول هواة القتال اللفظى أى السلام ولا يضيرنا أن كلمة السلام قد أصبحت سيئة السمعة من كثرة ما استخدمها الصهاينة والعرب المتخاذلون فإسرائيل ليست كل العالم ويبقى أن الأصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلام والاستقرار وتبادل المنافع (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) ويبقى أيضا أن القتال والمواجهة بين المسلمين وأعدائهم هو الاستثناء الذى نقدم علهم كارهين لحفظ مصلحة أعلى وأكبر لم يعد ممكنا الحفاظ عليها عبر الوسائل السلمية (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

فمن أين إذا جاء سيد قطب بفقهه الجهادى وإلى أى مذهب أو مدرسة فقهية استند الرجل فى إعلانه الحرب على ما أسماه بالجاهلية المعاصرة عندما قال (و الذى يدرك طبيعة هذا الدين يدرك حتمية الانطلاق الحركى للإسلام فى صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذى يفهم من اصطلاح الحرب الدفاعية)

(و كما أسلفنا فإن قاعدة الانطلاق بالمذهب الإلهى تقوم فى وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة وهذه كلها التى ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة)

ثم يقرر سيد قطب لنفسه وجماعته حق إعلان الحرب فيقول **(و حيثما وجد التجمع الإسلامى الذى يتمثل فيه المنهج الإلهى فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطة وتقرير النظام مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان.. هذه الركاكة من عنده... فإذا كف الله أيدى الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد فهذه مسالة خطة لا مسألة مبدأ مسألة مقتضيات حركة لا مسألة عقيدة)** ص٩١- معالم فى الطريق- باب الجهاد.

هكذا تكلم سيدنا قطب وأعلن بما لا يدع فرصة للقيل والقال وكثرة السؤال المبادئ التالية.

١- حيثما وجد التجمع الإسلامى الذى يتمثل فيه المنهج الإلهى وقد وجد والحمد لله بوجود جماعة الأخوان وفى رواية ثانية بوجود تنظيم

الجهاد وفى رواية ثالثة بوجود الجماعة الإسلامية وفى رواية رابعة بوجود جماعة المسلمين المسماة بالتكفير والهجرة ناهيك عن وجود تنظيم للقطبيين الأصفياء الأوفياء الذين ينفون عن منهج سيد قطب غلو الغالين وتقصير المقصرين!!.

٢- عندما يوجد هكذا تجمع فإن الله تبارك وتعالى يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام!!.

٣- هل منحهم الله تبارك وتعالى هذا الحق؟؟ هم يدعون ذلك وعليك أن تنحنى إجلالا لكل ادعاءاتهم وتبايع وتشايع وتسمع وتطيع ثم تضيع لا يهم فهناك عفو رئاسى وهناك عفو سياسى وهناك عفو صحى وهناك عفو مولد النبى وهناك مبادرات إيقاف العنف إنهم دائما صادقون وإذا أردت أن تتأكد من صدق أو كذب ادعاءاتهم كل ما عليك أن تقدم نفسك شهيدا على خطى سيد قطب وعندما تعود تخبرنا والمشكلة أنه لم يرجع أحد ممن ذهبوا حتى الآن!!!.

إذن فجماعة الأخوان هى الأخرى تقول بالنص الإلهى على جماعتهم من غير إيراد نص واحد يفيد صحة هذا الإدعاء ولا ذكر واقعة واحدة تدل على ذلك ولا حتى الادعاء بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد جمع المسلمين وقال لهم (من كنت مولاه فحسن البنا مولاه) أنهم كالشيعة الذين يعتقدون بالنص الإلهى على إمامة أهل البيت مع فارق بسيط ولكنه جوهرى للغاية وهو أن الشيعة لديهم مئات النصوص من السنة النبوية المطهرة التى تنص على ذلك ولكنها وللأسف الشديد لا يمكنها أن تزحزح هؤلاء عن معتقداتهم التى ورثوها عن الآباء والأجداد فلماذا إذا يتهمون هؤلاء الآباء والأجداد أنهم قد انحرفوا عن صحيح الدين وارتدوا وباتوا يعيشون فى جاهلية معاصرة؟؟.

و لذا فقد أثار استغرابى الشديد ما ادعاه سيد قطب من أن الله تبارك وتعالى منح الجماعة إياها حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام وكيف تقبل هؤلاء الرافضون لإمامة أهل البيت بالنص الإلهى هذا الكلام الفارغ الجريء لا لشيء إلا لأنه يوافق أهواءهم ونفسياتهم المريضة ولأن رفضهم لإمامة أهل البيت لم تكن من القبيل الحرص على مبدأ الشورى وحق الجماهير فى حكم أنفسها وإنما رفضا للاستقامة والسير على طرق السلامة وإيثارا للأهواء المريضة (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله

على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون).

لم يفت سيد قطب أن يسبغ على كلامه مسحة من التسامح والتواضع المفتعل فيسوق تلك العبارة الركيكة (مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان) ثم وينهي تلك الفقرة الديماجوجية بتقرير هام وهو أن الأصل عنده هو سفك الدماء وأن كل ما عدا ذلك فهو استثناء (**فالكف خطة لا مبدأ ومقتضيات حركة لا مسألة عقيدة**).

ولا شك أن إعادة نشر هذا الكلام عام ١٩٩٩ على يد واحد ممن يفترض فيهم أنهم من الأخوان المعتدلين المستنيرين (سالم البهنساوي) يكشف أن كف هؤلاء أيديهم عن دماء المسلمين هو أيضا (مسألة خطة لا مسألة مبدأ ومقتضيات حركة لا مسألة عقيدة) وأن كل ما قيل أو يقال عن تحولات سلمية فى إطار تلك التنظيمات وتحت رعاية هذا الصنف من القادة لا يعدو أن يكون ذرا للرماد فى العيون التى كادت أن تفقد بصرها بصورة نهائية من كثرة التزييف والتضليل الذى يمارس ضدها؛ وربما كان ذلك النشر والتلميع متفقا مع الحملة التى يقوم بها أعضاء الجماعة وسماسرة الصحافة لتسويق الأخوان ديمقراطيا والتأكيد على أن الجماعة قد اتخذت خطا ديمقراطيا ونبذت كل أنواع العنف.

والسؤال هو كيف استطاع منظرو تلك الجماعات تنزيل تلك النصوص على واقع المسلمين الراهن سواء كانت آية السيف ناسخة أم منسوخة وسواء كان نقض العهود مع الكفار أمرا جائزا أم غير جائز وسواء كان الأصل فى العلاقات بين المسلمين وغيرهم ممن جرى وضعهم جميعا فى خانة الأعداء هو السلام أو المواجهة والقتال فنحن أمام مبحث فقهي بالغ الدقة ولا بد من ضبط المصطلحات والأحكام فكيف جرى بث ذلك الخلل والفوضى على تصور المسلمين لتلك القضية؟؟.

نقول أن تلك القفزة أو النقلة جاءت من مصدرين:

١- إعراضهم عن دراسة وقراءة تاريخ أهل البيت عليهم السلام وأولهم على بن أبى طالب ثم باقى الأئمة من بعده وهم كانوا قادة المعارضة وطليعة التغيير فى العالم الإسلامى وهو ما يحتم دراسة تجربتهم التى هى جزء جوهرى وأصيل من تاريخ الأمة يلقى ضوءا على الطريقة المثلى فى التعامل مع المشاكل الحادثة فى

العالم الإسلامى فى مواجهة الحكومات المنحرفة والجائرة والمستبدة.

٢- الأمر الثانى حدث نتيجة إعراضهم عن هذا التراث وتداويهم بالتى كانت هى الداء فلم يجد هؤلاء أمامهم إلا الأطروحة التكفيرية وتقسيم حركتهم إلى مرحلة مدنية ومكية ومرحلة بناء عقيدة ومرحلة نزول أحكام والثابت أنه لا مجال لتكرار هذا التسلسل مرة أخرى إلا فى إطار استعادة وإحياء مبادئ التكفير وهو ما حدث بالفعل ونظرة واحدة على ما اقتطفناه فى هذا البحث من أقوالهم تثبت هذا الكلام ناهيك عما تركناه.

إياك والدماء:

لم يكن استنكارنا لذلك المنهج الدموى الانفعالى الذى قرره واستخدمه أولئك العشوائيين من منطلق يرى أن ليس فى الإمكان أبدع مما كان وإنما من إدراك لخطورة التسرع والتعجل فى إطلاق الرصاص من دون مبرر كاف ومن دون صبر أو أناة فى استخدام الوسائل السلمية والسياسية كأداة من أدوات التغيير ومن هنا كانت وصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشتر رضوان الله عليه **(إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه لا شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لأن فيه قود البدن وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فإن فى الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم).**

شرح النهج ج٤ ص ١٥١.

إننا نهدى هذا الكلام لشباب الحركة الإسلامية الذين ربما صادفهم ذلك الصنف من الزعماء الذين قادوا أتباعهم طيلة السنوات الماضية نحو الكوارث والنكبات وربما قالوا لهم هذا فلان لا يحكم بما أنزل الله وهذا كذا وذاك كافر زنديق الخ الخ ولا شك أن الأمة الإسلامية تستحق أفضل من هذا

البلاء الذى تعيش فيه الآن ولكننا نقول لهم أن هذا الهدف النبيل الذى هو إقامة الحكومة الإسلامية الصالحة لا يستلزم بالضرورة سفك الدماء ولا حمل السلاح وإنما يتطلب فى الأساس العمل السياسى الجاد بناء لوعى الأمة وحفزا لإرادتها على رفض الظلم وإقامة العدل فالنظم السياسية تحتاج دائما إلى رضى الجماهير وتعاونها مع هذا النظام أو ذاك ويوم أن يفقد أى نظام فى العالم مهما كان بطشه أو جبروته ذلك الرضى والتعاون فإن أيامه فى السلطة تصبح معدودة لأن البطش والطغيان سواء كان من الحكام أو من المحكومين له مردود عكسى... إنه لا يجلب القوة ولا الاستمرار ولا الاستقرار كما يتوهم الجبارون والمتعجلون والمتلهفون على إطلاق الرصاص بل هو يزيل النعمة وينقص المدة ويخصم من رصيد القوة.

لماذا قاتل على بن أبى طالب طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ثم قاتل الخوارج من بعدهم؟؟.

نقول أولا أن الإمام على عليه السلام لم يبدأهم بقتال وتمهل طويلا قبل أن يعطى الأذن ببدء هذا القتال مع أى طائفة ممن خرجوا على إمرته وأفسدوا فى الأرض ظلما وعدوان وقد روى الشريف الرضى فى نهج البلاغة أن أصحاب على عليه السلام وقد استبطئوا إذنه بحرب أهل الشام فأجابهم عليه السلام (**أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالى أدخلت إلى الموت أم خرج الموت إلى وأما قولكم_ شكا _ أى أنه عليه السلام كان متشككا فى وجوب قتال أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بى طائفة فتهتدى بى وتعشو إلى ضوئى وذلك أحب إلى من أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بإثمها ولكنى أستأنى بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدى منهم طائفة فإن رسول الله ص قال لى يوم خيبر لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس**) ج-١ ص ٣٤١.

شرح نهج البلاغة.

أما مشروعية قتال هؤلاء (المسلمين) فكانت بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

عن أبى سعيد الخدرى قال كنا جلوسا عند رسول الله ص فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله فرمى به إلى على بن أبى طالب ثم قال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله قال أبو بكر أنا يا رسول

الله قال لا قال عمر أنا قال لا ولكن خاصف النعل) النسائي- المستدرك- مسند أحمد بن حنبل.

وعلى هذا الأساس قاتلهم على بن أبى طالب ع لقطع دابر الفتنة التى أحدثوها فى المجتمع الإسلامى وهى فتنة لا تزال آثارها ممتدة إلى يومنا هذا.

عن أبى أيوب الأنصارى قال (أمر رسول الله ص عليا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين) المستدرك على الصحيحين.

إذن فالإمام على بن أبى طالب عليه السلام لم يشعل حربا برأى من عنده ولا دخل حربا كان بإمكانه تجنبها وحتى عندما دخل هذه الحروب فهو لم يكفر أحدا ولم يسب ولم يسلب ولم يغنم بل إن أهل البيت عليهم السلام (ورثة علم رسول الله صلى الله عليهم أجمعين لم يبيحوا الغدر ولا الاغتيال كما فعل كهنة المعبد من جماعة الأخوان الذين أباحوا لأنفسهم تكفير معارضيهم والحكم بخيانتهم ثم الغدر بهم واغتيالهم فى وضح النهار على مرأى ومسمع من النساء والأطفال كما فعلوا مع القاضى الخازندار والواقعة التى تعرض لها مسلم بن عقيل رضوان الله عليه أشهر من أن تحتاج إلى إسناد فقد كان متمكنا من اغتيال عبيد الله بن زياد اللعين الذى قتل أبا عبد الله الحسين فيما بعد عندما ذهب لزيارة هانئ بن عروة ولكنه امتنع عن ذلك وأطلق مقولته الشهيرة نحن أهل بيت لا نغدر وقد حرم الإسلام الغدر والخيانة بكل صورها فهل يعقل تلامذة محمود الصباغ أو تلامذة سيد قطب الذى كان يحلم أن يكون جيفارا الأخوان وأن يشعل حربا كونية بين الإسلام والكفر حسب تصوره الساذج ويقف هو على قمة جبل الجماجم يتأمل ما بقى من حطام الأمة.

الشيء الآخر المؤسف أن الواجب على عقلاء الأمة وحكمائها وعلمائها أن يتصدوا لهذا السخف والعته بالدرس والتحليل والتأصيل الفكرى الذى لا يقدر عليه إلا أناس متجردون لا هم من أذناب السلطة أى سلطة ولا الطامعين فى ذهب المعز ولا الخائفين من سيفه ولا هم ممن تكرست ذيليتهم لهذا الفكر المنتفخ واعتادوا الجلوس على منصة المتحدثين من دون أن يحققوا لأمتهم ولا لدينهم أى إنجاز حقيقى سوى استمراء الكذب والغش والخداع والتزييف وتجارة المذكرات السياسية وأدعياء البطولات الوهمية لأن الناس لو اكتشفوا حقيقة أن هؤلاء قد باعوا لهم الترامواى وأن كل هؤلاء الأماجد ليسوا إلا مجموعة من أخطر دجالى آخر الزمان لقامت قيامة هؤلاء......

هل بقى عند هؤلاء السادة شيئا يبيعونه أو حتى يقولونه؟؟

لماذا لا تتركونهم يتكلمون باستمرار وإنى على يقين أنهم لو تركوا يتكلمون باستمرار لانتهت بضاعتهم بعد بضعة أسابيع فى أفضل حال؟؟

لماذا تصرون على جعلهم شهداء ومظلومين ومقهورين اتركوهم ليطرحوا بضاعتهم الكاسدة ولكن افتحوا الأبواب للنور الإلهى الذى سيقتل كل أنواع الجراثيم والطفيليات والحشرات الضارة ويجعل من بقائها فى النور أمرا مستحيلا.

ولكن لماذا كل هذه الضجة التى نقيمها؟؟

إنهم بخير

وجيوبهم عامرة

وصورهم تنشر فى الصحافة والتلفاز

وذكرياتهم لا مذكراتهم تباع وتشترى بالدنانير والريالات

إنهم رجال المرحلة

إنهم رجال مرحلة ولت وانقضت

ولكننى على يقين أن هؤلاء هم آخر رجال آخر مرحلة من الغش والخداع والدجل والتزييف.

المنصورة - مصر

٩-٧-٢٠٠١.

١٨ ربيع الآخر ١٤٢٢

(.... نحن لا نكتب عن مراجعات الإخوة الجهاديين انطلاقا من الرغبة في إفشالها أو من باب التشفي منهم أو رفضا للتوقف عن العنف و القتل الذي دفع الجميع ثمنا غاليا له و إنما نكتب انطلاقا من الإحساس بالمسئولية و الخطر الداهم الذي يمثله الفكر التكفيري الخوارجي وتنبيها لأن هذه المراجعات لا تعالج المعضلة الجهادية من جذورها فهي في المحصلة النهائية ثمرة من ثمار المر و الحنظل الذي زرعه من يراهم البعض (سلف هذه الأمة العظام) ومن بينهم شيخ الدماء ابن تيميه الذي الذي لا يتواني منظر الجهاد السابق عن الإستشهاد به و بفتاواه في كل زاوية و منعطف)

المؤلف

تصميم الغلاف : عمرو عامر

